

فطر سعيد

د 2

# حصاد القلوب المفطورة

ONE IN THREE

تيس ستيمسون

TESS STIMSON

مكتبة رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون  
Arab Scientific Publishers, Inc.



# حصاد القلوب المفطورة

ONE IN THREE

1128 | مكتبة  
[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

## ONE IN THREE

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من وكيل المؤلف

A. M. Heath & Co. Ltd., 6 Warwick Court, London WC1R 5DJ, UK

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2020 by Tess Stimson

All rights reserved

Arabic Copyright © 2020 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: تموز/يوليو 2021 م - 1442 هـ

ردمك 3-3301-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة للناشر

 facebook.com/ASPArabic

 twitter.com/ASPArabic

 www.aspbooks.com

 asparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.  
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم  
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

22 4 2023

مكتبة  
t.me/soramnqraa

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

تصميم الغلاف: علي الفهوجي

# حصاد القلوب المفطورة

ONE IN THREE

تيس ستيمسون

TESS STIMSON

رواية

مكتبة | 1128  
t.me/soramnqraa

تعريب إسماعيل كاظم

مراجعة وتحرير  
مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون  
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

# المحتويات

9..... الفصل 1: في الوقت الحاضر

## سبعة أسابيع قبل الحفل

19..... الفصل 2 : لويز

25..... الفصل 3 : كاز

35..... الفصل 4 : لويز

42..... الفصل 5 : كاز

## ستة أسابيع قبل الحفل

57..... الفصل 6 : مين

64..... الفصل 7 : لويز

72..... الفصل 8 : كاز

81..... الفصل 9 : لويز

89..... الفصل 10 : كاز

## خمسة أسابيع قبل الحفل

103..... الفصل 11 : لويز

110..... الفصل 12 : كاز

116..... الفصل 13 : لويز

124..... الفصل 14 : كاز

## أربعة أسابيع قبل الحفل

135..... الفصل 15 : لويز

141..... الفصل 16 : كاز

148..... الفصل 17 : مين

154.....	الفصل 18 : لويز
158.....	الفصل 19 : كاز
170.....	الفصل 20 : لويز

### ثلاثة أسابيع قبل الحفل

179.....	الفصل 21 : كاز
186.....	الفصل 22 : لويز

### أسبوعان قبل الحفل

199.....	الفصل 23 : كاز
209.....	الفصل 24 : لويز
221.....	الفصل 25 : كاز
227.....	الفصل 26 : لويز
232.....	الفصل 27 : كاز
239.....	الفصل 28 : مين

### أسبوع قبل الحفل

245.....	الفصل 29 : لويز
----------	-----------------

### خمسة أيام قبل الحفل

263.....	الفصل 30 : كاز
273.....	الفصل 31 : لويز
280.....	الفصل 32 : كاز
292.....	الفصل 33 : لويز

### أربعة أيام قبل الحفل

303.....	الفصل 34 : كاز
310.....	الفصل 35 : لويز
321.....	الفصل 36 : كاز

## ثلاثة أيام قبل الحفل

- 329..... الفصل 37 : لويز  
343..... الفصل 38 : كاز

## يومان قبل الحفل

- 353..... الفصل 39 : لويز

## اليوم السابق للحفل

- 365..... الفصل 40 : مين  
369..... الفصل 41 : كاز  
384..... الفصل 42 : لويز

## يوم الحفل

- 397..... الفصل 43 : كاز

## بعد خمسة أشهر

- 407..... الفصل 44 : لويز  
413..... الفصل 45 : سيليا





## في الوقت الحاضر

تضرج قميصي بدماؤه الحمراء القانية التي اخضَلَ بها، وتلطخ فمي ومنخراي بتلك الدماء التي غمرت المكان، حتى بتَّ أشتمَ رائحتها، وأتذوق طعمها المالح والمعدني، ما جعلني أشعر بأنني لعقت مادة معدنية صدئة. استعدت توازني، ووقفت بثبات على كعبي قدمي، ثم أزحت شعري عن عيني، وأنا ألهث، وأحاول التقاط أنفاسي بعد نشوب صراع شديد بيننا، بينما انحنت متخذةً وضعية القرفصاء، ويدها تتدلَّى إلى جانبها، سقط السكين في بركة الدماء التي تتوسطننا، ولكنني لم أبعُد عيني عنها ثانيةً واحدةً، بينما أخذت تقلب عينيها بيني وبين نصل السكين.

لم يكن هاتفي في متناول يدي، بل كان داخل حقيبتي الملقاة بالقرب من الباب، ولم أجد فائدة من استدعاء سيارة الإسعاف، لأنه على الأرجح مات، فمن المستحيل أن ينجو شخص خسر هذا المقدار الكبير من الدماء. ثم ترامي إلى سمعي أصوات صراخ في الخارج، وخطى أناسٍ يركضون، وعلى الرغم من أن منزل الشاطئ كان بعيداً عن الفندق الرئيسي، إلا أن صدى الأصوات كان يتردد في المكان، وأظن أن أحدهم سمع ارتفاع الصرخات، فطلب النجدة، وهي بالتأكيد في طريقها إلينا. أدركتُ هي الأخرى تلك الحقيقة، فاتجهت بسرعة محتضنةً ذراعها المخلوعة نحو باب الشرفة المفتوح، وأخذت تدرس فرصها في الهرب، فهي تقف على ارتفاع طابقٍ واحدٍ، وقد انتشر في الأسفل الرمل الناعم، ولكن المد يوشك أن يغمر الجسر، وهي ليست في

حالة جسدية تسمح لها بتسليق الجرف الغادر، كما أن الوقت بدأ ينفد منها. لكن مهما يكن قرارها، فقد أصبحت الأصوات خارج الباب مباشرة، وهذا جعلها تنظر إليّ من دون اكتراث، وكأنها تقول إننا نفوز حيناً، ونخسر أحياناً أخرى، ثم اتكأت على طرف الأريكة، وأغمضت عينيها.

اشتدّ الهرج والمرج في الخارج، وارتجّ الباب بقوة، ثم بدأ يتشظى. دخل رجلان الغرفة، وتبعهما صحفيٌّ بشرته بيضاء، وقد ارتسمت الدهشة على ملامحهم، وبدأت عيونهم تقدح بالشرر عند معاينتهم المشهد الدموي الوحشي، وعندما مض هاتف محمول لأحد المتجمعين في الخارج استدار الصحفي، وأغلق الباب خلفه.

لعلهم الآن سيصدّقونني.

## سيليا ماي روبرتس الجزء الأول من المقابلة المسجلة

تاريخ: 2020 / 7 / 25

المدة: 41 دقيقة

المكان: بورغ

فندق الجزيرة، أعدّها شرطيان من عناصر شرطة ديفون وكورنوال

الشرطي إن هذه المقابلة مسجلة، وأنا المفتش جون جاريت ضابط التحقيق الأعلى في قسم الجرائم التخصصي الذي يحقق في جريمة مقتل أندرو بيج العنيفة، والتي حصلت في فندق جزيرة بورغ في وقت سابق من هذا اليوم، وهو يوم السبت الواقع في الخامس والعشرين من شهر تموز عام ألفين وعشرين، أما بالنسبة إلى التوقيت وفقاً لساعتي، فهو الثالثة وأربعون دقيقة من بعد الظهر. ما اسمك بالكامل؟

سيليا سيليا ماي روبرتس.

الشرطي : ما تاريخ ميلادك؟

سيليا لا أرى أي صلة بين تاريخ ميلادي وجريمة القتل.

الشرطي : إن هذه المعلومات نحتاج إليها لتسجيلها في المحضر سيدة

روبرتس.

سيليا : إنه الرابع عشر من شهر شباط عام 1952.

الشرطي : أشكرك على تعاونك.

سيليا : هل تحتاج إلى أي معلومات إضافية توذ معرفتها أيضاً، كقياس

حذائي مثلاً، أو برجي الفلكي؟ أنا لم أقتل صهري، وعضواً عن

تبيد وقتك من خلال التحقيق معي في موته عليك أن...

الشرطي : سيدة روبرتس، أنا لا أوذ أن أكون فظاً معك، فأمنعك من متابعة

الكلام، ولكن من الضروري أن أنجز الجزء الخاص بمقدمة

المحضر، لذلك أعتذر عن مقاطعتك.

سيليا (تجاهلت كلامه).

الشرطي : أنا مدركٌ تماماً أن هذا الموقف قد يكون مؤلماً بالنسبة إليك، هل

ترغبين في تناول فنجانٍ شاي قبل أن نكمل كلامنا؟

سيليا : لا، شكراً (تصمت برهة)، أنا لا أقصد أن أكون وقحة، ولكنني

أحببت أندرو كثيراً، ولم أستطع استيعاب ما تعرّض له.

الشرطي : لا عليك، سيدة روبرتس، يمكننا أن نتوقف فترةً عندما تشائين.

سيليا : لا، فلننته من هذه المسألة، كي يتسنى لي مواصلة ابنتي وحفيدي.

الشرطي : حسناً، لقد حضرت التحقيق أيضاً... المحققة أنا بيرى، سيدة

روبرتس، أعلم مدى صعوبة الأمر عليك، ولكن أوذ لو تخبريننا

ماذا....

سيليا : لقد قتلته كارولين.

الشرطي : هل تشيرين إلى زوجته الحالية، السيدة كارولين بيچ؟

سيليا : نعم.

الشرطي : هل شهدت الحادثة بأم عينيك؟

سيليا : لقد شاهدت المرأة، وهي تقف إلى جانبه، وقد تلتطخت يداها

بالدماء التي غمرت المكان، لذا عليكم أن تعتقلوها...

الشرطي : هل كان في الغرفة أحد آخر؟

سيليا : ابنتي، ولكنها....

الشرطي : هل ابنتك هي لويز بيغ طليقة السيد بيغ؟

سيليا : نعم.

الشرطي : ماذا كانت تفعل عندما وصلت إلى المكان؟

سيليا : كانت تجلس على الأرض بالقرب من أندرو، وهي تضمّه إلى

صدرها.

الشرطي : حسناً، لنوضح المسألة سيدة روبرتس، أنت لم تشاهدي كارولين

بيغ، وهي تطعن زوجها، ولم يكن في المكان أحد آخر باستثناء

ابنتك والسيدة بيغ، كما لم تلحظي أحداً يدخل أو يخرج من منزل

الشاطيء.

سيليا : كان هناك بستانيان اثنان في الخارج، وقد منعا دخول الجميع

إلى المنزل، وبالطبع وصل حشد كبير من الناس في الوقت الذي

وصلت فيه، بعد أن سمعنا جميعنا الصراخ الذي تردّد صداه على

مسافة واسعة من الجزيرة، كما وصل ابني لوك وزوجته مين إلى

هذا المكان أيضاً...

الشرطي : ولكن لم يكن في منزل الشاطيء أحد عندما وصلت باستثناء

المرأتين؟

سيليا : أخبرتك أن كارولين...

الشرطي : التزمي بما رأيته، سيدة روبرتس (يصمت برهة)، لعلنا نستطيع في

المقام الأول معرفة سبب وجودكم جميعاً معاً في فندق جزيرة

بورغ.

سيليا : (تصمت قليلاً) كنت أحتفل أنا وزوجي باليوبيل الذهبي لزواجنا.

الشرطي : تهانينا لكما.

سيليا شكراً.

الشرطي : حسناً، فقد نظمتما ما يشبه احتفالاً عائلياً؟

سيليا نعم، لقد خططنا لهذا الاحتفال في الصيف الماضي.

الشرطي : ومن الذي اقترح دعوة صهرك السابق؟

سيليا أندرو فرد من العائلة، ويمكنه أن يحضر من دون دعوة.

الشرطي : لقد دعوت زوجته أيضاً، ما كان شعور ابنتك حيال دعوتهما؟

سيليا لقد انفصلا منذ أربع سنوات، وهي ليست المرة الأولى التي

يجتمعان فيها، فقد تناولنا العشاء معاً منذ بضعة أسابيع بعد

مشاهدة المسرحية المدرسية التي شاركت فيها حفيدتي إلى

جانب رفاقها في المدرسة، كما أن لويز امرأة قوية، وتستطيع

التغلب على مشاكلها بسهولة.

الشرطي : ذكرت مين زوجة ابنك لوك أنهما توسلا إليك بألا تدعي السيد

بيج وزوجته لحضور الاحتفال.

سيليا ولكن لويز أخبرتني بأنها لا تمنع حضورهما.

الشرطي : سيدة روبرتس، إن دعوتهما لحضور الاحتفال يختلف قليلاً عن

اللقاء مصادفةً في مسرح المدرسة، أليس كذلك؟ فقضاء المرأة

التي تزوج بها طليق ابنتك العطلة على الجزيرة، وحضورها

احتفالاً عائلياً خاصاً، يُفترض أن يُوجج مشاعر الحقد الكامنة

في داخل ابنتك، والتي لا تزال في أوجها، أليس كذلك؟

سيليا أخبرتك أن لويز أرادت دعوة كارولين للاحتفال.

الشرطي : هل وافقت على دعوتها على الرغم من المشادة الكلامية التي

جرت بينهما الشهر الماضي، والتي وصل الشرطة إبلاغ بها؟

سيليا قالت لويز إنها تريد دفن الأحقاد من أجل مصلحة الولدين.

الشرطي : ألا تعتقدين أنه كان لديها دافع آخر إلى رغبتها في حضور طليقتها  
وزوجته؟

سيليا ما الذي تعنيه بكلامك؟

الشرطي : حسناً، هذا ما أحاول اكتشافه سيده روبرتس، (يصمت برهة) وهل  
لديك دافع آخر لدعوة كارولين بيج وزوجها؟  
(تجاهلت كلامه). سيليا

الشرطي : سيده روبرتس، إنني أنتظر ردك.

سيليا بالله عليك، إن اكتشاف الحقيقة بعد فوات الأوان هو أمرٌ رائع.  
أليس كذلك، أيها المفتش؟!





**سبعة أسابيع قبل الحفل**



## الفصل 2

### لويز

تلقى كل فردٍ من أفراد العائلة دعوةً رسميةً لحضور حفلة أمي، كتبت الدعوة بأحرف إدواردية نافرةٍ على ورقٍ سميك، فوضعتها بيلاً بفخرٍ على رف المطبخ، وأسندتها إلى الكلب الفخاري الذي صنعه من أجل أندرو بمناسبة عيد الأب في العام الذي أتمت فيه الخامسة من عمرها، أخذ أندرو الكلب معه إلى العمل، وتباهى به أمام الجميع، وهو على قناعةٍ تامةٍ بأن ابنته معجزةٌ فنيةٌ، وبعد سبع سنوات هجرنا، ولكنه لم يأخذه معه.

عندما أدخل المطبخ، يلاحقني نص الدعوة بحروفه النافرة كعيني الموناليزا، فأتجاهله وأنا أفرغ جلاية الأطباق، أو أفتح الخزائن، أو أغلق الأدراج بحركةٍ متكررة، فأجد السلوان في تأمل الأكواب المرتبة، والزبديات المصفوفة بعناية، والسكاكين والشوك والملاعق المتراسة في حجراتها المنفصلة، والمصطفة في صفوف منتظمة، فكل الأغراض تأخذ مكانها في المنزل بانتظام وترتيب ما عداي.

فجأة شقّ باغبس طريقه، والتفت حول كاحلي، وبدا نافد الصبر، وهو يطالب بفظوره، فوضعت في وعائه بعضاً من طعام القطط الجاف، وهو الأمر الوحيد القادرة على ضبطه هذه الأيام. داعبته خلف أذنه بلطفٍ ورقة، وأنا أقول له: "هيا، باغبس، لا تلتهم طعامك التهاماً"، فدنا القط من طعامه متثاقلاً في مشيه، وهذا ما يظهر بلوغه مرحلة الكهولة كاسمه تماماً، كما تؤكد ترهلاته وفروه المخطط باللونين الوردية والأبيض ذلك. بعد أن أعدتُ ملء وعاء

الماء الخاص به، أعددت فنجان شاي، ثم غادرت المطبخ.

الهواء منعش، وتفوح رائحة زكية خاصةً بعد هطول المطر الباردة وارتواء الأرض العطشى التي كانت بأمس الحاجة إليه. مع ذلك يوحى هذا الهواء بأن اليوم سيكون يوماً آخر دافئاً وشديد الرطوبة على غير العادة في شهر حزيران. جلستُ على كرسي البامبو المتدلي من شجرة التفاح، وطويت قدماً، ودفعت الأرض بالأخرى، كان الهدوء والسكينة يسودان المكان.

اعتدتُ أن أكره فترة الصباح قبل ولادة بيلا وتولي، ولكنني الآن أقدر قيمة تلك الأوقات النادرة التي تسبق استيقاظ العالم، فأستلقي على هذا الكرسي مغمضة العينين، وأستمتع بالوقت الذي أملكه لنفسي فعلياً. أقلقنتني تلك الدعوة أكثر مما أود الاعتراف به، فقد أرسلت أُمي دعوةً لأندرو وكاز أيضاً، على الرغم من توسلاتي إليها ألا تفعل ذلك، والآن عليّ أن أواجههما وسط احتفال عائلي خاص.

تمكّنت بصعوبة من تجاوز ذكرى زفافهما، والذي حصل منذ أربعة أعوام، وذلك من خلال جلي محتويات خزائن المطبخ كاملةً كلما تخيلتهما يقدّمان نذورهما، وتنظيف أرضية الحمام بالفرشاة مراراً وتكراراً كلما تصوّرتهما يقطعان قالب الحلوى، وجزّ العشب بطول ستة إنشاتٍ كلما خطرت على بالي خطوات رقصتهما الأولى بعد إعلانهما زوجاً وزوجة.

منذ ذلك الوقت، تعلّمت أن أتقبّل بصعوبة وجودهما معاً في مسرحيات المدرسة، ومباريات الألعاب الرياضية، وصنعت قوقعةً صلبةً لحماية نفسي، ولكن حضور الاحتفال أمر مختلف، ربما لأن اليوبيل الذهبي لزواج والديّ مرحلة كنت أتمنى أن أختبرها مع أندرو، أو لأن أُمي كانت من أشد الرافضين لكاز، ولكن من خلال دعوتها تكون قد أعلنت صراحة الترحيب بها في العائلة، أو لعليّ أحتاج إلى قسط من الراحة فحسب، بعد أن بقيت مستيقظةً حتى الثانية من بعد منتصف الليل، وأنا أضع علامات الامتحانات الفصلية

لطلابي في كلية الإعلام، التي كان بإمكانني أن أنهي تصحيحها بسرعة كبيرة، لو تجاهلت أخطاء التهجئة والقواعد التي ارتكبوها، ولكن على الرغم من أنني تخليت عن عمودي الأسبوعي في فليت ستريت، والذي كنت أعتبر من خلاله، بصفتي صحفية، عن آرائي ومواقفي حول مختلف القضايا، إلا أنني لا أزال أحتفظ بمعايري الخاصة.

تخترق الشمس الأفق، فتنتشر حزمة ذهبية على المكان وعلى وجهي، أعتقد أن أندرو كان محقاً، فعندما أفتح عيني، وأحدق إلى الغروب، تتلاشى الشكوك التي تراودني، فأظن أنني بدأت أحب هذا المكان، فأنا لا أزال أتذكر اليوم الذي عايناه فيه هذا المنزل منذ سبعة عشر عاماً تقريباً، وقد استند أندرو إلى جدار الحديقة الحجري باسماً ذراعيه، وتعاير الغبطة بادية على وجهه، وأخذ يصور بحماسة حياتنا في المكان الذي سترعرع فيه ابنتنا بأمان وسعادة، فيتلاعب الهواء بشعرها، ويداعب العشب أصابع قدميها الصغيرتين.

في ذلك الوقت لم أكن أؤيد مغادرة لندن، وسبب ذلك ليس العمود الصحفي المخصص لكتابة مقالاتي في صحيفة الديلي بوست، والذي أستطيع أن أستمر بكتابته من أي مكان، بل لأن المدينة تشعرني بأني لا أزال على قيد الحياة، وبأن العالم كله ملك بناني. لقد صعب عليّ التخلي عن ذلك العالم السحري، لأعيش في تلك الحفرة العميقة في مكان ناءٍ، ولكن رغبة أندرو في الانتقال كانت شديدة، كما كنت مستعدة في تلك الأيام للتضحية من أجله، وتلبية كل ما يطلبه، ولكن لم يخطر ببالي أبداً أن ينتهي بي المطاف وحيدة في هذا المكان.

فجأة، رن هاتفي في جيب روب النوم الذي ارتديه، فذعرت، وما إن أخرجته من جيبي، وقبل أن أردد على المتصل، حتى ظهر وجه زوجة أخي مين على الشاشة، فسألته، وأنا أنهض عن كرسي البامبو، وأتجه إلى المطبخ: "هل ستخلدين إلى النوم، أم إنك استيقظت تَوّاً؟".

أجابتنى مين: "لقد أنهيت تَوّاً مناوبةً طويلةً في المستشفى، ووصلت إلى المنزل منذ دقائق".

تبدو مين مشرقة الوجه، وكأنها قضت أسبوعين في هاواي، وقد عادت تَوّاً من جولة سياحية، فهي تبلغ سبعة وأربعين عاماً، وتكبرني بأربعة أعوام فقط، ولكنني أبدو في عمر أمها بشعري الرمادي الذي يحتاج إلى عناية فورية، وعيني الزرقاوين الباهتتين، والمحاطتين بهالتين سوداوين.

سألتها، وأنا أسند الهاتف إلى منضدة المطبخ: "هل كانت ليلتك هادئة؟". قالت مين باستنكار: "لقد حصل اصطدامٌ ضخْمٌ على طريق أم 23، فكان الحادث مروعاً"، فتذبذبت صورتها، واهتزّت قليلاً، وهي تضع هاتفها على المكتب، وحالما ثبتته، لوّحت بمغلف كانت تحمله بيدها، وهي تقول: "خَمّني ماذا وجدت على الممسحة أمام الباب".

أحبّ مين لأنها مرحة وذكية، وهي تسعد أخي لوك كثيراً، ولكن لا شيء يستطيع ردعها عما تسعى إلى تحقيقه، خصوصاً وأني أعلم إلى أين سينتهي المطاف بهذا الحديث.

أجبتها، وأنا أضع كيس شاي آخر في كوبي الفارغ: "قبل أن تطرحي الأسئلة، نعم، أعرف أن أندرو وكاز مدعوان لحضور الاحتفال، لأن أمي تريد جمع كل أفراد العائلة في يومها المميز، وأنت تعلمين كم تحبّ كيت". "حسناً، أستطيع أن أفهم رغبتها في حضور كيت، ولكن لم دعت تلك المرأة؟".

"لأن أندرو لن يحضر من دونها".

نظرت مين إليّ باستياء، وقالت بنبرة حادة: "على تلك المرأة أن تتمتع باللباقة وحسن الخلق، وأن تتجنّب افتعال المشاكل، مع أنني بصراحة لا أظنّ أن أندرو يمتلك الجرأة لحضور الاحتفال".

"تستطيعين ذكر اسمها، فكما تعلمين هي ليست فولدمورت".

"لِمَ تضعين نفسك في مثل هذا الموقف؟ ليس عليك تأدية دور الضحية، بل عليك أن تكوني قوية، وتقولي لا لسيلا".

لن أبتلع الطعام، فلا أحد يستطيع معارضة أُمي، ومن بينهم مين، ولكن هذا لا يعني أنني لا أقدر صدق مين، فلولاها لم أكن لأتغلب على آلام الشهور التي تبعت رحيل أندرو، خاصةً أنه كان لدي فتاة تبلغ اثني عشر عاماً، وكانت تعاني من صدمة رحيل والدها، ورضيع يحتاج إلى رعايتي.

كان لدى مين أربعة صبيان، أصغرهم لا يزال يضع الحفاض، ومع ذلك كانت تحضر كلما احتجت إليها، وعندما لم أستطع النهوض من الفراش، كانت تصطحب بيلا إلى المدرسة صباحاً، وتتأكد من تناول الطعام، لقد ساعدتني على تجاوز مرحلة الطلاق الذي حطم قلبي من خلال العثور على محامٍ بارع، وترتيب أغراض أندرو وإرسالها إليه، والعودة إلى العمل باندفاع أكبر. كما استمعتُ إليّ بصبرٍ، وأنا أنتحب، وأذرف الدموع في كأس النبيذ محاولة استيعاب ما حصل، وعندما بدا أنني انغمست في يأسٍ، أعطتني الجرعة التي احتجت إليها من الحب الصادق، والتي أعادتني إلى الحياة مجدداً.

إن أكثر ما صعب على مين قبله، كان حاجتي إلى نسيان الماضي ومسامحة أندرو، ولكن معاداتها الكبيرة له كادت أن ترهقها تماماً، كإنكار والدتي المستفز عودته إليّ تماماً، فقد حطم أندرو قلبي، ولكن ذلك مضى عليه أربعة أعوام، وإن لم أتخطُ مرارة فقدانه فستلهمني الأحزان، كما لا يزال والد ابنتي بيلا وابني تولي، وهما يحبانه كثيراً.

مهما يكن رأي مين، فأنا لست الضحية، ولا أشكل لقمة سائغة، وقد تعلمت التأقلم مع وجود كاز الذي يسمّ حياتي، فليس لدي خيار آخر، فهي متزوجةٌ بوالد ولدي، وابنها هو أخوهما غير الشقيق، وسواء أعجبني الأمر أم لم يعجبني، فإن ذلك يجعلها فرداً من أفراد العائلة. قلتُ بصوتٍ مستسلم: "أرجوك مين، تجاهلي الأمر، إنها عطلة نهاية أسبوعٍ واحدة، وأعتقد أنه يمكننا

تجاوزها من دون أن يقتل أحداً الآخر".

قالت مين من أجل تغيير الموضوع: "لدينا ما يقارب سبعة أسابيع، وأعرف نظاماً غذائياً رائعاً، وأنا واثقة بأنك ستجدينه سهلاً، وسيتيح لك فقدان أربعة عشر باونداً من دون بذل جهد كبير، وكنت سأعيرك ثوباً من أثوابي كي ترتديه في الاحتفال، ولكنك فارعة القامة".

سمعت وقع أقدام صغيرة في الطابق العلوي، فأغلقت باب المطبخ حتى لا يسمعي أحد: "اسمعي يا مين، أنا لا أحاول منافسة كاز، فما حصل لا يمكننا تغييره، كما أنها تبلغ من العمر تسعة وعشرين عاماً، وهي تشبه عارضات الأزياء، بينما ثدياي يُجريان سابقاً لبلوغ سرتي، حتى إن شحمتي أذني ارتسمت عليهما التجاعيد، قد أستطيع بذل جهد من أجل الحمية، ولكن ذلك لن يمنحني عظام وجنتين رائعتين كالتي تمتلكها"، ثم تنهدت وتابعت كلامي قائلة: "أقدر صفاء نواياك، وكلامك المشجع، ولكن وإن استطعت تحمل تكاليف التحول الجذري الذي يقوم به المشاهير، فما المغزى منه؟ وكيف يمكن أن أسهم في أن أشتت عائلة كيت في الوقت الذي لن أتمكن من أن أساعد أحداً من خلال القيام بذلك في الوقت الحالي؟".

"سيلتم شمل عائلتك".

"لا، لن يحصل ذلك أبداً".

قطبت مين حاجبيها، وقالت: "أنت لطيفة أكثر مما يلزم".

حدقتُ إلى الدعوة الموضوعية على الرف، وأنا أفكر في أنه كان بيني وبين أندرو اتفاقاً، وهو لا يشمل قبول دعوات الاحتفال باليوبيل الذهبي لزواج والدي، أو الاقتراب بأي شكلٍ من الأشكال من أي فرد من أفراد عائلتي، ولكنه خرق الاتفاق مع أنني أبلغته بعواقب القيام بذلك.

قلتُ لها، وأنا أقلب الدعوة على وجهها الآخر: "في الحقيقة يا مين، أنا لست لطيفةً إلى الحد الذي تعتدينه".



### الفصل 3

مكتبة

t.me/soramnqraa

كاز

كانت أنجي تجلس في زاويتنا المعتادة في حانة تشيلسي بوتز، وعندما وصلت كان الازدحام شديداً، والناس يتدققون من الداخل إلى الخارج، فاستغرقتني شقّ طريقي بين الحشود للوصول إليها بضع دقائق.

قلتُ متجهمة الوجه، بينما كانت تناولني الجن والشراب الغازي الفوار: "كنت أفضل أن يكون هذا المشروب مزدوجاً".

رفعتُ حاجبها المثقوب، وأنا أشرب المشروب دفعةً واحدةً، ثم قالت: "هل كان يومك صعباً إلى هذه الدرجة؟".

ارتيمت على الكرسي الذي حجزته لي، ووضعتُ هاتفي المحمول على البار لأتمكن من سماعه في حال اتّصل بي أندي، وقلت لها: "بل إنه أسبوعٌ صعب بالكمال، ولا نزال في يوم الخميس، لن تصدّقي ما سأقوله لك، ستكون تينا ماردوخ منسقتي في العمل على حساب يونيفست".

صفرّت أنجي مستغربة، وقالت: "من المؤكد أنك تمازحيني، كيف استطاعت أن تفعل ذلك بحق الجحيم؟".

أومأتُ إلى النادل طالبة مشروباً آخر، ثم رفعتُ شعري بمشبكٍ فضي، وقلت لها: "لقد حظيت بترقية منذ أن غادرتنا، ثم انضمتُ إلى يونيفست، ولكن الذي لا أستطيع التغاضي عنه هو موافقة باتريك على عودتها، بعد أن دمّرنا في حملة تيتروتيك الإعلانية، فكان ينبغي أن يفرض عليها ذلك البقاء بعيدة عن المبنى مئة متر".

مدّت أنجي يدها إلى وعاء الفستق، وهي تقول: "إذا كان هو المسؤول، فأنت عالقة بالعمل معها، هل تعتقدين أنك تستطيعين العمل معها؟".  
أجبتها: "لقد رفضت كل فكرة قَدَّمْتُها إليها، وشكّنتني إلى باتريك سرّاً، كما أنها تصرّ على إحضار مستشار علاقاتٍ عامة من الخارج، وأتمنى حينها أن يعفوني من المهمة، ويعطوها لشخصٍ آخر".  
"لا، أنت لا تؤدّين حصول ذلك".

نظرتُ إلى شرابي متجهمة الوجه، وقلت: "لا، لا أتمنى حصول ذلك، فلن أدعَ تينا تفوز، ولكن إن استمرّت الأوضاع على حالها، فسيتتهي الأمر بموت إحدانا".

في المرة الأخيرة التي عملت فيها مع تينا ماردوخ أو الوحش الأسود، كادت أن تتسبّب في طردي، والمفارقة الصارخة أنها كانت من قدّمت إليّ فرصتي الكبيرة في مجال الإعلانات، فرشحتني للمشاركة في حملةٍ كبرى عندما كنت مستجدةً في وايتفיש، واعتبرت نفسها مرشدتي، فقدّمت إليّ عرضاً سخياً تدعم فيه الفكرة التي اقترحتها، وهي التآخي ومساعدة الشابات على ارتقاء السلم الوظيفي، ثم عزّفتني إلى أندي في حفل جمع التبرعات التابع للجمعية الملكية للرفق بالحيوان، والذي كان برعاية وايتفיש، وعلى الرغم من أن أندي لا يتذكّر لقاءنا الأول، ولكن عندما أعلنّا علاقتنا بشكلٍ رسمي، ساءت علاقتي بتينا على الفور، ربما لأنها كانت معجبةً به، وتریده أن يرتبط بها، ومهما كان السبب الذي أزعجها، فقد نوت لي الشر منذ ذلك الحين.

لم أعدَ عرضاً ترويجياً لحملة يونيفست حتى الآن، فما بالك بالنسبة إلى تقديمه، ولكن تينا تصر على وضع خطة ترويجية مكتوبة، ونسخ تفاصيل برنامج العمل، وإجراء تحليلٍ كاملٍ للميزانية بحسب المنطقة، وتنسيق وسائل الإعلام في نهاية هذا الشهر، على الرغم من أنها تدرك تماماً أن تحضير كل

ذلك يعدّ أمراً مستحيلاً.

يهدّد مديرنا الخلاق نولان بتقديم استقالته، كما يهدّد باقي الموظفين المبدعين أيضاً بالاستقالة، فهم جميعاً يعلنون تمردهم، وهم يقفون على حافة الانهيار، وكما أشار أندي ليلة البارحة ببرودٍ عندما انتهت من الصراخ، إلى أنهم مقرزون في أفضل الأحوال.

ضربت أنجي كأسها بكأسي، وقالت لي: "تباً لهم".

"نعم، تباً لهم".

قشّرت أنجي حبة فستقٍ أخرى، ورمت القشر في الوعاء نفسه، وسألّني: "هل ستكونين في البلدة في نهاية هذا الأسبوع؟ فستعزف فرقةً رائعة ليلة السبت في بوردرلاين".

تجهّم وجهي، وقلت لها: "لن أستطيع مرافقتك، فسنكون في برايتون".  
"اللعنة، هل ستلتين تلك الدعوة؟".

"لا بد أن يقضي أندي عطلة نهاية الأسبوع برفقة الولدين".

"ألا يستطيعان القدوم إلى منزلكما؟ يمكن أن ترعاهما أختي طوال الليل".

مددت يدي عبر الطاولة، وسحبت وعاء الفستق، ثم تنهّدت بعمق، وأنا أقول لها: "لن تسمح لهما لويز بالقدوم، تقول إنهما لا يزالان صغيرين جداً على السفر بواسطة القطار وحدهما، إلا أنني أدرك أن منطقتها سخيف للغاية، فيلاً أصبحت في سنّ السادسة عشرة، وعندما كنت في عمرها، كنت أسافر وحدي إلى جزيرة كريت، ولكن إن وضعنا في الحسبان أنه بالكاد لدينا مساحة تكفي لترجح قط في شقتنا، وأنه لا يمكننا أن نوفّر أمكنة نوم لثلاثة أولاد، وأنه سيتعيّن على كيت أن يتقاسم الفراش مع تولي، وستنام بيلا على الأريكة، وتنشر قذارتها في كل مكان، فعلى الأقل سيحظون جميعهم بغرف نومٍ خاصةٍ بهم في برايتون".

"يا إلهي، لا أعرف كيف يمكنك أن تتحملي كل ذلك".

"لا أملك فرصة الاختيار، فهما ولدا أُندي".

رمقتني أنجي بنظرة حادة، ورفعت حاجبيها الغريبين اللذين يخفيهما تقريباً شعرها الأسود، فقد كنا أعزّ صديقتين منذ أيام المدرسة الابتدائية في داغنهام، وهي تعرفني أكثر من أي شخص آخر، بما في ذلك أُندي، ثم تقطعت بنا السبل خلال المرحلة الجامعية، بعد أن التحقت بالجامعة في بريستول، بينما تابعت دراسة الموضة في سانت مارتنيز، ولكننا لم نعد نفترق منذ أن عدت إلى لندن.

لا تشبه إحدانا الأخرى أبداً، فأنا طموحةٌ ومندفعةٌ ومتحمسةٌ دوماً للقيام بالعمل، أما هي فلا تفكر في اللحظة التي تلي جولة المشروبات التالية، والفكرة التي كوّنتها عن تقليد الأظافر تنطوي على استخدام سكينٍ حادة، ولكنها عرفت والدتي قبل الحادث الذي تعرّضت له، وهي تعرف تماماً البيئة التي أتيت منها، وما الذي تعين عليّ فعله لأصل إلى ما أنا عليه الآن، وبالإضافة إلى أُندي وكيث، تعدّ فرداً من عائلتي الحقيقية الوحيدة.

تدرك أنجي تماماً أن إنجاب الأولاد لم يكن أبداً جزءاً من خططي، فما بالك بالتعامل مع ثلاثة أولاد، كما أن لويز أبلت بلاء حسناً عندما حملت بتولي، فكادت أن تنجح في مسعاها أيضاً.

تأوّهتُ حين أومض هاتفي المحمول، فقلت لأنجي: "ما إن ذكرنا اسم الشيطان، حتى اتّصلت ساحرة الغرب الشريرة".

"ما الذي تريده منك؟".

لقد بدت نبرة صوتي متزنة، ولكنني شعرت بالتوتر، وباضطراب في معدتي: "الله أعلم، لا يزال الوقت مبكراً بعض الشيء على جعلتها المعتادة، فلا بد أنها شربت النبيذ قبل الموعد المحدد".

"تجاهليها، يا كاز، ودعي البريد الصوتي يتدبر أمر مكالمتها".

لقد أغراني اقتراح أنجي بتنفيذه، ولكن الشعور بالذنب انتابني على الفور، فالمرأة التي تقرّر أن تصبح عشيقه أحدهم، ستبقى عشيقته دائماً، فلا يهمني كم كانت لويز غير منطقية، أم كونها من دفعت أندي إلى إنهاء زواجه بها، ولكن بطريقةٍ ما سأكون مدينةً لها دائماً.

"لن تكف عن الاتصال، لذا من الأفضل أن أدعها تخرج ما في جعبتها، هلاً راقبتِ حقيقتي من فضلك".

نهضتُ عن الكرسي، واتّجهت إلى آخر الحانة بالقرب من دورات المياه حيث يكون الجو أكثر هدوءاً: "مرحباً لويز".

ردّت لويز بحدة: "هذه هي المرة الثالثة التي أتصل فيها بك، عليك بإبقاء هاتفك متاحاً، فأنت لا تعلمين ما قد يطرأ".

شعرت بالضيق يعتصر صدري، وقلت لنفسي: "تنفّسي بعمق"، ثم أكملتُ كلامي قائلة: "ولكن هاتفني كان متاحاً...".

"حسناً، لا تهتمّي بما قلته الآن، فلا أملك وقتاً كافياً لأعلمك كيف تكونين أمماً صالحة، فأنا متأكدة من أنك تجهلين ذلك، ولكن مسرحية بيلا يوم السبت، وقد طلبت إليّ أن أتصل بك لتأكيد حضور أندي".

اللعنة، لقد فاتني الأمر تماماً، ولكنني كذبتُ عليها قائلة: "بالطبع لم ننسَ الموعد، كما أننا نتطلّع إلى حضورها".

"إنها في الساعة السابعة مساءً، وعليكما الوصول باكراً، إن كنتما تريدان الجلوس في المقاعد الأمامية".

"حسناً، سنحضر في الوقت المناسب، ليكون لدينا متسعٌ من الوقت للجلوس في المقاعد الأمامية".

أضافت لويز قائلة: "أخطط ومين لاصطحابها إلى مطعم كول شيد للاحتفال بعد انتهاء المسرحية، فهي تستحقّ معاملةً خاصة، بما أنها تؤدي أول دورٍ رئيسي لها".

يا له من إسرافٍ بالنسبة إلى شخصٍ مفلسٍ! فمطعم كول شيد هو أحد أفخم المطاعم والأعلى في برايتون، فلا تكفت لويز عن إزعاج أندي من خلال الإلحاح على رفع مبلغ إعالة الأطفال، على الرغم من أنها تعمل بدوامٍ كامل، ويبدو أنها تعتقد أننا نعيش في ترف ورفاهية، ولكنها لا تعلم أن السبب الوحيد الذي جعلنا نمتلك منزلين، هو أنني اشتريت شقة فولهام قبل وقتٍ طويلٍ من لقائي بأندي، وما كنا سنتحمل كلفة شرائه وشراء منزلنا في برايتون بالين في الوقت الحالي.

يتقاضى أندي راتباً مقبولاً مقابل عمله مديعاً في نشرة الأخبار المسائية في آي إن إن، ولكنه ليس راتباً كبيراً كما تعتقد لويز، وعلى الرغم من كل ذلك، فهي تحصل على ثلثي ما يكسبه تقريباً، إضافة إلى نفقة إعالة طفلها وتكاليف الرسوم المدرسية الخاصة بهما.

فجأة، فكرت في أن عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة إلى أندي تعني أن يمضيها برفقة أولاده الثلاثة في مطلق الأحوال، وأنه سيكون من الأفضل بالنسبة إليّ أن أكون برفقة أندي وكيت وحدنا خلال تلك العطلة، ولكن ذلك سيجعله يستاء مني، وسيلومني على حرمانه من قضاء عطلته برفقة أبنائه جميعاً.

قلت لها بلباقة: "أسفة، يا لويز، ولكنها عطلة نهاية الأسبوع، وأعتقد أن أندي وضع خططاً لاصطحابهم لتناول العشاء في مكان آخر".  
"حسناً، يمكنه تغيير خططه، أليس كذلك؟".

نوهتُ بأهمية اجتماعه بولديه وحدهما: "إنه لم يرَ الولدين منذ أسبوعين، ويودّ قضاء بعض الوقت برفقتهم".

صرخت لويز، وقد تبخّر تظاهرها بالدمائة: "وما الذي يهّمك أنت؟ فهما ليسا ولديك، وبيلا ابنتي وينبغي أن أرافقها لتناول العشاء في ليلتها المميزة،

والتي كانت ستقضيها برفقة والديها معاً، لولا إفسادك حياتهما بعد اقتحامها  
عنوة".

"رجاءً لويز....".

"سأتصل بأندي، فكان يتحتم عليّ أن أهاتفه منذ البداية، ولا أعرف ما  
الذي كنت أفكر فيه، فهو العازف الرئيسي الذي أحتاج إلى أن أكلمه، ولا  
حاجة لي بقرده".

"نعم، يُستحسن أن تفعل ذلك".

أنهيت المكالمة بحركة خاطفة، ثم احتضت معدتي، وأنا أشعر بحموضةٍ  
في حلقي، فاضطراري إلى التعامل مع تينا في العمل يعدّ سيئاً، ولكن على  
الأقل يمكنني إبعادها عن غرفة نومي، بينما لا مهرب من طليقة أندي.

مضى على انفصالهما أكثر من أربع سنوات، ولكن لا يبدو على لويز  
أي علاماتٍ تدلّ على المضي قدماً في حياتها، وإذا حصل أي تغيير، فهو  
ازديادها سوءاً، بعد أن تضاعف حجم الانتقادات التي توجهها إليّ، ولجوتها  
إلى غسل دماغي بيلا وتولي لتأليهما عليّ، إضافة إلى شعور أندي بتأنيب  
الضمير المستمر، ولم يعد عليها إلا أن تومئ إليه بإصبعها حتى يعود إليها  
راكضاً، بالإضافة إلى المكالمات الهاتفية المؤثرة، ففي بعض الأحيان تجهش  
بالبكاء طوال المكالمة، وهي تستعظني لأتركه يعود إلى أحضانها، وفي أحيانٍ  
أخرى تصبح عليّ مطلقة مختلف أنواع الشتائم والإهانات، إلى أن تنتهي  
المكالمة بأن أذرف الدموع بدلاً منها في معظم المرات، إنها ذكية بما يكفي  
للاتصال بي عندما تدرك أن أندي لا يزال في العمل، أو أنه يعمل في مكان  
بعيد، كما أنها تدرك تماماً أنني لن أتفوّه بكلمة، وإلا فسأبدو مثل وضیعة  
غيورة، وما يزيد الأمر سوءاً أنها تتصرّف بلطفٍ عندما نلتقي، حتى إن أندي  
أثنى على مدى التقدم الذي أحرزته علاقتنا، وبعد كل ما فعلته به وبنا ما زال  
لا يملك أدنى فكرةٍ عن حقيقتها.

تفاجأت بأن رؤيتي أصبحت ضبابية، فأنا متعبة جداً من القتال المستمر، وخوض المعارك حول المال الذي ستحصل عليه، أو حول السماح للولدين بقضاء العطلة في منزلنا، ولو كانت لديّ أية فكرة حول ما سيؤول إليه حالي لفكرت مرتين قبل أن أقبل الزواج بأندي، كلا، ما كنت أستطيع رفض عرضه، بل كنت مستعدة لأمشي على الجمر لأجله، ولن أسمح لتلك المرأة الوضيعة بالإيقاع بي في شباكها، وكل ما في الأمر حالياً أنني متعبة.

التقطت حقيبتني عن الكرسي، وأخرجت ورقة من فئة العشرين من محافظتي، ووضعتها على البار، وقلت لأنجي: "أنا آسفة، أنجي، عليّ الذهاب في الحال، فلوييز في طريقها إلى ساحة المعركة، وقد نسيت كلياً عرض مسرحية بيلا يوم السبت، كما سيتعين عليّ العمل الليلة بجد للتعويض عما أضعته من الوقت، وإلا فلن أتمكن من إنجاز ما عليّ تسليمه يوم الاثنين".

هزّت أنجي كتفيها، وقالت: "لا عليك، أتفهم ذلك، وسنكمل حديثنا الأسبوع المقبل، هل أنت موافقة؟".

قبلتُ وجنتها، وقلت لها: "أنت امرأة عظيمة".

ابتسمت ابتسامة عريضة، وقالت لي: "أعلم ذلك، في الحقيقة أنت تسدين لي معروفاً، فتلك الفتاة اللطيفة التي ترتدي الثوب الأخضر، والتي تجلس إلى جانب النافذة، ترمقني بنظراتها الفاحصة منذ أن جلست على ذلك الكرسي"، ثم أرسلت لي قبلةً عبر الأثير، بعد ذلك شققْتُ طريقي بين حشود الناس في اتجاه الرصيف، وما إن خطوت ما يقارب عشر خطواتٍ حتى رنّ هاتفني.

تنهدتُ وأنا أحاول أن أسيطر على توترتي، وقلتُ: "أنا آسفة، يا أندي، ما كان ينبغي لي أن أنهى المكالمة بفظاظة مع لوييز، ولكن جو الحانة كان صاخباً جداً، واعتقدت أنه سيكون من الأسهل أن....".

"أين أنت بحق الجحيم؟".



"أنا في طريقي إلى محطة مترو الأنفاق، وسأكون في المنزل خلال نصف ساعة....".

قال أندي باقتضابٍ: "كان يفترض أن تحضري كيت عند الساعة الخامسة".

تسمرتُ في مكاني، وقلت له: "لقد أخبرتني بأنك ستصطحبه".  
فقد أندي أعصابه، وقال غاضباً: "لقد قلتُ إنني سأبذل جهدي، واتفقنا على أن تصطحبيه، ما لم أبلغك بخلاف ذلك، ألا تذكرين ما اتفقنا عليه؟ كما أنني أرسلت لك بريداً صوتياً لأُعلمك من خلاله أنني لن أستطيع الحضور، ألا تتحققين من رسائلِك؟".

"يا إلهي، أنا آسفة حقاً....".

"لقد تلقيتُ تَوّاً مكالمةً من مربيته في أثناء تسجيل مقابلة مهمة، وعلينا الآن أن نعيدها برمتها، كما قالت غريتا إنها ذكّرتك هذا الصباح بضرورة اصطحابه في الوقت المحدد، كي تتمكن من اللحاق بصفها المسائي".  
"هل لا يزال برفقتها الآن؟".

"لا، فقد طلبتُ إلى ليلي أن تحضره، وستستضيفه في منزلها برفقة التوأم إلى أن تعودني إلى المنزل".

لقد شعرتُ بأنني أسوأ أمّ في العالم، وأنا ألوّح بيدي لسيارة أجرة، ثم قلت لأندي: "آسفة، يا أندي، كان عليّ أن أتحدّق من هاتفي، اعتقدت بصدقٍ أنك....".

"لستُ أنا من عليك تقديم الاعتذار له، فقد أبلغتني غريتا بأنها لن تجالسه مرة ثانية، لأنك لم تصطحبيه في الموعد المحدد....".

ثم سمعتُ صوت أحدهم يناديه، فتابع كلامه قائلاً: "اسمعي، عليّ إنهاء المكالمة، وإعادة تسجيل المقابلة، وسيكون عليك تسوية الأمر مع غريتا، وإن لم تقبل عرضك، فعليك منذ الآن أن تبحثي عن شخص آخر يعتني بكيت".

ركبت سيارة الأجرة، وجلستُ في المقعد الخلفي، ثم أعلمتُ السائق بعنوان منزلي، ورحت أحذق عبر النافذة إلى الخارج، بينما كنا نسلك الطريق المؤدي إلى كينغز. فلم يقل لي أندي إن ذلك ما كان ليحدث أبداً، لو كان كيت يعيش في كنف لويز، وبصرف النظر عن شدة فوضوية الأسبوع الذي تعيشه، إلا أنه لم يكن بحاجةٍ إلى التصريح بذلك، فكلانا نعرف أن هذا ما كان يجول في خاطره.

## الفصل 4

### لويز

سألت بيلا: "لقد ذكّرتِ أبي بموعد المسرحية غداً، أليس كذلك؟".  
وضعتُ أمام تولي طبقاً من المعكرونة على شكل حلقات، وسحبتُ خبز  
بيلا المحمص مع الجبن من الشواية، وحتى يحين الوقت الذي أتقاضى فيه  
راتبي، سيكون هذا طعامنا، إضافة إلى حبوب الفاصولياء المطبوخة.  
"لقد أخبرتُكِ، يا عزيزتي، إن والدكِ يسجّل مقابلة لبرنامج، وقد حولني  
هاتفه مباشرةً إلى البريد الصوتي، ولكنني بعثت إليه رسالة نصيةً، كما تركتُ  
له رسالةً أخرى مع سكرتيرته".  
ارتمت بيلا على الكرسي في المطبخ، وقد تدلّى كمّا سترتها السوداء  
الطويلان إلى طبقها، بينما كانت تتناول عشاءها بارتياب، لا ألومها على  
ارتيابها، إذ لا ينبغي أن يكون لون الجبن أصفر إلى هذه الدرجة.  
"هل لدينا صلصة ورشترشير؟".  
مررتُ لها العبوة، ثم أضافت بيلا قائلة، وهي تضع طبقةً كثيفةً من  
الصلصة على طعامها: "اتصلي بكاز واطلبي إليها أن تذكره، وإلا فسينسى  
أن يحضر في الموعد".  
"لقد تحدّثتُ إليها البارحة وذكّرتها بموعد المسرحية، ولن ينساه والدك،  
فاطمثني، يا عزيزتي".  
"هل أكّدت أنهما سيحضران؟".  
"لقد وعدتني بذلك".

رمقتني بيلا بنظرة فاحصة، وسألتنى: "هل تحدثت إليها بلطف يا أمي؟".  
تردّدتُ في الإجابة، فأنا أتصرّف برقي مع زوجة أندرو الثانية عندما يتعيّن عليّ فعل ذلك، ولكنني وأندرو نتخذ عادة الترتيبات اللازمة لزيارات الولدين في عطلة نهاية الأسبوع. إن فكرة التقاطي الهاتف بإرادتي الكاملة، والطلب إلى كاز التأكد من أن والد ابنتي لم ينسَ موعد مسرحية المدرسة، أثارت مشاعر سوداوية قاتمة، اعتقدت أنني تجاوزتها، ولعلي لم أكن على درجة كافية من التحضر كما ينبغي لي أن أكون عندما تحدّثت إليها.  
قلتُ لها: "بالطبع".

"هل تستطيعين معاودة الاتصال بها للتأكد من حضورهما؟"  
"بالتأكيد".

فصلت هاتفي عن الشاحن الذي كان على المنضدة، وقلت لها: "تأكّدي من تناول تولي النفاق وحلقات المعكرونة، وسأعود في غضون دقيقة".  
غادرت المطبخ، وسرتُ في اتجاه حديقة الخضراوات، لأكون على يقين من أن أحداً لن يستمع إلى المكالمة التي سأجريها، ثم خطوت خطوات حثيثة، وأنا أشقّ طريقي بين شتلات الفاصولياء، وهاتفي المحمول في حوزتي. إنني أشعر في كل مرة أتصل فيها بكاز بأني هُزمت هزيمة شنيعة، وتنازلت عن مساحةٍ عائليةٍ قيّمة؛ فطلب مساعدتها، يضيفي الشرعية على دورها في تربية ولديّ، ولكن بيلا تحتاج إلى حضور والدها لمشاهدة المسرحية، بعد أن حصل طلاقنا في أكثر مرحلة حرجة من حياتها، وهي على أعتاب مرحلة المراهقة، وكل رجل سترتبط به من الآن فصاعداً سيخضع لنموذج العلاقة التي تربطها بأندرو، ولا أريدها أن تكبر، وهي تبحث عن الاهتمام، لشعورها بالحرمان من عاطفة الأب بسبب خذلانه لها.

حفرت أظفري أشكالاً هلاليةً على راحتي يديّ من شدة الغيظ، فلم تكن هذه المرأة تعرف ابنتي خلال أعوامها الاثني عشر الأولى من حياتها، وقد

شئت عائلة ابني حتى قبل أن ينطق بكلماته الأولى، ومع ذلك لديها الآن حق المطالبة بهما شرعاً، ومناصفتي طفولتهما التي تعدّ الأعلى على قلبي، مع أنها توشك أن تنقضي بسرعة قصوى. لقد تعاملت مع حقيقة أنني فقدت زوجي لصالح تلك المرأة، ولكن فكرة تأديتها دوراً في تربية ولديّ تطعنني في الصميم.

اتصلتُ برقم هاتفها، ولحسن حظي، تحوّلت المكالمة إلى البريد الصوتي، فأنهيت الاتصال من دون ترك أية رسالة.

على الرغم من ذلك لا أزال حانقةً على حقيقة قضاء الوقت برفقة كاز في ليلة بيلا الكبيرة، ولا أفتأ أذكر نفسي بأن ذلك لا يتعلّق بي، فما يهمّ حقاً هو أن يكون أندرو إلى جانب بيلا.

عندما عدتُ أدراجي إلى المنزل، كانت بيلا قد صعدت إلى الطابق العلوي تاركةً طبق الجبن الممدود على الخبز المحمص على الطاولة من دون أن تمسه، بينما كان تولي يزحف على الأرض محاولاً أن يطعم باغبس النقانق، فوبّخته بعد أن أنقذت القط من بين يديه، ووضعته على الأريكة القديمة المفروشة بوبره أمام الباب الخلفي: "دعه وشأنه، سيمرض إن أكل النقانق".

قال لي تولي: "وسأمرض أنا، إذا أكلتها".

"إنها هوت دوغ، وليست نقانق، وأنت تحبّ الهوت دوغ".

"لا، لا أحبّها، إنها تشبه القضبان".

"بارثولوميو!".

قهقهه تولي، وغطّى فمه بيديه المكتنزتين، واللتين لم تفقدا دهون الطفولة بعد، ورقصت عيناه البنيتان بخبثٍ ومكر، فحاولتُ أن أحافظ على تعابير وجهي الصارمة، ولكن ذلك بدا مستحيلاً، بعد أن بذل تولي جهداً كبيراً ليوقف على قدميه، ثم انطلق نحوي بأقصى سرعةٍ ممكنة، فتعثرنا وسقطنا ضاحكين

على الأريكة، بينما قفز باغبس بعيداً متجنباً وقوعنا عليه. أخيراً، استكان طفلي الصغير في حضني، فمسدتُ شعره الكثيف ذا التجاعيد الصهباء، وقلبي يفيض بمشاعر الحب الجارفة نحوه.

تولي هو طفلي البهي الذي وُلِدَ بغتةً، وأنا في خريف عمري، فقد نجح في القدوم إلى الحياة بشق الأنفس قبل أن أبلغ سن الأربعين بقليل، فلم أتوقع أن أنجب طفلاً آخر بعد المشاكل التي كابدتها في حملي الأول. لقد أجهضت مرتين قبل أن أحمل بييلاً، ثم فاجأني المخاض في الأسبوع الخامس والثلاثين، وبعد اثنتين وسبعين ساعةً من الانقباضات المستمرة، وتناول العقاقير، وتعليمات الدفع والشهيق والزفير، وبذل المحاولات المتكررة، نُقلت أخيراً إلى غرفة العمليات لإجراء عملية قيصرية، كان يُفترض أن أجريها قبل يومين، فوُلِدَت بيلاً بصحة جيدة، وكان وزنها يبلغ ستة أرطالٍ ووقتيتين، وبعد الفحص الأولي لم يكن من داعٍ إلى وضعها في وحدة العناية المركزة المخصصة لحديثي الولادة، ولكنني فقدتُ كميةً كبيرةً من الدماء، بعد أن تمزق الرحم نتيجة الدفع بقوة وبذل المحاولات الكبيرة لولادتها، وقد حذرنِي طبيب التوليد من محاولة إنجاب المزيد من الأطفال، مع أن ذلك لا يعني أنه يُحتمل حدوثه على أية حال.

كان لديّ طفلةً جميلةً وبصحة جيدة أضمتها إلى صدري كل يوم، وكلما شعرت بالحزن لخسارة فرصة إنجاب أطفال آخرين كنت أكتفي بالنظر إلى عينيها الزرقاوين العميقتين، لأشعر بالامتنان لما حظيتُ به حقاً.

منذ خمس سنوات، فاتتني الدورة الشهرية، ولكنني لم أعر الأمر اهتماماً في ذلك الوقت، إذ كانت صحيفة البوست تجري عمليات إعادة هيكلة رئيسية، ومن أجلها دُرست فوائض الإنفاق، وكأي مؤسسة إعلامية عريقة أخرى، حاولت التنافس مع مصادر الأخبار الإلكترونية. أما بالنسبة إلى الأمور الأخرى فكان ما يحصل لي في حياتي، قد جعل مستويات توتري في أوجها،

ثم مضى شهر آخر فاتتني خلاله الدورة أيضاً، وبعد ذلك لم أستطع تحمل رائحة البيض، وبدأت معالم جسدي تزداد أنوثةً بسرعةٍ قصوى، لقد ألقى إليّ بحبل النجاة في اللحظة التي ظننتُ فيها أنني أغرق.

علمتُ منذ البداية بأن فرص نجاح الحمل ضئيلة، لأن تقدّمي في العمر، وتاريخي الطبي لا يبشّران بالخير، وعندما عاين الطبيب النسائي جنيني في عمر العشرة أسابيع، أصرّ على أن أتخلى عن العمل، لأنني بحاجة إلى الراحة قدر الإمكان، إلا أن التخلي عن العمل في الصحيفة في ذلك الوقت يعرّض مستقبلتي المهني لخطر كبير، وإن كانت الإجازة لأشهرٍ قليلةٍ فقط، وخاصةً في فترة يكثر فيها الموظفون الراغبون في الحصول على فرص العمل، بالإضافة إلى استعداد الشباب الذين يعملون بدوام جزئي للعمل بنصف أجر ومن دون أن يكسبوا ميزات خاصة. لكنني لم أتردّد في ترك العمل، لأن كل ما كان يهمني في ذلك الوقت هو ولادة طفلي بصحة سليمة، وبطريقةٍ ما تمكّنتُ من الحفاظ على تولي آمنًا، وما إن وصلتُ إلى الثلث الثاني من الحمل، حتى تلاه الثلث الأخير، وقد بدا وضعي الصحي في تلك الفترة على ما يرام، وكان الطفل بصحةٍ جيّدةٍ، وقد أظهرت جميع فحوصي أن وضعه كان طبيعياً، ثم اجتزت أسبوعي الخامس والثلثين فالسادس والثلثين ثم السابع والثلثين، وفي الأسبوع الثامن والثلثين أوصلتُ بيلا إلى المدرسة، ولكنني انهرتُ في وسط الملعب، ولولا الإجراءات السريعة التي اتخذها أحد آباء التلاميذ الذي كان طبيباً، وتمكّنه من أن يتعرّف إلى علامات تسمّم الحمل، فما من شك أنني كنت سأفقد حياتي أنا وتولي.

لا أتذكّر ما حصل خلال الأيام العشرة التي تلت ذلك، ولكن لديّ بعض الذكريات المشوشة عن نقلي إلى المستشفى بواسطة سيارة الإسعاف، وصوت صافرتها ووميض ضوئها، ووجه أندرو الأبيض، وهو يجري على

طول الممر، بينما كانوا يدفعونني إلى غرفة العمليات، وهو يضغط على يدي إلى درجة أنني شعرت، وكأنه سيكسر أصابعي. ولد تولي سريعاً بعد إجراء عملية قيصرية، فكان بصحة جيدة، ولكن الأطباء واجهوا صعوبة كبيرة في جعل وضعي يستقر، وخاصةً بعد ارتفاع ضغط الدم، وتوقف عملية تخثر الدماء بشكل سليم.

عندما بدأت بعض أعضائي تتوقف عن العمل، طلب الأطباء إلى والدي وأندرو أن يتجهزوا للحصول الأسوأ، حتى إنهم أحضروا بيلا لتودعني، ولا أستطيع أن أتخيل كم كان صعباً على فتاة في عمرها أن تواجه مرارة فقدان والدتها.

كان وجه أندرو أول ما رأيته عندما استعدت وعيي، كان نائماً على الكرسي إلى جانبي متوسداً سترته المكومة تحت رأسه، ولا يزال ممسكاً بيدي، وكأنه لم يفلتها أبداً، وقد بدا يشبه صورة باللون الرمادي، وقد تقدم في العمر عشر سنواتٍ عن آخر مرة رأيته فيها.

ثم فتح عينيه عندما تحركت يدي، وقال: "لويز".

لو كان لدي ذرة شك في حبه لتبدد في تلك اللحظة المؤثرة، فلم يسبق لي أن رأيته يبكي سوى مرتين، يوم وفاة والدته ويوم ولادة ابنتنا. ثم وثب من مكانه، وسكب لي كوباً من الماء من الإبريق الموجود إلى جانب سريري، ثم قرّب من شفّتي، وقال لي بقلقٍ: "لا تحاولي التكلم، فقد أدخلوا أنبوباً في جوفك، وستشعرين بألمٍ في حلقك لبعض الوقت".

"الطفل....".

"إنه على أفضل ما يرام، ومين تعتني به في المنزل، بينما كنت إلى جانبك أهتم بك وأرعاك طوال الوقت".

جلس بجواري على السرير، وأمسك بيدي مجدداً، وهو يحذر من القثطرة الوريدية الملصقة بظاهرها، وقال بصوتٍ أجش: "ظننت أنني فقدتك، أوه، يا



إلهي، لا تخيفيني عليك مرة ثانية، يا لو، فلا أحتمل العيش من دونك، فأنا أحبك كثيراً".

فجأة، امتلأت الغرفة بالمرضين، وأخذوا يتفحصون الرسوم البيانية، وأكياس المحلول الوريدي، ثم أجروا بعض التعديلات على أجهزة الآيباد ووجوههم عابسة، وهم يركّزون على أداء عملهم، فاتكأت على الوسائد، بينما كانوا يجوبون الغرفة حولي، وقد بدا عليهم الإرهاق الشديد، ثم ابتسموا ابتسامة خفيفة عندما قبل أندرو ظاهر أصابعي.

كان ابننا بأمان، ولن يضطرّ ولدانا إلى أن ينشأ من دون أم، فقد نجت عائلتنا، وسنكون أقوى وأصلب من أي وقت مضى نظراً لما كابدناه معاً، وستكون كل الأمور على أفضل ما يرام.

## الفصل 5

### كاز

أصدر كعب حذائي الأيمن صوت طقطقة حين خطوتُ خارج المصعد في ميدان سلون، فتعثرتُ، وكدت أقع على الأرض، فتحرّكتُ ذراعاي كطاحونة الهواء محاولةً الحفاظ على توازني: "اللعنة"، لم تُبدِ موجة الركاب أية رحمة، فتنخيت جانباً، وقبل أن أسقط على الأرض، اتكأتُ براحتي يدي على الحائط، وثنيتُ ركبتي إلى الخلف لأتحقق مما أصاب كعب حذائي، لقد انزع من مكانه بالكامل، ولن أتمكن من إصلاحه لسببين أولهما عدم وجود محل تصليح أحذية في الجوار، وثانيهما عدم وجود وقت يتيح لي انتظار إصلاحه، بالإضافة إلى أنني كنت متيقنة أنه لا يمكن إصلاحه بأية طريقة، لأنه لم ينفصل عن الحذاء فحسب، بل انقسم إلى قسمين.

إنه حذاء الجدات الطبي الذي لا أستغني عنه، والذي ابتعته من محلات إم أند إس، وهذا النوع من الأحذية هو ما أستطيع السير به بارتياح كبير فعلاً، وسأضطرّ الآن إلى قضاء بقية اليوم، وأنا أسير متأرجحةً في الأرجاء منتعلة الحذاء ذا الكعبين المدبيين بعلو أربع بوصات، والذي أحتفظ به في المكتب من أجل انتعالي لحضور المواعيد الليلية برفقة أندى، فوضعت حقيبتني على كتفي مرة أخرى، وترنّحت كالعرجاء، وأنا أسير على طريق كينغز.

اتخذ يومي منحىً مزرياً حتى قبل أن أحتسي فنجان قهوتي الأول، ففي البداية وصلتني الدعوة، ثم تعثرت في الصباح على ممسحة الأرجل، فتكومت ككتلة ضخمة ناتئة من البراز، والآن انكسر كعب حذائي، وفي أغلب الظن أن

سيليا روبرتس اللعينة، قد جلبت لي الشؤم من خلال تعويذةٍ ما من تعاويذ  
الفودو التي أرسلتها عبر بطاقة الدعوة التي استخدمت من أجل صنعها ريش  
الدجاج ودماء العذارى.

كان أي. جي ينتظرنى بقلقٍ في مكتب الاستقبال، ثم رافقني، وأنا أمسح  
بطاقتي عبر حاجز الكروم، ثم أتجه نحو المصاعد.  
"أين كنتِ؟"

ضغطتُ على زر المصعد بعصبيةٍ، وقلت له: "يا إلهي، إنها لم تتعدَّ  
الثامنة، فلم العجلة؟"

"بيذل باتريك قصارى جهده لاحتواء المشكلة، وستفهمين ما أعنيه عندما  
تصلين إلى قاعة الاجتماعات."

"أي جي، لستُ في مزاجٍ رائعٍ لتلك الألعاب."

"تينا ماردوخ في قاعة الاجتماعات."

نظرتُ إليه بحدّةٍ، وقلت له: "لا بد أنك تمزح، فموعد لقاء العميل ليس  
قبل حلول الأسبوع القادم."

"لقد قدّمتُ تينا الموعد."

حدّق أي. جي إلى حذائي، وقال لي: "ما الذي حلّ بحذائك؟"

"ألا تقرأ مجلة فوغ؟ إن موضحة الكعبين غير المتساويين ستكون رائجةً  
في الموسم المقبل، ولن تصدّق الضجة التي أثارتها لأحصل عليهما."  
"حقاً؟"

أنا أحب أي. جي مع أنه لم يكن لماحاً أبداً، ولكنه يبدو هذا الصباح  
مشتتاً بشكلٍ خاص، كما لاحظتُ أن عينيه حمراوان بشكلٍ يثير الريبة، فسألته:  
"هل أنت على ما يرام؟"

قال بسرعةٍ، ومن دون تردّد: "أنا بخير."

"أي جي..."

"لقد نشب شجارٌ صغيرٌ بيني وبين واين، ولا شيء يستحق الذكر، إنها مجرد مشاحنة بين الأحبة، هيا، من الأفضل أن نتحرّك، فباتريك ينتظرنا".

في الطابق العلوي، كان المكتب موحشاً كسفينة ماري سيلست، وقد اجتمع كل الموظفين بالفعل في قاعة الاجتماعات الزجاجية الموجودة في الجهة المقابلة للردهة. لمحني باتريك وأنا أبذل حذائي في مكثبي، فأوماً إليّ كي أحضر إلى القاعة، وأنضمّ إليهم، مع أنني كنت أكره المكاتب المفتوحة، ثم دسّ أي جي ملفاً في يدي، ثم توجهنا مسرعين إلى قاعة الاجتماعات.

حين أوكل باتريك إليّ هذه الحملة لم أكن لأتخيّل أن ينتهي بي المطاف بالعمل تحت إشراف تينا، فعندما كانت تعمل لصالح وايتفיש قبل سبع سنوات، كادت أن تدمر مسيرتي المهنية، وكنتُ أشغل حينها منصب مساعد مدير العلامة التجارية في تيتروتيك، وبينما كنا نعمل أشهراً على عرضٍ جديدٍ لأحد العملاء الرئيسيين، قدّمتُ وكالة إعلاناتٍ منافسة (جي إم في دي) عرضاً مطابقاً للعرض الذي أعدناه قبل يومين من الموعد المقرر لتسليمه، وإن افترضنا أننا من سرب الفكرة، فقد قامت تيتروتيك باستطلاع في (جي إم في دي)، وقد أُجريَ تحقيقٌ داخلي في وايتفיש للعثور على مصدر التسريب، فكنّ تُ الوحيدة التي شوهدت، وهي تتناول الغداء مرتين خلال الشهر المنصرم برفقة مدير أعمال (جي إم في دي)، وهذان الموعدان لتناول وجبات غداء برفقته، طلبتُ إليّ تينا شخصياً الاستجابة لهما، وقد نفت لاحقاً أنها من طلبت إليّ القيام بذلك. لقد أوقعت بي عمداً، عندما اكتشفت علاقتي بأندي، وأوشك باتريك على طردي من العمل، وقد استغرقتني الأمر وقتاً طويلاً لاستعادة سمعتي واحترامي.

قال لي باتريك بينما كنت أجلس إلى جانبه: "حسناً كاز، لم لا تبدئين بتقديم فكرة عامة حول ما توصلتم إليه في الحملة؟".

لم أحوظ حتى بفرصةٍ لأتحدّث إلى الفريق الإبداعي، فالتفت إلى المدير

الإبداعي نولان كايسي لينجديني، ولكنه كان ينظر إلى الجهة الأخرى، فتذّرت قائلة: "ما زلنا في المرحلة الأولى، وحالما تتشكّل لدينا فكرة أوضح حول ما تبحث عنه يونيفست...".

هدلت تينا، وهي تقول: "لكنك مديرة الحساب، أليست مهمتك إخباري بما أودّ معرفته؟".

طفح الكيل، فقلتُ لها بوضوح: "كما تعلمين حققت يونيفست مؤخر أعددًا كبيراً من أهدافها، وقد حظي ذلك العمل بالإضافة إلى المصانع التي تستغلّ العمال في الهند بضجة إعلامية، وأضيفي إلى ذلك فضيحة الشامبو الخالي من البارابين، وسحب منتجات منعم الأقمشة العضوي من السوق و...".

قالت تينا بحدّة: "يبدو جلياً أن كل تلك الضجة أُثيرت قبل أن أعمل لديهم بصفتي مديرة تسويق".

قلت لها: "ما يتعيّن عليك فعله الآن، هو إعادة بناء الثقة، فقد قامت سياسة (جي إم في دي) عندما كانت تحتلّ مكانة رفيعة وذات أهمية كبيرة على تجاهل بلايا العلاقات العامة، والتركيز على جودة علامتها التجارية، ولكنني أعتقد أنها كانت مخطئة تماماً، فما نحتاج إلى فعله، هو الاعتراف بالواقع، ثم الاعتذار من المستهلكين، والمضي قدماً في تحقيق الأهداف".

"الاعتذار؟".

أشار باتريك إلى تينا لتهدأ قليلاً: "دعينا نستمع إلى ما لديها".

لكزني أي. جي، ففتحت المجلد الذي أعطاني إياه، وفي الحال ظهرت حزمة من الرسوم البيانية والمخططات الدائرية على طاولة الاجتماعات المصنوعة من خشب الزان، ولكن لم تكن لدي أدنى فكرة، عما يُفترض أن توضحه، إذ إنني لم أحظّ بالفرصة الكافية لأطلع عليها، لكن أحداً من الحاضرين لم يكن ينظر إليها، فهم لم يعيروها اهتماماً مطلقاً.

"لستم الشركة الوحيدة التي تورطت في عاصفة عاتية كهذه، ولكنكم إن

تجاهلتموها، فسوف تتفارق المشكلة أكثر".

ضغطتُ على الرسوم البيانية، كما لو أنها موجودةٌ أمامنا تماماً، وقلت: "بعد أن اعتذرت شركة باركلايز إلى زبائنها عن الدور الذي أدّته في فضيحة تسعير الفائدة بين مصارف لندن، اضمحلت المشكلة، وكل من تويوتا وغولدن ساكس وفيسبوك قدّمت اعتذاراً أيضاً باسم تلك الشركات، معتبرة أنه وسيلةٌ لمواجهة المشاكل المتعلقة بالسمعة، فاستردّت مكانتها نتيجة ذلك".

انفجرت تينا غاضبة، وهي تقول: "أنا أعارض ما تقولينه، فكل ما سنجنيه إذا اعتذرنا إلى الزبائن هو لفت الانتباه إلى المشكلة وإعطاء أهمية كبيرة لتلك المسألة. إن علامتنا التجارية تعدّ من الدرجة الأولى، وعلينا التركيز على نقاط قوتها، لجعل تلك العواصف والأزمات تتلاشى".

كيف انتهى الأمر بهذه المرأة السطحية إلى إدارة قسم التسويق في إحدى أكبر الشركات العالمية في البلاد؟ وهي لم تكن تعرف اتجاه السوق. قلتُ لها بإيجاز: "لا شيء يُدعى الدرجة الأولى بعد الآن، إن زبائنك يندثرون، ولا يمتلك الجيل الحديث أي ولاءٍ لأية علامةٍ تجارية، فقد غيرت وسائل التواصل الاجتماعي المشهد بالكامل، وانتهى عصر الإعلام الموجّه حول موضوعٍ واحدٍ، وباتت العلامات التجارية بحاجة إلى مخاطبة زبائنها على مدار الساعة طوال سبعة أيامٍ في الأسبوع لكسب ولائهم، وسيكون الصدق الركيزة الأساسية لبناء أي علاقة".

نظرت إلى عيني تينا متحديةً إياها أن تواجهني، فكلتانا تعلم أنني لا أتحدّث عن الإعلانات.

تدخل باتريك قائلاً: "لهذه الأسباب أردت أن أوكل هذه المهمة إلى كاز، فأنا وأنتِ يا تينا نعود إلى جيلٍ مختلفٍ، ونحتاج إلى أن نتبع طريقة هؤلاء الشبان في التفكير".

احمزت تينا من شدة الغيظ، وأوشك أي. جي أن يختنق بالكراميل

المثلج، ثم قضينا الساعة والنصف التالية، ونحن نُعيد ما بدأنا به، ولكن تينا بقيت في الجانب الخاسر، وقد أدركت ذلك تماماً، كما كان تحدي علاقتها بالجيل الحديث خطوةً رابحةً، رجّحت كفتي بالنسبة إلى باتريك. أما السبب الوجيه لكون باتريك الرئيس التنفيذي، على الرغم من أنه في الخمسين من عمره، فهو أنه تحفةً فنيةً في مجال الإعلانات، والدراية بالناس، وهذا بالتحديد ما تتطلبه تلك اللعبة، ولكن انتصاري كان باهظ الثمن، فربما انتصرت في هذه المعركة، ولكنني لا أزال عالقةً في العمل مع تينا التي ستحاربني في كل خطوةٍ أخطوها بكل أسلحتها الفتاكة من أجل أن تهزمني، وسيستلط عليّ كابوس خلال الستة أشهر القادمة من حياتي، ومجرّد التفكير في الأمر جعلني أشعر بصداغ أليم.

أوصل باتريك تينا إلى المصعد، فانتشلتُ حبتي باراسيتامول من درج مكتبي، وابتلعتهما من دون أن أشرب الماء، ثم اتّجهت إلى دورة المياه، وحاولت التقاط أنفاسي في إحدى الحجيرات.

أنا أحب عملي، وقد عملتُ بجد لأصل إلى ما وصلت إليه، فقد بدأتُ العمل في هذه الشركة منذ خمس سنواتٍ من دون أن تكون لي خبرة في الإعلانات، كما أمضيتُ أعوامي الثلاثة الأولى من مسيرتي المهنية في قسم العلاقات العامة، ولكنني تمكّنت من أن أنصت إلى الآخرين وأتعلّم منهم، وهكذا قضيتُ في العمل ست عشرة ساعةً في اليوم طوال سبعة أيامٍ في الأسبوع، من دون أن أحظى بيوم إجازةٍ واحد في العامين الأول والثاني لعملي في الوكالة.

إن خدمة الزبائن متطلّبة، ومديرو الوكالة يطلبون المزيد من تحرير الفواتير بشكل مستمر، كما أن المبدعين يطلبون مزيداً من الوقت والموافقات السريعة، بالإضافة إلى حدّ أدنى من التغييرات، وقد طالب الزبائن بتلبية متطلّباتهم كلها البارحة، وعلى الرغم من النكبة التي أصابتُ تيتروتيك، فقد

أتمنني باتريك على بعض أهم زبائن الشركة.

أرفض السماح لتينا ماردوخ بأن تفسد كل ما عملتُ بجد من أجل تحقيقه، وعندما فتحتُ باب الحجيرة، أجفلتني رؤية تينا تنتظرنني مستندةً إلى المغاسل، فسألتها ببرود أعصاب: "ما الذي تريدينه؟".

"أريدك أن تظلي خارج هذا الحساب".

فتحتُ صنبور المياه، وأنا أقول لها: "لن يحصل ذلك، فقد سمعتِ ما قاله باتريك، إنه يريدني أن أعمل على هذا الحساب بالتحديد".

تجاوزتني، وأغلقت مياه الصنبور مجدداً، وقالت لي: "قد يكون باتريك كالخاتم في إصبعك، ولكنك لن تستطيعي أن تخدعيني، والأفضل أن تنسحي من هذا الحساب وإلا فستندمين".

بعد أن غادرت دورة المياه، استندتُ إلى المغسلة، وأنا أشعر بدقات قلبي تنبض بسرعة في قفصي الصدري، فتنفستُ بعمق كما علّمني معالجي النفسي، لأهدئ من روعي، فلن أسمح لها بالنيل مني، كما أنني أدرك تماماً ما الذي ينبغي لي أن أفعله، لأنني أتقن عملي، وأستطيع مواجهة كل المشاكل التي تعترض طريقي.

أخيراً، عادت نبضات قلبي إلى طبيعتها، فانصببتُ واقفةً، وسرحتُ شعري بعيداً عن وجهي، وعندما خرجتُ وجدتُ أي. جي ينتظرنني خارج دورة المياه، فاعترمتُ حينها أن أخصّص وقتاً في الأسبوع المقبل لاكتشاف حقيقة ما يمرّ به، فهو أكثر الرجال الذين قابلتهم ولاء وإخلاصاً على الإطلاق، ويستحق أن أوليه اهتماماً أكبر، فلولا رعايته وحمايته لي، لما تمكنت من أن أنجو من حقد تينا ماردوخ، ولما استطعت أبدأ العمل معها نداءً لند.

عندما عدتُ إلى مكثبي بكامل حيويتي واندفاعي، قال لي: "حسناً، هل لديك خطة ما؟".

لديّ دوماً خطة مُحكمة.



## أنجي لارك

### الجزء الأول من المقابلة المسجلة

التاريخ: 2020 / 7 / 28

المدة: 41 دقيقة

المكان: كينغز بريدج / مركز الشرطة

أعدّها شرطيان من شرطة ديفون وكورنوال.

"يتبع"

الشرطي : "أنتِ صديقة كارولين بيغ الحميمة، أليس كذلك سيدة لارك؟".  
أنجي : "إنني أعرفها منذ أيام الدراسة، فقد درسنا في المرحلة الابتدائية معاً، وأؤكد لك أنها لا يمكن أن تكذب بشأن أمر مروع كجريمة قتل".

الشرطي : "متى حصلت تلك المشاجرة بالتحديد؟".  
أنجي : "لا أعرف، ربما منذ ثلاثة أو أربعة أسابيع، (تصمت برهةً)، ينبغي أن يكون في حوزتكم تسجيلٌ صوتي بالبلاغ الذي قدّمته كاز، فقد أبلغتُ عنها بعد المشاجرة مباشرة".

الشرطي : "حتى إن....".  
أنجي : "لا تكمن المشكلة في أن أحداً ارتكب خطأ ما، بل تكمن المشكلة

في أن كاز حذرتكم بما يمكن للويز أن تقدم عليه، ولكن أحداً لم يأخذ كلامها على محمل الجد".

الشرطي : "إننا نأخذ جميع البلاغات بجدية كبيرة، يا سيدة لارك، ولكن باستثناء المشاجرة التي وقعت بينهما الشهر الماضي، لم تقع بينهما أية مشاجرة أخرى".

أنجي (تضحك باستخفاف) "هل تمزح؟".

الشرطي : "لا، يا سيدة لارك، أنا لا أمزح، ولا أعتبر جرائم القتل أموراً مضحكة".

أنجي "اسمعي جيداً، كاز ليست ملاكاً، ولكنها ستكون أول من يقرّ بفعلتها، ولا تنس أن أندي كان متزوجاً بلويز عندما أقام علاقة جنسية مع كاز، لذلك يمكنك أن تُقدر أن لويز لم تكن من أشدّ المعجيين بكاز، فهي تصرّفت بوضاعة معها بعد الطلاق، ولم تسمح للطفلين بلقائها لمدة عام تقريباً، لأنها لم تستطع التخلي عن حبّ أندي، ولكن كما تعلم، في النهاية انتهت علاقتهما".

الشرطي : "حسناً، وكيف تصفين طبيعة العلاقة بين المرأتين؟".

أنجي "سيئة للغاية، هو الوصف الدقيق لها".

الشرطي : "هل ترغبين في أن توضحي أكثر ما تقصدينه بكلامك؟".

أنجي "إن كل ما قيل عن كاز في المحضر غير صحيح، ولا أصدّق أن لويز تمتلك الجرأة لأداء دور الأرملة المفجوعة، في الوقت الذي ارتكبت فيه تلك الجريمة!".

الشرطي : "التزمي بالوقائع عوضاً عن التوقعات إن كان ذلك ممكناً، يا سيدة لارك...".

أنجي "لقد رأيتُ لويز في ساحة المعركة، فهي تقابلك بلطفٍ وازتزانٍ شديدين، وهذا ما يجعلك تعتقد أنها تستحقّ لقب أفضل أم في

العالم، أليس صحيحاً ما أقوله؟ ولكنني أؤكد لك أن تحت القناع الذي تضعه، امرأة مختلة لعينة".

الشرطي : "كيف اكتشفت ذلك؟".

أنجي : "حسناً، لقد اعتادت أن تتصل بكاز على مدار ساعات الليل

والنهار، وهي تصرخ وتنتحب عبر الهاتف، ما أقصده أنه على الرغم من صلابه كاز، وقدرتها الكبيرة على التحمل، إلا أنها بعد مواجهة هذا الوضع لسنوات بدأت تشعر بالإجهاد، وأي امرأة في مكانها، يجهد ما تعرّضت له".

الشرطي : "هل سمعت تلك المكالمات؟".

أنجي : "أجل، كنتُ حاضرةً عندما تلقتُ كاز بعض تلك المكالمات، ولكن لويز كانت ذكية، فهي لم تتصل بها أبداً عندما يكون أندي موجوداً بالقرب منها".

الشرطي : "هل سمعت الحديث الذي كان يدور بينهما؟".

أنجي : "لم أكن بحاجة إلى سماعه، فلطالما انتهت تلك المكالمات بكاء صديقتي المفضلة، وهي التي لا تبكي بسهولة، ولم يقتصر الأمر على المكالمات الهاتفية فحسب، بل كانت لويز اللعينة تترصد كاز، فهي لم تكن تدعها وشأنها، وقد لحقت بها إلى منزلها ومكان عملها، ثم ادّعتُ أن كاز كانت تضايقها، ولكن الحقيقة على العكس من ذلك، ألا توجد قوانين تردع هؤلاء المترصدين الذين يترصدون بالآخرين في هذه الأيام؟".

الشرطي : "بلى".

أنجي : "ألا تعلم أن لها سوابق؟".

الشرطي : "أتقصد من كلامك...".

أنجي : "أعني بقولي لويز".

الشرطي : "نعم، أعرف ذلك".

أنجي : "لقد اعتُقلتُ بتهمة الترسد في السابق، وقد أبلغتني كاز بأن بعض الرجال لجؤوا إلى طلب إصدار أمر تقييدٍ بحقها".

الشرطي : "متى كان ذلك؟".

أنجي : "لا أعرف التفاصيل، ولكن ألا تخزنون المعلومات في حواسيبكم، أو في أي مكان من هذا القبيل، يا معشر الشرطة؟ تستطيعون التحقق بسهولة من تلك المسألة".

الشرطي : "هل أنت بخير، يا سيدة لارك؟ تبدين متعبة ومستاءة قليلاً، هل تريدين أن تأخذي قسطاً من الراحة؟".

أنجي : "أنا آسفة،... (تصمت برهة) كاز صديقتي الحميمة، وعلى النقيض تماماً من ملوك الدراما، فقد دعوتها طوال شهرٍ لتبلغ عن لويز، ولكنها لم تفعل بحجة أن ذلك سيزيد الأمر سوءاً، إلا أن تلك المرأة كانت تكره كاز... (تصمت لحظات)، أنا آسفة".

الشرطي : "إن شئت يمكننا أخذ استراحةٍ، والتوقف عند هذه النقطة".

أنجي : "لا، أنا آسفة،... سأكون بخير".

الشرطي : "هلاً أحضرت، يا روي، كوباً من الشاي للسيدة لارك، ولتوثيق المعلومات، إن المحقق ستيف روي غادر الغرفة".

أنجي : "لقد نصحت كاز بألا تحضر تلك الحفلة اللعينة، لأنني توقعت أن يحصل أمر سيءٍ خلالها".

الشرطي : "لماذا؟".

أنجي : "لأن كل الأمور السيئة تتراكم منذ ذلك الوقت...".

الشرطي : "عاد الرقيب المحقق ستيف روي إلى الغرفة، تفضلي، ولكن احذري فهو ساخن".

أنجي : "شكراً، كل ما في الأمر أن أحداً لم يصدق كاز، وانظر ما الذي

حدث، فلويز تتصرّف بشكل طبيعي ظاهرياً، ولكنني أوكد لك أن لها وجهاً آخر خفياً، وأظن أنها معتوهة بالفعل، ما أقصده من كلامي ذلك الفعل الذي يتعلّق بالقط، والكلام الهراء الذي قالته، وما ارتكبته من أفعال في مسرح المدرسة، فمن غير المعتوه يمكن أن يرتكب تلك الأفعال؟".



ستة أسابيع قبل الحفل





## الفصل 6

### مين

عندما نزلت إلى الطابق السفلي، وجدتُ لوك متكوراً على الأريكة، ويحتضن بكل ذراع أحد الطفلين، بينما كانت حبوب الفطور تغطيهم، والعلبة الفارغة الملقاة على الأرض تشهد أنهم تناولوا جميعهم فطوراً لذيذاً ومغذياً، ولكن على غرار ابن الإسكافي الحافي، فإن أولاد الأطباء يتناولون وجبات غذائية غير صحية على الإطلاق.

قلت للوك متذمراً: "لا أصدق أنني نمتُ حتى هذه الساعة المتأخرة من الصباح، كان عليك أن توقظني، فقد تجاوزت الساعة الثامنة".  
مدّ زوجي عنقه كي يتمكن من مشاهدة التلفاز، وقال لي: "كنت بحاجة إلى النوم، فقد كانت مناوبتك الليلية مضاعفة البارحة".

"أمي، أنتِ تقفين في وسط الغرفة، وتحجبين شاشة التلفاز".  
سألتهم، وأنا أحدق إلى الشاشة: "ما الذي تشاهدونه؟".  
قال سيدني، وهو لم يتجاوز السبعة أعوام: "إنها مخلوقات غريبة".  
"لوك! أليست هذه المشاهد مخيفة قليلاً بالنسبة إلى من في عمرهما؟".  
قال آرثشي، وهو مستلقٍ على ذراع والده: "إننا نحب مشاهدة أفلام الرعب".

التقطتُ علبة الحبوب، وفتحت الستائر متجاهلةً احتجاجات الولدين، وبينما كانت الظلمة الجهنمية تتبدد، سألت لوك: "أين التوأم؟".  
أخيراً، استسلم لوك لإرادة مين بعد أن قاطعته عن متابعة المشاهد المثيرة

التي كان يحضرها بحماسة، وأطفاً التلفاز، وهو يقول: "أين تتوقعين أن يكوننا؟ لم يحن وقت الغداء بعد".

لقد انتقل دوم وجاك من دون أي عناءٍ من الاستيقاظ في الساعة الخامسة صباحاً إلى الساعة الثانية عشرة ظهراً، وغالباً ما يستمتع السادي الذي يتحرك في داخلي بإيقاظهما من نومهما للذهاب إلى المدرسة من خلال رشّ الماء البارد عليهما، وذلك بعد مرور عقدٍ من النهوض من سريري بسببهما قبل شروق الشمس.

قلتُ للوك: "لقد وعدتُ والدتك بزيارتها هذا الصباح لأساعدتها في تحضيرات الحفل، هل يمكنك التحقق من وصول التوأَم إلى تدريب كرة القدم في الوقت المحدد؟".

"ما الذي تحتاج أن تساعديها به؟ فلا يزال يفصلنا عن الحفل عدة أسابيع".

قلتُ له بسخطٍ: "لقد دعت أندرو وتلك المرأة اللعينة، وعلى أحدنا أن يتحدث إليها ليقنعها بخطتها بأسلوب منطقي".

"حسناً، أنت لا تريدين أن تساعديها، بل تريدين التأثير في قرارها".

اختطف سيدني جهاز التحكم عن بعد الخاص بالتلفاز، وقال للوك: "أبي، اضغط زر التشغيل".

قال لوك، وهو يضع جهاز التحكم بعيداً عن متناول سيدني: "إنني أتحدّث إلى والدتك، بصراحةٍ يا مين، إن قرار تحديد المدعوين للحفل بيد أُمي فقط، ولن أتدخل في هذه المسألة".

قلتُ بنزقٍ: "أعلم تماماً أنك لن تتدخل في قراراتها".

لوك روبرتس هو المثال الحي للرجل الطيب القلب والمحِب لعائلته، وهو يعمل حالياً بجد على مشروع غامض لم أستطع أن أعرف تفاصيله، ولكنه يتعلّق بتكنولوجيا المعلومات على ما أعتقد، كما أنه رومانسي، فهو

يشترى لي الورود في عيد ميلادي، وفي ذكرى زواجنا السنوية، وأحياناً يقدّمها إليّ من دون مناسبةٍ على الإطلاق، لقد أحببته قلباً وروحاً طوال ثلاثين عاماً، وقد بدأت قصة حبنا عندما دخل علم الأحياء البديل، فتعثّر بحقبة ظهري، ووقع على قدمي بصورة حرفية، ولكنه إنسان حيادي بالنسبة إلى المواضيع كافة على نحوٍ يثير الإزعاج، ولا شيء يمكن أن يضايقه، كما أنه لا ينحاز أبداً إلى أي طرفٍ في أثناء نشوب أي شجار، ولا يدلي برأيٍ شخصي أيضاً، قد يكون ذلك أمراً مثالياً، ولكن لا يمكن أن ينتمي الجميع إلى سويسرا وإلا فسيحتلّ النازيون العالم، وهذا لا يعني بالطبع أن سيليا روبرتس نازية، ولكن في إمكانها إدارة الشرطة النازية السرية بيدٍ واحدة، وهي مقيدة خلف ظهرها، والله وحده يعلم أنه كان يتحمّم عليها أن تكون قويةً لتنجو من المحنة التي ألمّت بعائلتها، على الرغم من أن معظم النساء لن يتمكنّ من التغلّب على تلك المعاناة والصمود في وجهها، ولكن ذلك ليس عذراً للسماح لها بارتكاب جريمة قتل.

ينبغي وضع حد لهذا الهراء المتعلق بأندرو، فقد مرّت أربع سنواتٍ على طلاقهما، والاستمرار بمنح لويز آمالاً كاذبةً ليس تصرفاً حكيماً، لأنه على الرغم من إصرارها على تجاوزها مأساة أندرو، إلا أنها لا تقرّ بالحقيقة ولو بنسبة ضئيلة، فهي لم تواعد أحداً منذ أن انفصلا، ونعلم جميعاً مقدار الغضب المتأجج في داخلها، كما أنني أخشى أن تكون سيليا تخطّط للقيام بتصرف ما لن ينتهي على خير في هذا الاحتفال.

تركّت الولدين يتابعان برنامجهما التلفزيوني البائس، ووضعت الطعام في وعاء الكلب، ثم ركبت سيارتي وتوجّهت إلى منزل سيليا وبرين الحجري القديم والأنيق، والذي يقع في ضواحي ستينينغ، أقاما فيه منذ أربعين عاماً تقريباً، كما ترعرع فيه لويز ولوك، وتعدّ سيليا حالياً امرأةً محظوظةً جداً لأن ولديها يقطنان بالقرب منها، وهو أمرٌ لا تملّ أمي التي تسكن وحدها في

يوركشاير من تذكيري به.

عندما وصلتُ، كانت حماتي راحةً بجوار مسكبة أزهارٍ في الحديقة الأمامية، وحين لمحتني وضعت مجرتها على الأرض، وانتصبت واقفةً، ثم اندفعت بحماسة نحوِي، وهي تدير لي خدها لأقبله: "كم تسعدني رؤيتك، يا مين! ولكن هل كنت أتوقّع مجيئك؟".

قلت لها بجفاء: "لا بد أنك نسيت أنني سأزورك اليوم".

"ما رأيك في تناول عصير الليمون الطازج، يا عزيزتي؟ لقد صنعته هذا الصباح، ويمكننا الجلوس على الشرفة في الحديقة الخلفية والاستمتاع بأشعة الشمس الدافئة".

تبعتهُ إلى داخل المنزل، فلوح لي برين من بعيد بلطفٍ من دون أن يقترب مني، فهو أتقن فن التواري عن الأنظار في الحديقة الخلفية على مدى عقودٍ، كما أنه لم يدلّ برأيه بشأن أي موضوع منذ سنواتٍ طويلة كإبنة تماماً. صبّت سيليا عصير الليمون الطازج في كأسين كبيرتين، ثم جلسنا على كرسيين مصنوعين من الخيزران في الشرفة، فبدونا وكأننا في إحدى حلقات مسلسل دوانتون تماماً، وقد دمعت عيناي ما إن تذوّقت عصير الليمون الحامض الذي سلك طريقه إلى حلقي، ولكنه كان منعشاً ولذيذاً خاصةً في هذا اليوم الدافئ. مكتبة .. سرٌّ من قرأ

قلتُ لها: "لقد أصبح لديك مسكبة طماطم جديدة".

فقد لاحظتُ بقعة أرض طينيةٍ داكنة اللون على شكل مستطيل، وقد أحاطتها إطارات قطارٍ قديمٍ في نهاية الحديقة: "كم يبدو هذا المشهد جميلاً! طالما أردتِ حوضاً كهذا منذ وقتٍ طويلٍ، متى عملتِ عليه؟".

قالت سيليا: "لقد مرّ بي أندرو في نهاية الأسبوع الماضي، وهو من صنعه على هذا الشكل الرائع".

"هل أندرو من صنعه؟".

رشفَت سيليا رشفة من عصير الليمون، وقالت: "لا داعي للاستغراب، فهو يُجيد القيام بهذه الأعمال".

لم يكن هذا ما قصدته، وهي تعلم ما أعنيه: "نعم، ولكن لماذا استعنت به؟ وما الذي كان يفعله في منزلك؟".

"غالباً ما يأتي لزيارتي عندما يكون قريباً من المنزل، وهو يرافق برين أحياناً إلى حانة وايت هورس لاحتساء القليل من الجعة بعد ظهر أيام الأحد، وبعد أن تعرّضت لنوبة عرق النسا منذ بضعة أسابيع، عرض عليّ أندرو ترتيب مسكبة الأزهار".

شعرتُ بموجةٍ جارفةٍ من الامتعاض تتغلغل في داخلي: "ألا تظنين أن ذلك يبدو غريباً نوعاً ما؟".

"ما الغريب في الأمر؟ إنه ماهرٌ جداً في أعمال البستنة، وقد أنجز العمل كله وحده خلال يومين".

إنها تتصرّف ببرود عن عمدٍ، أنا أحبّ حماتي، ولكنها تصبح أحياناً مزعجة للغاية: "أنا بصراحةٍ لا أفهمك يا سيليا، كيف يمكنك أن تتحملي التحدث إلى ذلك الرجل بعد الإساءة التي ألحقها بلو؟ وأي شخصٍ قد يستمع إلى كلامك، يعتقد أنك تقفين في صفه!".

قالت بحزمٍ: "عزيتي مين، إنه لطفٌ كبير منك أن تهتمّي بأمر لويز، ولكنني لست متأكّدةً من نجوع ذلك السلوك، فلا يزال أندرو فرداً من أفراد هذه العائلة، ولن نتوقّف عن حبه لمجرد أنه تخلى عن حب لويز، فهو يتصرّف بلطف شديد جداً معي ومع برين، ونحن متعلقان به للغاية، كما أنه لا يزال والد بيلا وتولي".

لم أستطع تحمل كلامها، ولم أستطع أن أتقبّله فحسب، فأندرو وسيّم وساحرٌ للغاية، والجميع مخدوعون به، ومن ضمنهم سيليا، على الرغم من كلّ ما فعله، ولو كانت تعلم حقيقته حقاً، لما رغبت في عودته إلى لويز، بل

كانت ستطعنه بشوكة البستنة، وتدفنه في مسكبة الأزهار اللعينة.

قلتُ لها بغضبٍ: "هذا ليس منصفاً، لا يستطيع أندرو أن يتخلص من لو ويستمرّ بعلاقته بكما، بل يتحتمّ عليه أن يشعر بالعار، وأن ينال عواقب فعلته، فلا يمكن أن تدمري حياة أحدهم، وبعد ذلك تمضين قدماً، وكأن شيئاً لم يحدث".

وضعت سيليا كأسها على الطاولة، وأمسكت يديّ الساختتين بيديها الباردتين، فأصبحت رؤيتي في الحال ضبابيةً، إنها حقاً بمنزلة أم بالنسبة إليّ، فقد عرفتها منذ أن كنتُ مراهقةً، أي ما يقارب نصف حياتي، وقضيتُ معها وقتاً أطول بكثيرٍ من الوقت الذي قضيتُهُ مع والدتي، والتي تمتلك طبعاً متفرداً بارداً لا يتوافق مع طبعي ولا يشبهه نهائياً، قد تبدو سيليا ظاهرياً نموذجاً للمرأة الإنكليزية الرصينة والتماسكة، ولكنني بعد أن عاشرتها فترةً طويلةً بما يكفي لإدراك مدى ولعها بالناس والقضايا التي تهتمّ بها، أرى أنها مستعدة لفعل أي شيءٍ من أجل لوك ولو ومن أجلي أيضاً، وهنا تكمن المشكلة، فهي تجهل أنها من خلال تدخلها في شؤون الآخرين، تزيد الأمور تعقيداً.

قالت سيليا: "مين، أنا أقدر عالياً ولاءك للويز، ولكن أندرو ليس الشيطان ذاته، ولا أعني أن ما فعله كان صائباً...".

"حسناً، على الأقل نحن متفقتان على أنه أساء إلى لويز إساءة كبيرة!". نظرتُ إليّ بجديّة، وقالت: "هل تظنين ذلك، يا عزيزتي؟ ربما تهتمين بهذا الأمر أكثر مما يستحقّ".

لقد لجمني كلامها، فلا أريدها أن تكون أية أفكارٍ سيئةٍ عني، فأنا متزوجةٌ بابنها في النهاية.

قلتُ لها: "لا ينبغي دعوتها للحفل، إنه شعور سيئ بما يكفي أن نضطرّ إلى رؤية تلك المرأة في مناسباتٍ عديدة كمسرحية بيلا، ولكن دعوتها لحضور مناسبةٍ تخصّ العائلة مثل احتفال يوبيلكما الذهبي، تبدو وكأنك تمنحنيها

موافقتك على علاقتهما، وأنت بالتأكيد تدركين ذلك".  
ثم أضفت قائلة بجديّة: "ألا تدركين ذلك، يا سيليا؟".  
أفلتت يدي، وتناولت كأسها مجدداً، وقالت: "يتمّ اصطياد الذباب  
بالعسل، يا عزيزتي، لا بالخل".  
"ما الذي تقصدينه بكلامك؟".  
قالت بهدوءٍ: "ما أقصده أن لا داعي للقلق، وأن كل الأمور تحت  
السيطرة".  
لاحظت ذلك التعبير على وجه سيليا، والذي أراه على وجوه أبنائي  
الأربعة عندما يخطّطون لإثارة المشاكل،  
فقلتُ لها بارتياحٍ في الوقت الذي رنّ فيه هاتفها: "ما الذي تنوين فعله  
بالضبط؟".

## الفصل 7

### لويز

اتكأْتُ على بوق السيارة، ونظرت إلى ساعتِي مرةً ثانيةً، على الرغم من أنني أدرك أننا تأخرنا عن الموعد، وفي المقعد الخلفي لم يكفَ تولي عن القفز والتنطيط بابتهاجٍ، وهو يصفق بيديه: "قومي بذلك مرةً أخرى، يا أمي، قومي بذلك مرةً ثانيةً".

فككْتُ حزام الأمان، وفتحت باب السيارة، واتكأْتُ على إطار النافذة، وصرختُ في اتجاه المنزل: "علينا بالانطلاق، يا بيلا".  
صرخت بيلا قائلة: "أنا قادمة".

لم تظهر قبل مرور خمس دقائق أخرى، وكانت ترتدي بنطال جينز تنتشر فيه الثقوب، وقميصاً أسود طويل الكمين، لم يسبق لي أن رأيته، وقد طُبِعَ عليه شعار "الجمعة هي الكلمة الثانية المفضلة بالنسبة إليّ"، والتي تبدأ بحرف "الجيم"، ولو رآها والدها بهذه الهيئة لجنّ جنونه، ولكننا لا نمتلك وقتاً كافياً لجعلها تبدل ملابسها.

ضغطتُ على نفسي لأتحدّث إليها بلطفٍ، وهي تلقي بنفسها على المقعد الأمامي: "إن درجة الحرارة تبلغ ثماني وعشرين درجة، ألا تشعرين بالحر؟".  
عندما استقرت في السيارة قالت باقتضاب: "لا".

ثم سحبتُ قبةً صوفيةً من حقيبة ظهرها، ولفّت شعرها تحتها، ولم يعد يظهر منه سوى بعض الخصلات الداكنة في الأمام، وقد ظهر خط ثخين من الكحل تحت عينيها ملطخٌ بظل رمادي كثيف، ما جعلها تبدو وكأنها نامت



متبرجة تحت أحد الجسور في مكانٍ ما. وجدتُ أنه من الحكمة ألا أنتقدها، على الرغم من أنه يحزنني أن أرى فتاتي الجميلة تبذل قصارى جهدها لإخفاء جمالها.

إن صديقتها المفضلة تايلر تشبهها تماماً، فكلتاهما تظهران بمظهر خنثوي، وترتديان ملابس أحادية اللون قدر الإمكان، مثل كومبارس يؤدّي دوراً في فيلمٍ بئس، وأعتقد أن ذلك يبدو أفضل من ارتدائهما التنانير والقمصان القصيرة، ثم ذكرتُ نفسي، وأنا أتهدّ تنهيدة عميقة، بأنها مجرد مرحلة مؤقتة، وبأن ابنتي ستنضج قريباً.

شغلتُ السيارة، فأصدر المحرك صوت القرقررة الحاد المعتاد قبل أن يعمل على مضضٍ، ولكنه توقّف فجأة عن العمل، فحاولتُ تشغيلها مرةً أخرى، ولكن المحرك صرّ صريراً يندّر بالسوء، ثم انطفأ نهائياً، وعندما حاولت تشغيلها في المرة الثالثة لم تشتغل أبداً.

بكت بيلا، وقالت: "أمي! لا أستطيع أن أتأخر".

قلتُ باقتضابٍ: "ولكننا تأخرنا بالفعل، ولستُ من جعلنا ننتظر عشرين دقيقة".

"يفترض بي أن أكون في المسرح عند العاشرة، إنها البروفة النهائية، ولا يمكن أن تبدأ من دوني!".

لم أعلّق على كلامها لإدراكي حجم التوتر الذي تعاني منه، فقد ظلّت مستيقظةً نصف الليل وهي تتدرب على دورها في المسرحية، وفي الصباح تقيّأت الخبز المحمص بعد خمس دقائق من تناوله. لقد مرّت بتلك الحالة نفسها، عندما كانت تترقّب نتائج شهادة الثانوية العامة في الصيف الماضي.

قلتُ لها: "أنا أعلم ذلك، يا عزيزتي، ولكنني لا أقوم بذلك عن عمد".

"أصدرت السيارة أصواتاً غريبةً منذ مدةٍ طويلةٍ، لذا كان عليك أن

تصلحها!".

"لا أملك المال لإصلاحها، يا بيلا".

"ألا يعطيكِ والدي المال؟".

قلتُ لها بلطفٍ: "هذا ليس من شأنك، يا عزيزتي".

"بل إن تعطلَ سيارتنا من شأنِي لأنه يتسبب في تأخري عن موعد مهم".

قلتُ لها، وقد نفذ صبري: "من فضلك، يا بيلا، لا تخاطبيني بهذه النبرة

الحادة".

خرجتُ من السيارة مرةً أخرى، وأنا أقولُ لها: "إنها ليست نهاية العالم، سنتصلُ بإدارة المدرسة، ونعلمهم بأنك ستتأخرين قليلاً، وفي مطلق الأحوال هذه التدريبات لا تبدأ في الوقت المحدد عادة، كما أنني سأتصلُ بغري وأطلب منها أن توصلك"، أضفتُ وأنا أمدّ يدي إلى المقعد الخلفي لأحرّر تولي من مقعد السيارة: "وستصل خلال عشر دقائق".

تمتثُ بيلا بانفعالٍ شديد، وهي تتجّه عائدةً إلى المنزل: "أصبحت أكبر

من أدعوها غري".

استعدتُ ذكريات طفولة بيلا بصورة مفاجئة، فقد بدت ملاكاً بخديها المتوردين وتلعثمها في أثناء النطق باسم غريليا، ما جعلها تختصره لاحقاً ليصبح غري، لأن اسم الجدة سيليا كان طويلاً، ويصعب النطق به، وقد بدا التباين الكبير بين صورة تلك الطفلة البريئة، والمراهقة العنيدة الساخطة التي تربص بي مؤلماً حقاً، وكنتُ سأقدّر قيمة سنوات الطفولة المشرقة تلك، لو عرفتُ أنها ستمرّ بهذه السرعة.

تنهدتُ وأنا أذفع تولي إلى الصالة، ثم أتصلتُ بأمي على الفور، وأنا

أقول لبيلي: "حسناً"، وأضفتُ قائلة قبل أن تردّ أمي على اتصالي: "تستطيعين

أن تناقشي المسألة مع جدتك، مرحباً أُمي، لديّ حالة طارئة، هل يمكنك أن

تسدي لي معروفاً كبيراً؟ لقد تعطلت السيارة وتحتاج بيلا إلى من يوصلها إلى

المدرسة من أجل البروفة النهائية، وقد تأخرت عن مواعدها، وهي في حالة

يُرتى لها، وكنت أتساءل...".

قاطعت والدتي كلامي قائلة: "بالطبع، يسعدني أن أوصولها".  
أومات إلي بيلا، وهي تقف بالقرب من الدرج، ثم قالت: "لست في  
حالة يُرتى لها!".

أسكتها بإشارة بيدي: "شكراً لك، يا أمي، أنت منقذتي".  
صعدت بيلا الطابق العلوي، ودخلت غرفتها، ولا شك في أنها بدأت  
تبعث رسائل نصية إلى صديقاتها لتخبرهن بتفاصيل المأساة التي أخرجتها عن  
الوصول في الموعد المحدد، والظلم الشديد الذي لحق بها.  
فتح الباب الخلفي ليتمكن تولي من الخروج إلى الحديقة للعب،  
بينما كنت أراقبه باهتمام عبر نافذة المطبخ، ثم وضعت الهاتف بين عنقي  
وكتفي بشكل مائل، وأنا أفتح صنوبر المياه الساخنة فوق أطباق طعام الفطور  
المتسخة.

قالت والدتي: "سأحضر والدك أيضاً، فيمكنه أن يلقي نظرة على سيارتك،  
في الوقت الذي أوصول فيه بيلا إلى المدرسة".  
"هل أنت متأكدة من أنه لن يزعجه إصلاحها؟".

"بالطبع لا، إنه لا يقوم إلا بقطع أطراف الأزهار اليابسة حالياً".  
سمعتها تناديه، وهي توجه إليه بعض التعليمات للاستعداد لمغادرة  
المنزل.

ثم أضافت بلهجة حادة: "كان يتحتم على أندرو أن يمنحك سيارة الراج  
روفر، فلا أستطيع أن أحتمل فكرة قيادتك فح الموت ذاك برفقة الولدين".  
قلت لها بثقة، وأنا أدرك تماماً ما الذي سيؤول إليه هذا الحديث: "إنها  
ليست فحاً للموت، يا أمي، إلا أنها قديمة بعض الشيء، ولكن إذا استطاع  
أبي إصلاحها مرة أخرى، فأنا متأكدة من أننا نستطيع استخدامها وقتاً أطول  
بقليل".

كان تولي سعيداً بركل كرة القدم ذهاباً وإياباً على العشب في الحديقة، فهو لا ينزعج على الإطلاق من أن يلعب بمفرده. لو حث له بيدي، وقد غمر قلبي فرح عامر، عندما ابتسم ابتسامة عريضةً ولوح لي بيده في المقابل، إنه الشمس المشرقة التي تضيء الظلام الدامس الذي يخيم على بيلا والظلال التي تحيط نفسها بها.

فجأةً قالت أمي: "لقد كان نيكي فخوراً جداً بسيارته الأولى عندما اشتراها، بعد أن عمل طوال فصل الصيف ليذخر المال من أجل شرائها، فكان يقضي كل أوقات الفراغ في الممر إما ليغسلها ويلمّعها أو ليصلحها، ولم يسمح لأحدٍ آخر بقيادتها، ولا حتى لوالدك، وأنفق على تلك السيارة كل ما كسبه من جزّ العشب وقطف الفاكهة".

صمتت لبرهة، ولكنني أدرك أنه يُستحسن ألا أقاطع كلامها، لأن محاولة مقاطعتها عن متابعة الحديث لتذكيرها بأنني لستُ نيكي، وأن ما حدث له ليس بالضرورة أن يحدث لي، لن يزيدا إلا استياء، ومن أنا كي أملي عليها ما يجب أن تقوم به أو تفكّر فيه؟ فأنا لم أفقد ولداً قط.

قالت أمي ضاحكةً: "كان يتحتّم عليك رؤيتها، بصراحةٍ كانت فُرجةً، لها بابٌ واحدٌ بلونٍ بني، وأما باقي السيارة فكان لونه أخضر، ولكن أخاك كان فخوراً جداً باقتنائها إلى درجة أنك قد تظنّين أنها سيارة فيراري، وقد تدلّي نردان أزرقا اللون من المرأة، فلم يزلها نيكي، لأنه اعتقد أن شكلهما ظريف"، لقد استطعتُ أن أشعر بالابتسامة ترتسم على وجهها من خلال نبرة صوتها، ثم أردفت قائلة: "لقد أطلق عليهما اسم ريترو".

كان تولي ممدداً على بطنه، ويكز شيئاً ما على العشب، وشعره الكثيف المجعد الأصهب الذي يميل إلى اللون الأصفر يلمع تحت أشعة الشمس، وقد راقبته وأنا غير قادرة على تخيل العالم من دون وجوده فيه.

كنتُ في سن الثالثة عشرة تقريباً عندما مات نيكي، أخي الكبير المرح

والحنون والذي لا يُقهر، وقد سلبه حياته سائق مخمور في طرفة عين، وكل تلك الطاقة الكبيرة والحب المتدفق والإمكانات الهائلة التي يمتلكها تلاشت إلى الأبد. كان عمره ثمانية عشر عاماً، وقد التحق حديثاً بجامعة إمبيريال لدراسة الفيزياء، وكان قد وقع في الحب للمرة الأولى، وتولّى قيادة فريق الركبى المدرسى وفريق الكريكيت، وهو يكره الفطر ويحب الأعمال الخشبية وحفظ كلمات الأغاني التي أطلقها المغني ستينغ. كنتُ أخته الصغيرة المزعجة، ومع أنني لم أكن على قائمة أولوياته، إلا أنه كان بطريقةٍ أو بأخرى يخصّص لي وقتاً دائماً.

أعلم أنه عندما يموت شاب بطريقةٍ مأساويةٍ، يرى الجميع فضائله لا عيوبه، ولكن نيكي كان واحداً من أولئك الأشخاص الذين ينيرون حياة من يحيطون به، فلم يكن يتّسم بأي صفات سيئة، ولم يتعامل مع أحد بخبث، ولم يرَ إلا الخير في الآخرين، الذي كان يردهُ دوماً إليهم.

لقد غير موته نمط حياة عائلتنا إلى الأبد، فقد خسر لوك أخاه وصديقه المقرب الذي لم يكن يكبره بأكثر من ستة عشر شهراً فقط، فبالنسبة إلى لوك كان الأمر أشبه بخسارة نصفه الآخر، وأعتقد أن الدافع الرئيسي إلى زواجه بحبيبته الأولى مين، وهو في عمر الواحد والعشرين يعود إلى أنه لم يطق العيش وحيداً، وبالنسبة إليّ خسرتُ الأخ الذي يحميني، وأكثر من أعجبتُ به في العالم، أما والداي فقد فقدنا ولدهما البكر.

أقيمت جنازته في يوم عيد ميلادي الثالث عشر، ولكن لم ينتبه أحد إلى ذلك إلا في وقت لاحق، ومن بينهم أنا. في ذلك اليوم انتهت مرحلة طفولتي أيضاً، فتعرّفت إلى دورتي الشهرية الأولى خلال الجنازة، ولا أزال أتذكر جلوسني في حمام المنزل، وأنا أحدقُ إلى الدم الذي يلطّخ لباسي الداخلي من دون أن أمتلك أية فكرةٍ عما ينبغي لي فعله، فشعرتُ يومها بأن جسدي بأكمله ينتحب، وفي الوقت الذي كانت فيه أمي نفسها تخوض مرحلة سن

اليأس، لم تفكر في شراء فوط صحية من أجلي، ما جعلني أحشر قميصي الداخلي بين ساقي، وعلى مدار سنواتٍ طويلة، كنتُ أتذكر كل شهر فقدان أخي في أشد الظروف قسوةً ودمويةً.

لقد أصبحتُ أُمي بعد موته امرأة لا يمكن أن نرفض لها طلباً، وإذا رغبتُ في تجمّع كل أفراد عائلتها التي مزّقتها الألم في المناسبات، وخاصةً في مناسبة عيد الأم، كنا نأتي إليها من دون تردد، ولكن لم يتسنّ لي وللوك أن نغيّر عادات خاصةً بعائلتنا في المناسبات، بعد أن امتدّ أثر فقدان نيكي إلى حياة كل شخصٍ منا، وحتى أولئك الأطفال الذين لم يكونوا قد ولدوا بعد تأثروا بوفاته.

قاطعت أُمي ذكرياتي عندما سألتني: "هل تريدان أن أعيد بيلا إلى المنزل بعد التمارين أيضاً؟".

"لا، لا تقلقي، فسأطلب من إحدى الأمهات أن توصلها إلى المنزل، فأنا واثقةٌ من أن والددة تايلر لن تمنع إيصالها، كما أنني أقدر مساعدتك حقاً، يا أُمي".

"لا بأس، يا لويز، فليس لديّ ما أفعله على أية حال".

خيم صمتٌ مطبق عليهما ممزوج بحزن عميق امتدّ على مدار نصف قرن تقريباً.

قالت أُمي وقد تلاشى مزاجها الكئيب بالسرعة التي بدأ بها: "لقد أحضر والدك السيارة، ولن نتأخر في الوصول، فلا بد أن بيلا هائجة من الغضب الآن".

"أكرّر لك شكري، يا أُمي".

أضافت بمرح: "ارتدي ثوباً أنيقاً الليلة، وقد يكون فستانك الأزرق الفاتح مناسباً، فلطالما أحبه أندرو".

"إنه ثوب فاخرٌ بالنسبة إلى حضور مسرحية مدرسية".

"أوه، ألم يخبرك أندرو؟ إننا مدعوون جميعاً إلى مطعم كول شيد بعد حضور المسرحية لتناول العشاء، وهو سيتكفل بكل المصاريف، أراك خلال دقائق، يا عزيزتي".

حدقتُ إلى الهاتف بدهشةٍ بعد أن أنهت والدتي المكالمة، وأنا أتساءل: كيف استطاعت أن تنجح في فعل ذلك بحق الجحيم؟ لا بد أن كان تستشيط غضباً، كما أن مين تبدو محقّةً، فلا بد أن أُمي تخطّط بالفعل للقيام بعمل ما.

## الفصل 8

مكتبة  
t.me/soramnqraa

كاز

"ما الذي وافقت عليه؟".

فتح أندي البراد، وتناول زجاجة مشروب الطاقة، وشرب نصف الزجاجة دفعة واحدة، فلم أعلّق على التباين بين الجري مسافة خمسة أميال بهدف تحسين نوعية النظام الصحي الغذائي، وتغيير نمط الحياة القائم على تناول جرعات السكر والكافيين التي تدمّر النظام الغذائي الصحي المثالي الذي يحافظ على الحياة. فأنا بالكاد كنت في وضع يسمح لي بالتذمر من تأثير الحملات الإعلانية التي غسلت دماغه، ودفعته إلى الاعتقاد أن مشروبات الطاقة صحية، لأن والدته اعتادت على أن تدفعه إلى احتسائها عندما يمرض. قال لي بمرح: "لا تقلقي، اتصلت سيليا بالمطعم، وكنا محظوظين للغاية، لأن أحدهم ألغى حجزه في اللحظة الأخيرة، فتمكنت من أن تحجز أماكن للجميع، وفي الواقع كنا محظوظين أكثر لتوفّر الأماكن ليلة السبت".

أغلقتُ حاسوبي المحمول بسرعة، وقلت له: "أندي، أعتقد أننا اتفقنا على إقامة احتفالٍ عائلي خاص بنا".

"ولكننا سنتناول العشاء بصحبة أفراد عائلتي".

انتصب شعره الذي أصبح رمادياً أكثر مما كان عليه عندما التقينا للمرة الأولى، وبدا على شكل مسامير غارقة في العرق، ولكن بفضل معجزة التكنولوجيا الحديثة، لم يتبلّل قميصه وسرواله القصير الباهظ الثمن والمصنوعين من الألياف الدقيقة، بل ظلّا جافين تماماً.



"لن يتمكن لوك ومين من القدوم، لأنهما لم يعثرا على من يبقى برفقة الأولاد الصغار في أثناء غيابهما، لذلك ستأتي سيليا وبرين فقط."  
"وهل ستأتي لوزيز؟"

"حسناً، أعتقد أن لوزيز ستحضر أيضاً."

منعت نفسي من التفوه بأي كلمة قد أندم عليها حين دخل كيت إلى المطبخ، وهو يركض ويلوح بأنبوب لبِنِ فارغٍ من ماركة فروبس، ويضغط عليه بقبضته، بينما كان وجهه والجزء العلوي من بيجامته، المرسوم عليها شخصيات فيلم كوكو، ملطخين تماماً بما يقارب ثلث محتويات ذلك الأنبوب على الأقل.

"ما زلتُ جائعاً، يا أمي، هل أستطيع الحصول على واحد آخر؟"

قلتُ له بحدة: "لقد حصلتُ بالفعل على اثنين، وهما يكفيان".

التصق بي، ونظر إليّ متوسلاً، من خلاف رموشه الجميلة التي أرى أنها كانت لتجعل أي فتاة رائعة الجمال: "أرجوك يا أمي، أريد أنبوباً واحداً آخر فقط؟ وسأدعك تعملين بسلام؟".

مدّ إليّ أندي زجاجة مشروب الطاقة التي كان يحملها في يده، وقال لي:  
"قلتُ لك سابقاً، غالباً ما يعود المبتزون طالبين المزيد".

جذبت كيت إلى صدري، وقد تدفّق سيل مفاجئٍ من المحبة من داخلي، فعانقته بشدة متجاهلةً آثار اللبن التي لطّخت قميصي الحريري، ربما لم يكن ابني جزءاً من الخطط التي وضعتها لحياتي، إلا أنني أحببته حتى العظم منذ ولادته: "لا مزيد من اللبن، يا فتى، ولا مزيد من الابتزاز".

شعرتُ طوال الطريق إلى برايتون بالانفعال الشديد بسبب دعوة العشاء، وما أثار دهشتي قليلاً أنني كنتُ أتطلّع إلى الخروج مع بيلا بمفردنا، فعلى الرغم من أنها تبدو فتاة صعبة المراس، وعدوانية، ومستفزة، وأنانية في بعض الأحيان، إلا أنها تتحلّى برقة وعذوبة لا مثيل لهما، كما أن شعورها بالوحدة

يجد له صدىً في داخلي؛ فقد نشأت وحيدة أيضاً، وقد أعالتني أمي في طفولتي بمفردها، وأعرف جيداً ماهية الشعور بالعزلة والوحدة. ربما كان لدى بيلا عائلة أكبر مما تحتاج إليه، وهي موجودة إلى جانبها في معظم الأوقات، ولكن على الرغم من كل ذلك فإن تصرفاتها السيئة التي تقوم بها عن عمدٍ تثير اهتمام الجميع، وتلفت الانتباه إليها بشكل سلبي، وتجعلهم ينظرون إليها بصفتهما تسبب مشاكل تتطلب معالجتها، فهي ليست ظريفةً ككيت وتولي، أو متألقة وواثقةً من نفسها كمعظم المشجعات ذوات الشعر اللامع في تلك المدرسة ذات الامتيازات الخاصة التي ترتادها، بل إنها تدفع الناس بعيداً عنها من خلال سوء سلوكها الذي يجعل منها شخصاً يصعب التقرب منه، إلا أنها في الواقع ألد أعداء نفسها من مختلف النواحي، ما يشكل عاملاً مشتركاً آخر يجمع بيننا.

خلال العامين الأولين من ارتباطي بأندي، لم تعرني بيلا أي اهتمامٍ، يا إلهي، كم كانت بغیضةً! فقد أمسكتُ بها مرة وهي تبصق في فنجان قهوتي، لأنها كانت تلومني على انفصال والديها، فلم يخبرها أندي بحقيقة ما فعلته لويز، ولكن الأمور تغيرت بيننا خلال الشهرين الماضيين، فأصبحت الآن ودیعة كالقط، وإن تجاهلتها أو تظاهرتُ بأنني لا أهتمُّ بها حين تتكورُّ بالقرب مني، أدرك أنها ستأتي إليَّ في الحال.

لم أبرع أبداً في التعامل مع الأطفال الصغار، وعلى الرغم من أنني أحبُّ كيت من أعماق قلبي، ولكن قضائي اليوم بأكملها مع طفل متحكمٍ ومستبدٍ بطول ثلاث أقدام، يعتقد أن إطلاق الغازات أمرٌ مضحكٌ، هو الجحيم بعينه. أما بالنسبة إلى المراهقين فأنا أفهمهم، وأفهم إحساسهم بأن العالم بأكمله يسعى إلى النيل منهم، وأنهم لا يؤخذون على محمل الجد، كما أستوعب شعورهم بالغضب والإحباط والرغبة في الظهور، بالإضافة إلى صعوبة تكيفهم مع المحيطين بهم، أوه، نعم، إنهم يضربون على وتر الحساس.

شعرت بالذعر حين مدّ أندي يده، ووضعها على فخذي، ثم سألتني: "هل من خطب ما؟ فقد كنتِ هادئةً جداً طوال الطريق".

أجبتُه باقتضابٍ: "إنني بخيرٍ، ولكنني متعبةٌ فقط بسبب المشاكل الاعتيادية التي أواجهها في العمل".

أعاد أندي يده إلى المقود مرةً أخرى وتنهَّد بعمق، وقال: "لم أستطع رفض طلب سيليا، إن المرأة على مشارف السبعين، ومن يدري كم من احتفال عائلي بعد هذا الاحتفال ستمكّن من حضوره لاحقاً؟".

سيليا قويةٌ كالثور، فلا تزال تجري كل صباحٍ، وقد اشتركت في سباق العشرة كيلومترات الذي أُقيم لمن تجاوزوا سن الخمسين في ويست ساسيكس في فصل الربيع لسنواتٍ طويلة، وكانت تحتلّ مركزاً مهماً ضمن العشرة الأوائل في كل مرة. كما رأيتها وهي تذري السماد على ورودها الحمراء، فبدت وكأنها تستطيع فعل ذلك طوال اليوم.

أضاف أندي عندما لم أنبس بينت شفة: "تعرفين كم تعني لها العائلة، كما أن علاقتك بلويز تحسنتُ بشكلٍ رائعٍ هذه الأيام، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى أنه سيكون مفيداً أن يرانا الأولاد مجتمعين معاً".

"ولكنهم سيرونا مجتمعين في أثناء مشاهدة المسرحية".

"الأمر مختلفٌ، أليس كذلك؟ وقد مرّ وقتٌ طويلٌ منذ أن التقيتِ بـبرين وسيليا، وسيكون لقاؤهما مرةً أخرى تصرفاً لاثقاً".

زوجي رجلٌ ذكي وواسع الاطلاع والمعرفة بشكلٍ مذهلٍ، فهو الابن الوحيد لمهندسٍ يعمل في راديو بي بي سي وأمينة مكتبةٍ، وقد ولد بشكلٍ مفاجئٍ في وقتٍ متأخراً من حياة والديه، فكان عمر والدته أربعة وأربعين عاماً، أما والده فكان في الستينات من عمره، وقد ترعرع وهو يستمع إلى إذاعة وورلد سيرفيس، ويقرأ جريدة التايمز بالتوازي مع مجلة الأطفال بيانو. وفي عامه الثاني والعشرين أصبح مراسلاً في شبكة آي إن إن الإخبارية، وقد

غطى كل الأحداث بدءاً من هجمات الحادي عشر من أيلول حتى الحرب الأهلية في السودان، وأجرى مقابلاتٍ مع رؤساء دولٍ وباروناتٍ وعددٍ لا يحصى من السياسيين ومشاهير الوسط الفني، كما يمكنه تسمية عاصمة كل دولةٍ في العالم والتي يبلغ عددها 195 دولةً، ومن بينها الكرسي الرسولي والدولة الفلسطينية، بالإضافة إلى كمية هطول الأمطار السنوية فيها، والنتائج المحلي الإجمالي لها، كما أنه يتقن خمس لغاتٍ ومن بينها العربية والفارسية، وهو يُجيد لغة الإشارة أيضاً.

سيليا روبرتس تبغضني، وبصراحةٍ لو كنتُ مكانها لشعرت بالمثل أيضاً، فهي تعشق أندي بعد أن حلّ محل ابنها الذي فقدته، كما أنها لم تُلقي اللوم عليه أو على ابنتها المغفلة بسبب طلاقهما، لأنه كان من الأسهل بالنسبة إليها أن تقلدني لقب خرابة البيوت الماكرة، وتلقي اللوم عليّ بالكامل. في المناسبات القليلة التي جمعتنا، لم تكلف نفسها عناء إخفاء كرهها لي ونقمتها عليّ، ولو كانت والدة أندي لتوجب عليّ أن أرثدي خوذةً مصفحةً، وأنا أواجه غضبها، فأتغاضى عن إساءاتها. ولكنها حماته السابقة، وأندي ولويز مطلقان الآن، ولا سبب يجبرني على أن أتحمّل معاملتها السيئة، وكأنني القذارة التي تحت نعلها.

لقد تغاضيتُ عن الأمر لعدم رغبتني في الشجار مع أندي أمام كيت، وعندما وصلنا إلى المنزل في برايتون، تخلّصتُ من غضبي بتهوئة المكان، وتبديل أغطية الأسرة كلها، بينما انسلّ أندي إلى مكتبه، وأنا على ثقة بأنه سيتصل بلويز، إذ ظهر على ملامحه المظهر المألوف للمذنبين.

خطّطتُ لارتداء بنطالٍ جينزٍ أسود ضيق هذه الليلة، وصديرة فضية اللون تعجب أندرو، ولكنني غيرتُ رأبي فجأةً، لأنني سأبدو عندما أصل إلى صالة المسرح في المدرسة، وكأن على ظهري وسم "الزانية، والعشيقة التي تصطاد الصيد الثمين"، تعلّمت من واقع خبرتي كيف سيبدو المشهد، وهو تحديق

الجميع إليّ بفتور، وتداول الأحاديث الجانبية التي ستتلاشى فور مروري من أمامهم، لتُستأنف من جديد عندما أصبح خارج مرمى السمع تماماً. فلويز والدة مشهورة في المدرسة، وهي تعرف معظم الأمهات الأخريات، وخدمت في رابطة الآباء والمعلمين، حتى إنها أعدت المجلة المدرسية وأدارتها منذ بضعة أعوام. وكونك شخصاً مكروهاً، وينبذه الجميع، سيجعلك وحيداً ومرهقاً ومحروماً من تكوين أي صداقاتٍ، ولكن لا داعي للاعتماد على سمعتي السيئة.

بعد تفحص خزانة ملابسني سحبتُ بذلةً صوفيةً لونها وردي شاحب من ماركة شانيل، كنتُ قد ابتعتها بسعر التكلفة بعد إنهاء جلسة تصويرٍ قمنا بها لصالح مجلة فوغ العام الماضي، وهي أنيقةٌ نوعاً ما، ولكنها على طراز جاكولين أوناسيس، ولا تشبه ذوقي بتاتاً، ومع ذلك أثق في أن ارتدائها سيكون ملائماً في هذه المناسبة، إن الأمر مثيرٌ للسخرية حقاً، فأنا لم أهتم مطلقاً برأي الناس في ملابسني، وقبل أن أقابل أندي كنتُ ألبس من أجل إرضاء نفسي، فقد ورثتُ عن والدتي نهديها المرتفعين وساقها الجميلتين، والتي اعتدتُ أن أتباهي بها، ولكن منذ زواجي من أندي شعرتُ بالخجل حيال ارتداء أي نوع من الثياب التي تكشف مفاتن جسدي، فلم أرذ أن أبدو مثل الوضيعة إلى جانبه.

عندما انضممتُ إلى زوجي في غرفة الجلوس ظهر على وجهه تعبيرٌ يظهر عدم رضاه، وبينما كان وكيت مسترخيين على الأريكة، ويشاهدان فيلم بيتر رايبث للمرة المليون، قال لي: "إن الثوب مبالغٌ فيه بعض الشيء بالنسبة إلى حضور مسرحيةٍ مدرسيةٍ، أليس كذلك؟".

"ألا يعجبك؟".

أجاب أندي متشككاً: "إنه ليس الثوب المفضل بالنسبة إليّ، فأنت تبدين كامرأةٍ مسنةٍ".

وافقه كيت الرأي، فقلتُ لهما بنزقٍ: "إنها تماماً الصورة التي أبتغي الظهور بها".

أطفأتُ التلفاز متجاهلةً احتجاج كيت، وقلت لهما: "هيا، علينا الانطلاق فوراً، فقد قالت لوز إنهُ يتحتم علينا الحضور باكراً إذا أردنا الحصول على مقاعد في الصفوف الأمامية".

صاح أندي قائلاً: "انتظري، ألم تنسي شيئاً؟".

صمت هنيهةً، ثم قال وهو يتسّم: "أنا واثق من أنه في إمكاننا أن نجد لك بعض اللآلئ في مكانٍ ما...".

ضربته بالوسادة، وقلت له: "لا تضحك، فأنت المذنب في كل ما يحصل الآن".

وضع الوسادة جانباً، وأمسك بيدي، وقال بجدية مبالغتة: "لا تدعي سيليا تنال منك".

ثم ضمّني إلى صدره، وأحكم ذراعيه حول خصري، وقال لي: "ارتدي ما تريدين ارتدائه يا كاز، ليس عليك التأق من أجلها أو من أجل أي شخصٍ آخر".

"يسهل عليك قول ذلك".

"منذ متى تعيرين رأي الآخرين اهتماماً؟".

إنه محق، فلن تحبني سيليا روبرتس ولا مافيا الأمهات المتعاليات أولئك أبداً، فلم أجهد نفسي بلا طائلٍ؟

عدت إلى الطابق العلوي راكضة، وبدلت ملابسني، فارتديت الجينز الضيق والصديرة الفضية، وانتعلت حذاء ذا كعب عالٍ.

لمعت عينا أندي عندما عدتُ إلى الطابق السفلي، وقال لي: "هكذا تبدين أجمل".

قلتُ له، وأنا ألتقط حقيبتني: "لنسرع، يا زوجي الوسيم".

عندما وصلنا إلى موقف السيارات التابع لمدرسة بيلا، كان ممتلئاً بشكلٍ مفاجئ، فرأيت بوضوح الآن أن لويز لم تكن تبالغ في تحذيرها. وبينما كان أندي يبحث عن مكانٍ شاغر ليركن السيارة، لم تكن الساعة قد تجاوزت السادسة والنصف، إلا أنه بدا واضحاً أنه سيكون هناك متسعٌ للوقوف فقط في الداخل، ولكن عندما فتحنا الباب الذي يقود إلى المدرج، اعترضنا تدفقٌ بشري مبالغتٌ يغادر القاعة، فنظرت إلى عيني أندي بحيرةٍ، ربما كان هناك عرضٌ نهاري أيضاً. تمتيتُ لو عرفتُ ذلك مسبقاً، لأنني كنتُ سأفضل الذهاب إلى عرضٍ يُقدّم في وقتٍ أبكر، كي لا يتناول كيت طعامه في وقتٍ متأخرٍ. سألت امرأةً ترتدي فستاناً مورداً، وقد بدا وجهها مألوفاً نوعاً ما: "هل كان هناك عرضٌ مبكراً؟".

"في الحقيقة، كان العرض عند الساعة الرابعة، إذا كان هذا ما عينته بكلامك".

"أوه، لم أكن على علمٍ بتقديم عرضين اليوم".  
نظرتُ إليّ وكأنني امرأةٌ مجنونة: "لم يقدّم عرضان".  
"ولكن العرض لن يبدأ قبل الساعة...".

قالت باقتضابٍ وهي تستدير نصف استدارةٍ للانضمام مجدداً إلى حشد الأهالي الذين يثرثرون وهم يغادرون السرح: "لقد بدأ العرض عند الساعة الرابعة".

التفت إلى أندي، ولا أدري ما الذي سأقول له.

صاح أندي فيّ قائلاً: "هل تمزحين؟ هل فوتنا حضور المسرحية؟".

"لقد أخبرتني لويز بأن المسرحية ستبدأ عند الساعة السابعة!".

"لا بد أنك ارتكبت خطأً، يا إلهي، يا كاز، ألم تدوني الموعد؟".

"لم أرتكب أي خطأ، وأنا على يقين من أن لويز أبلغتني بالتوقيت الخاطئ

عن عمد".

شدّ كيت يدي، وهو يقول: "هل انتهت المسرحية؟ هل نستطيع الذهاب لتناول طعام العشاء الآن؟".

انفجر أندي غاضباً، وقال: "بالطبع لم تخبرك بالتوقيت الخاطيء عن عمد، إنها ليست مهووسة لعينته، ومن الواضح أنك فهمت كلامها بشكلٍ خاطيء".  
بدا وكأنه يمنحني امتياز الشك في كلامي، ولكنني متأكدةٌ وفقاً لتعابير وجهه من أنه لا يصدّق أنني ارتكبت خطأً بريئاً، بل يعتقد أنني أفسدتُ ليلة بيلا عمداً. لقد حصل ما خطّطت له لوزير تماماً.



## الفصل 9

### لويز

تمتمت وأنا أمدّ عنقي كي أنظر إلى الخلف: "لقد انتظرا حتى اللحظة الأخيرة، إنها الساعة الرابعة تقريباً، وستبدأ المسرحية خلال دقائق".

قالت أمي بثقة: "إن أندرو سيحضر بالتأكيد".

"حسناً، ولكنهما سيقفان في الخلف، فالمكان يغمض بالناس".

وضعت أمي يدها على كتف تولي، بينما كان يركع على كرسيه: "كفّ عن التملل، يا تولي، كان يتحتّم علينا حجز مقاعد لهم، يا لويز، فقد كان إلى جانبنا مباشرة ثلاثة مقاعد شاغرة".

استدارت مين لتخاطب أمي قائلة: "لا، يا سيليا، لم يكن علينا أن نحجز المقاعد لهم على الإطلاق، يكفي أن تضطرّ لويز إلى الجلوس بالقرب من تلك المرأة السيئة لتناول طعام العشاء".

أضافت قائلة، وهي تستدير إلى الورا مجدداً: "أنا آسفة حقاً لأننا لن نتمكن من مشاركتكم العشاء الليلة، مع أنني لا أمانع أبداً أن يجالس دوم وجاك أخويهما لبضع ساعات، فهما يبلغان خمسة عشر عاماً، ولكني لا أستطيع تركهما برفقتهما طوال فترة المساء، وإلا فقد يقتلون بعضهم، أو يحرقون المكان بأكمله".

همستُ لها قائلة: "لا بأس".

قالت مين هامسةً لها أيضاً: "بصراحةٍ يا لويز، لا تستطيعين الاستمرار بالسماح لها بأن تفعل ذلك بكِ طوال الوقت".

كم تمنيتُ لو عرفتُ مين والدتي قبل وفاة نيكي، فقد كانت امرأة سعيدةً، ولكن سعادتها كانت قصيرة الأمد، لا تقدّرها حتى تصبح ذكرى من الماضي، وهي السعادة التي لا تتحقّق إلا عندما يكون أولادك بأمان وبصحة جيدة، ويكون زواجك مستقراً، ولديك سقف فوق رأسك ومنزل يأويك، ويتوفّر الطعام على مائدتك. كل ذلك قد يُفسح لك المجال لتكون نعيساً بسبب مشاهدة مجموعة صور ضبابية تظهر العطلات التي نشرتها شركة بوتس، أو بسبب قشارة صغيرة على منضدة مطبخك.

لقد قلقت أُمي عليّ وعلى شقيقي كما تقلق جميع الأمهات على أولادهن، فقد نبهتُننا إلى ارتداء خوذة الدراجات الهوائية، ومنعتنا من قبول الحلويات من الغرباء، وأصرت على أن نبلغها في حال قررنا أن نتأخّر في العودة إلى المنزل، ومع ذلك فقد اتّسم أسلوبها في التربية بالتهاون المحمود متبعة الطريقة نفسها التي نشأت عليها، فمنحتنا الحرية في ارتكاب الأخطاء، وتسلق الأشجار، وكسر معاصمنا، والامتناع عن دهن الكريم الواقي من أشعة الشمس اللاهبة، والتعرض لحروقها.

لكن موت نيكي غير طبيعة تلك المرأة التي كانت تتحلّى بتلك الصفات، فهي لم تفرط في الاهتمام بنا مع أن ذلك ما كان يُفترض أن يحصل، فيكون ذلك رد فعلها الطبيعي، ولكن عوضاً عن ذلك جمعنا بالقرب منها، وأقحمت نفسها في كل جانبٍ من جوانب حياتنا بطريقةٍ لم تكن تلجأ إليها من قبل، كما أنها حمت منطقتها بحزمٍ وبأسلوب هجومي كالنمرة الشرسة.

عندما رُفض طلب لوك لدراسة الفيزياء في جامعة إمبيريال التي كانت خياره الأول من دون إجراء مقابلةٍ معه، توجّهت في اليوم التالي إلى لندن، واقتحمت مكتب قبول الطلبات، وهي تحمل بيدها تقاريره المدرسية، فنذت بالمسؤولين علناً، ما أجبرهم على أن يقبلوا بإجراء مقابلةٍ معه، ومع أنه كان يشعر بالإحراج الشديد، إلا أن أُمي لم تكثر لذلك، فلم يعد الإحراج جزءاً

من مفردات قاموس حياتها بعد الآن، بل ما يهّمها فقط أن نحصل على ما ترى أننا نستحقّه، فدافعت عنا عندما لم نستطع الدفاع عن أنفسنا، أو عندما كنا نستسلم ولا نحارب من أجل المطالبة بحقوقنا، ولهذا السبب ترفض حتى الآن اعتبار قضية أندرو خاسرةً، وهي مستعدة لخوض معارك طاحنة من أجلنا بغض النظر عن رغبتنا في الماضي قدماً في ما تسعى إليه، فقد اختبرت تجارب كثيرة في الحياة، وخاضت معارك قاسية، وكل ما تريده هو أن تضع الأمور في نصابها الصحيح من أجل مصلحة عائلتها، ولا أستطيع سلبها ذلك الحق.

أما أبي فقد عبّر عن حزنه بطريقة مختلفة تماماً، فكان قبل وفاة نيكي يشارك أُمي في تربيتنا، ولكنه بعد موته تنازل لها عن كل ما كان يحدّد القيام به. ألقى نظرة سريعةً عليه بينما كان يعبث بألة تصوير قديمة الطراز كان يستخدمها في الماضي لتصوير مسرحياتنا المدرسية، وهو لا يزال يستخدم تلك الآلة نفسها في الوقت الحاضر، وشعرت بالذعر عندما اختبرت وميضها الذي بدا أشبه بوهج القنبلة الذرية التي ألقى على هيروشيما، وقد ظهر وهجها على شبكية عين كل شخصٍ يجلس ضمن دائرة نصف قطرها عشر أقدام. في الجانب الآخر، حمل لوك هاتفه الآي فون الجديد، وضغط على زر التسجيل متفحصاً مستويات الإضاءة فبدوا متشابهين للغاية مع فارق بسيطٍ يتجلى في التكنولوجيا المتطورة، فكلاهما قد نجوا من فاجعة فقدان نيكي كما نجوتُ أيضاً، وهكذا تلاشى أي أثر لتلك الفاجعة في الخلفية، بينما ظلّت أُمي وحيدةً في بؤرة أحزانها العميقة.

فجأة خفتت الأضواء، وعمّ الصمت المكان، ولم يصدر سوى صوت خشخشة أوراق جدول العرض وبعض السعال الخجول، ثم ظهرت المديرية على خشبة المسرح، وأدلت بالملاحظات المعتادة حول حجم العمل الجاد الذي قام به الجميع، ثم عزّفت بممثلي اتحاد الآباء والمعلمين، ولكنني لم أكن بكامل تركيزي، لأن بيلا قد يدّمرها تخلف والدها عن الحضور، وعندما

طلبت المديرية من الجميع إغلاق هواتفهم المحمولة، وأخذ الناس يتحسسون ما في حقائبهم، انتهزت الفرصة لألقي نظرةً أخرى على الجمهور محاولَةً العثور عليه، فإن كان قد حضر فلا بد أن يكون في الخلف مباشرةً. ثم رُفِعَت الستارة، وسار أنطونيو على خشبة المسرح مع إخوانه الشكسبيريين، فدعوتُ ربي ألا تشعر بيلا برهاب المسرح فتنسى حوارها، وانتظرتُ بفارغ الصبر مشهدها الافتتاحي، فبعد كل المشاكل التي رافقت مجيئها إلى البروفة النهائية هذا الصباح، وصلتُ أعصابها المتوترة إلى مرحلة الانهيار، وعندما كانت تتبرج بعد ظهر هذا اليوم، وأخطأت بوضع الكحل، انفجرت بالبكاء، ولكن ما إن اعتلت خشبة المسرح، وبدأتُ بأداء دورها المنفرد الأول بثقة، علمتُ أنها ستكون على ما يرام، فقد تدرّبتُ معها على حواراتها، حتى أصبح في إمكانني أن أقرأها بشكلٍ معكوسٍ، فوجدتُ نفسي أغمغم معها: "... هكذا إذن تكون إرادة ابنة حية كُبحت بإرادة أب ميتٍ"، فلكرتني أمي في صدري لأصمت.

بعد ساعتين ونصف الساعة، اغرورقت عيناى بالدموع، وأنا أثبُ على قدمي مع الجمهور، وأصْفَق بحرارة، فبقيتُ أصْفَق وأهتف بصوت عالٍ حتى تخدّر كفاي وجفّ حلقي، وبُحّ صوتي، وطوال فترة عرض المسرحية نسيتُ تماماً أن بوريتا<sup>(1)</sup> هي ابنتي، فقد بدت فتاة جميلة المظهر، ذكية وسريعة البديهة، ولطيفة المعشر، كانت أكثر بطلات شكسبير جاذبيةً. ومع أنها مجرد مسرحية مدرسية، نسيت فيها كثير من الجمل، وظهرت إشارات خاطئة، وأذى بعضهم دوراً جامداً، كأنطونيو الذي أظهر مقداراً من العاطفة أقل مما تظهره ساق الطاولة، لكن بيلا كانت تؤدّي دورها بإبداع مطلق، وإذا قلتُ ذلك بصفتي والدتها، فلأنها بدت شخصاً آخر تماماً على خشبة المسرح، فلم أرها أبداً متألّفة ومبهرّة بالطريقة التي ظهرت بها للتو. لم تعد الطفلة المتجهمّة الوجه

(1) اسم الشخصية التي تؤدّيها بيلا.

والمنطوية على نفسها، فالفتاة التي تقسم في منزلي لم يعد لها أي وجود، وحلت مكانها امرأة رائعة واثقة من نفسها. إنها ملكة الدراما بالفعل، لقد شعرت كما لو أنني أتعرّف إلى ابنتي للمرة الأولى.

صاحت مين ونحن ننضمّ إلى الحشود الهائجة المتجهة نحو المخارج: "ألم تكن مذهلة؟".

قلتُ وأنا أبذل جهداً للعثور على أندرو، إذ لا يمكن أن يكون قد فوّت المسرحية، فبيلا كانت استثنائية: "لقد كانت مبدعة، هل تستطيعين رؤية أندرو في أي مكان؟".

صاح تولي وهو يتعد عني: "إنه يقف هناك، أبي!". وجدت صعوبة في التمسك بابني وهو يشقّ طريقه بين الحشود، فاعتذرت إلى من اصطدمت بأكتافهم بشدة، وأنا أخطو خطوات حثيثة على أصابع قدمي، وأنادي: "تولي، انتظرنني!".

حتى الآن لم أر أندرو، على الرغم من أنه نُصب عيني تولي، كما يبدو واضحاً، وعندما وصلنا إلى الأبواب المزدوجة التي تقود إلى مدخل القاعة، أتى طاقم التمثيل راكضاً عبر الممر الجانبي الذي يؤدّي إلى الكواليس، وكان الممثلون لا يزالون يرتدون أزياءهم، ويصيحون بأعلى أصواتهم، ويضحكون وهم يتبادلون الأحاديث مع أهاليهم الفخورين بهم في القاعة، ركضت بيلا في اتجاهنا جنباً إلى جنب مع صديقتها تايلر، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة، فرفعت تولي بحركة سريعة، وأخذت تدور به، وهي منتشية بالانتصار.

صاحت قائلة: "هل شاهدتموني؟ هل شاهدتموني؟". ابتسمت قائلة: "لم نفوّت مشهداً من المشاهد التي أدّيتها. كنت متألّفة، يا عزيزتي، ومذهلة للغاية. لقد أخبرتك بأنك ستكونين رائعة، وأنت أيضاً يا تايلر، أعجبني أداؤك شخصية باسانيو، فقد كنت رائعة".

قالت تايلر: "شكراً لك يا سيدة بيچ، أوه، ها هي أمي، سأراك لاحقاً يا بيلا".

لم تستطع بيلا أن تخفي غببتها، وقد أسعدني شعورها بالانتصار: "أخطأتُ في بداية المشهد الأول من الفصل الثاني، ولكنني لا أعتقد أن أحداً لاحظ ذلك".

قلتُ لها بصدقٍ: "لا أستطيع أن أصدق أنك أنت من كنت تؤدّين الدور على خشبة المسرح، فقد كنتِ مذهشةً، يا بيلا، أذهلتنا جميعاً، وسيكون حفل توزيع جوائز الأوسكار هو انتصارك التالي".

سألتني وهي تتجاوزني، وتنظر إلى سيليا: "أين أبي؟".  
شقّ لوك ومين طريقهما بين الحشود، وانضمّا إلينا، فصرخ تولي، وهو يشير بيده: "إنني أراه هناك!".

كان أندرو وكاز واقفين في بهو المدخل، وهما يتحدثان إلى والدة تايلر، ويبدو أنهما كانا واقفين في الخلف طوال فترة العرض، إلا أن ذلك يبدو مرهقاً بالكعب العالي السخيف الذي تنتعله كاز، بدت بتلك الثياب، كما لو أنها ذاهبةً إلى السهر في ملهى ليلي، لا إلى حضور مسرحية مدرسية.

هوى قلبي عندما استدار أندرو، ولجزءٍ من الثانية عدتُ بالزمن إلى سن الرابعة والعشرين مجدداً، عندما دخلتُ إلى حانة النبيذ المقابلة لاستديو قناة آي إن إن، ووقفت وجهاً لوجهٍ أمام أجمل رجلٍ صادفته في حياتي، واليوم كما بالأمس، يتكرّر المشهد، وقد تبخّرت الحشود من حولنا، ولم يبقَ في القاعة أحد سوانا.

عندما التقينا للمرة الأولى كان أندرو في بداية الثلاثينات من عمره، وهو شاب طويل القامة وداكن الشعر، ومتأنق المظهر ببذلته الرسمية الرمادية اللون، والتي جعلته يفوق معظم الرجال في عمره أناقة وجاذبية، وسرعان ما علمتُ أنه كان مراسلاً، وأن بذلته كانت زيه الرسمي الذي يظهر به أمام

الكاميرا. كانت ربطة عنقه المربوطة حول عنقه قد ارتخت قليلاً، حمل سترته بأحد أصابع يده، وأسندها إلى كتفه.

نظر حوله بينما كان الباب الضخم يُغلق خلفي، ورأيت في عينيهِ الأسديتين والكهرمانيتي اللون نظرات إعجابٍ شديد، وعندما أفرج ثغره عن ابتسامةٍ ساحرة، سمعت ضربات قلبي في أذني، وشعرتُ بتقلُّ الفراشات في معدتي، وما زلتُ أشعر بها حتى الآن، وأظنُّ أنني سأظلُّ كذلك حتى آخر يومٍ في عمري. ما إن وضع أُندي راحة يده أسفل ظهر كاز، وتمتم شيئاً ما في أذنها، حتى تفتقت جراحي التي ظننت أنني ضمّدتها كالיום الذي تركني فيه أندرو.

أزلتُ بيلا أخاها، فاندفع تولي عبر غابةٍ من السيقان نحو والده، وصاح قائلاً: "أنت متأخرٌ، لقد فوّت المسرحية!".

ساد المكان صمتٌ مفاجئٌ، فنظرتُ إلى أندرو وافترضت أنه سيقول إنهم كانوا في الخلف بعيدين عن أنظارنا فحسب، ولكنه همزَ كتفيه بياسٍ، وقال لنا: "لقد أخطأنا في التوقيت، أنا أسفٌ جداً"، وأضاف بينما كانت ملامح وجه بيلا تتجعد خلف ماكياجها المسرحي: "سمعتُ الناس يتحدثون عن مدى روعتك، وأنت كنت نجمة العرض...".

لم تنتظره بيلا ليكمل كلامه، بل استدارت، وقد ارتفع صوت نشيجها، وجرت عائدةً إلى القاعة، فحاول أندرو اللحاق بها، ولكن مين اعترضت طريقه وقالت له ببرودٍ: "أعتقد أنك تسببت في ضررٍ كبيرٍ كافٍ لهذا اليوم".

صرختُ بغضبٍ: "كيف لك أن تخطئ في التوقيت، لقد أخبرتُ كاز بأن المسرحية ستبدأ عند الساعة الرابعة ثلاث مراتٍ على الأقل!".

اعترضت كاز قائلة: "لقد أخبرتني بأن موعد عرض المسرحية عند الساعة السابعة مساءً".

انفجرت أُمي غاضبة، وهي تقول: "لا تكوني سخيفةً فالمسرحيات

المدرسية لا تُعرض إلا بعد الظهر ليتمكن الأهل من الحضور ومشاهدة أبنائهم من دون الحاجة إلى السهر حتى وقت متأخر، لقد أتيت العام الماضي، وكان عليك معرفة ذلك".

حدّق أندرو إلى زوجته، وقال لها: "يبدو جلياً أن كاز قد ارتكبت خطأً فادحاً، وسأذهب للعثور على بيلا والاعتذار إليها، وأنا واثق من أنها ستفهم الموقف".

قالت كاز بحزم: "لم أخطئ في التوقيت، ومع أنني اعتقدت أن ذلك يبدو غريباً بعض الشيء، ولكن لويز أصرت على أن موعد عرض المسرحية قد تحدّد مساء هذا العام، ولهذا السبب أخبرتك بأن تحجز طاولة العشاء عند الساعة التاسعة والنصف".

تردّد أندرو في التعليق على كلامي، إلا أنني رأيتُ الشك في عينيه، وقد بدا موقفه مفاجئاً، ومع ذلك لا أظنه يعتقد أنني سأكون حقيرةً ومخادعةً إلى هذا الحد، ولكنني أعرف ما تعنيه نظراته؛ فقد أطلقتُ استغاثةً كاذبةً في وقت سابق، والآن عندما اقترب الذئب، وأقعى أمام باب منزلي، ما عرّض حياة عائلتي للخطر، لم يعد يصدقني أحداً.



## الفصل 10

### كاز

جلستُ إلى طرف الطاولة، وأنا أعبتُ بصحن السلطة، ولسبب ما لا أزال أشعر بأنني لم أحصل على براءتي من التهمة التي وُجِّهت إليّ، وبأنني أؤذي دور الشرير في هذه القصة، على الرغم من أن لويز كانت المخطئة، ولم أكن المسؤولة عن ارتكاب ذلك الخطأ مطلقاً.

قضى أندي أربعين دقيقةً محاولاً تهدئة بيلا وإقناعها بمرافقة الجميع لتناول طعام العشاء في المطعم، ولكنه لم يعتذر إليّ البتة، وعضواً عن ذلك طلب مني عندما استقللنا السيارة أن أتواصل مع لويز بلباقة أكثر في المرة القادمة، من دون أن يسمح لي بمناقشة المسألة أكثر من ذلك.

على الرغم من أنني قدّمتُ إليه دليلاً قاطعاً على أن لويز تحاول الإساءة إليّ وتدمير سمعتي، إلا أنه لا يزال يخلق لها الأعذار، ولا أعرف لمَ توقّعتُ أن يتخذ موقفاً مغايراً، فخلال السنوات الأربع الماضية كان أندي كالمخاتم في إصبعها، وكل ما كان عليها فعله هو النقر بأصابعها ليُقبل إليها راكضاً.

ليست طليقته من كان يتحتّم عليّ مشاركتها زوجي فحسب، بل كنت أشاركه كل فرد من أفراد عائلة روبرتس التي اعتُبر فرداً منها طوال سبعة عشر عاماً، فلم يغيّر الطلاق طبيعة العلاقة التي ربطت بينهم، بل غالباً ما كان أندي يزورهم في منزلهم طوال أيام الأسبوع، بالإضافة إلى أيام العطل المخصّصة لزيارة الولدين، فكان يصلح لهم الرفوف المتخلخلة في غرفة الجلوس، أو

يرافق برين لاحتساء المشروب، ومنذ عدة أسابيع قضى أسبوعاً كاملاً، وهو يزرع مسكبة طماطم جديدة، بحق الله، وإن اعترضت سأبدو مثل بقرة غيورة تتصرف بطريقة غير منطقية.

أعلم أن الروابط والعلاقات قد تبدو معقدة عندما ينفصل الزوجان، وأفهم أنه من خلال وجود الأطفال في الصورة، يتحتم على الوالدين أن يندمجا في مختلف مجالات حياتهما، ولم يكن لدي أي مشكلة في تلك المسألة أبداً، ولكن لمجرد أنني زوجة أندي الثانية، لا يعني أنني يجب أن أحل في المرتبة الثانية.

سمعت صوتاً في الجانب الآخر من المطعم، وبينما كنت أرنو إلى ما يجري، لمحّت المرأة التي ترتدي الفستان المورّد، والتي التقيت بها صدفة في مدرسة بيلا برفقة ابنتها تايلر وباقي أفراد عائلتها، وكانوا جميعاً يلوّحون بحماسة للويز، فغاص قلبي في صدري، يا له من مشهد رائع! إن كل ما ينقصني الآن أن أعلق بين أعضاء نادي معجبي لويز المتجولين.

أسرعت المرأة التي ترتدي الفستان المورّد إلى مائدتنا، فوقف أندي ولويز وتبادلوا جميعهم العناق والتهانى، ثم وضع كل من أندي ولويز يده بفخر على إحدى كتفي بيلا، وبينما كان الجميع يلتقطون صوراً لأفراد العائلة السعيدة عبر هواتفهم النقالة، كنت أجلس وحيدة ومنعزلة، وقد تجاهلني الجميع تماماً، ثم لف أندرو ذراعه حول بيلا وتايلر التي بدت منبهرة به، وبعد ذلك انطلق الكلام الهراء مجدداً، فأشاد زوج المرأة التي ترتدي الفستان المورّد بأداء بيلا، مشيراً إلى صف المسرح وجوائز الأوسكار، وقد استمتع الجميع بمهرجان الحب الذي أقيم ابتهاجاً بنجاح بيلا، والذي استبعدت منه تماماً، وكأنني نكرة وسط الجميع. ولم يشعر أحد بالضيق والاستياء سوى بيلا التي طأطأت رأسها، وأخفت يديها داخل كمي ثوبها الأسود، فبدت وكأنها تتمنى أن تبتلعها الأرض، ففتوارى عن الأنظار. إن وقوفها تحت الأضواء، وتأدية

دور إحدى الشخصيات، والقدرة على الاحتماء بها على خشبة المسرح، تختلف كثيراً عن تسليط الأضواء عليها في الحياة الواقعية، وأظن أن لويز وأندي يعرفان ذلك جيداً.

دفعت كرسيي إلى الخلف، واتجهت إليها لإنقاذها، فاقترحت عليها قائلة: "بيلا، لم لا تصطحبين وتايلر الأولاد إلى الخارج لبعض الوقت، لتتنشقوا الهواء النقي؟".

لم تكن بحاجة إلى أن أطلب منها ذلك الطلب مرتين، وبينما كانوا جميعاً يهيمون بالخروج، وقفت مثل الحمقاء إلى جانب المائدة، انتظر أن يتعرف أحدهم إليّ.

أخيراً قالت سيليا بابتسامة مأكرة: "ريبىكا، هوغو، لا أعتقد أنه سبق لكما أن قابلتما كارولين زوجة أندرو الثانية".

زوجي ليس مورمونياً ولا مسلماً، ولا ينتمي إلى أي جماعة دينية تبيح له تعدد الزوجات، بل كان مطلقاً عندما عقدنا قراننا، وأنا زوجته الوحيدة، وهذه هي الحقيقة ببساطة ووضوح، ولا تحتاج إلى توضيح.

ابتسمت لي ريبىكا ابتسامة فاترة، وقد لمحتها تشدُّ كم زوجها، بينما كان يهيم برفع يده لمصافحتي، وعلى الفور أعادها طواعية إلى جانبه.

أخيراً، انشغل الجميع بتبادل الأحاديث، فجلست في مكاني إلى الطاولة، ثم عادت بيلا والأولاد، فجلس كيت على أحد جانبي الكرسي الذي أجلس عليه، بينما جلس تولي على الجانب الآخر، إذ حرصت سيليا ألا يجلس أي شخص بالغ إلى جواري، لذلك لم أتحدّث إلى أحد طوال المساء، وعندما التفت برين إليّ متجاوزاً حفيده ليتنبأ باحتمال هطول الأمطار، قاطعته سيليا، ومنعته من أن يحاول التحدّث إليّ مرة أخرى.

في العادة لا أشفق على نفسي، ولم أتوقّع بالطبع أن أكون محور الكون في ليلة بيلا العظيمة، ولكن هذا العشاء يكلفنا مبلغاً باهظاً، إضافة إلى أن

لويز تبتلع بالفعل معظم دخل أندي الذي يحصل عليه من عمله، فهي تتلقى ثروة طائلة حقاً، ومع ذلك جميعهم يعاملونني كحثة جرتها إحدى القطط. أخيراً انتهت هذه الليلة بأعجوبة في أثناء مغادرتنا المطعم، فقد ابتعدت بيلا عن والديها، وغطت خصلات شعرها الداكن وجهها، فبدأ سلوكها غريباً، وهي تشكرني قائلة: "أعلم أن أمي يمكنها أن تكون قليلاً... كما تعلمين"، ثم أضافت قائلة، وهي تتلاعب بحزام ساعتها لتجنب الإحراج، فبدأت حقاً الفتاة الوحيدة البالغة من بين أفراد عائلتها، وهي تضع حول معصمها ساعة قديمة الطراز: "ولكنني واثقة من أنها لم تتعمد أن تخبرك بتوقيت مغاير لعرض المسرحية".

على الرغم من الفشل الذريع الذي حدث خلال هذه الأمسية، إلا أن النهاية كانت تستحق تكبد كل ذلك العناء: "أنا متأكدة من أنها لم تفعل ذلك أيضاً، لقد كان مجرد سوء تفاهم، وهذا كل شيء". كذبت عليها من أجل مصلحتها، فهزت بيلا بكتفيها، وقالت: "أظن ذلك".

نادتها لويز بحدة قائلة: "هيا، بيلا، لقد حان وقت العودة إلى المنزل، فأخوك يشعر بالنعاس".

تفاجأت بأنهما لن يمضيا عطلة نهاية الأسبوع في منزلنا، فالتفت إلى أندي، وقلت له: "ألن يرافقتنا تولى وبيلا إلى المنزل؟".

لم يجروء على النظر إليّ حين قال: "ترى لويز أنه يتحتم عليهما العودة معها إلى المنزل، بما أن بيلا قد استاءت للغاية اليوم، لأننا فوتنا حضور المسرحية، وسيمضيان معنا عطلة نهاية الأسبوع المقبلة".

اعترضتُ قائلة: "لكنني حجزت في إسكيب روم لصباح الغد، ودفعت التكاليف كاملة، وقد فات الأوان لاستردادها الآن".

قالت لويز بحماسة: "أنا آسفة جداً، ولكن مخططاتك فشلت الآن بالأخص بعد أن أمضت بيلا أمسية عصبية هذه الليلة".

كنت أشتعل من الغضب، فتوجّهت إلى سيارتنا، من دون تكبّد عناء انتظار أندي وكيث، وبما أن أندي شرب كأسين من النبيذ، فذلك يعني أنني سأقود السيارة. وبينما كنت أحدّق بحدة عبر الزجاج الأمامي، شاهدته وهو يتمنى لطليقته السابقة وعائلتها ليلة سعيدة، بينما كيث يغرق في النوم بين ذراعيه. لم يكن إهدار المال فقط ما جعلني أنفجر غضباً، بل لأنني سئمت الطريقة التي يسمح بها لتلك المرأة بأن تتدخل في حياتنا، ولكن لماذا لا يستطيع التصدي لها؟

قال أندي بينما كان يحكم شدّ حزام مقعد كيث: "لقد بخلت علينا الليلة بعض الشيء"، ثم ركب السيارة.

فقلت مستغربة: "ما الذي تعنيه بكلامك؟".

"هس، سوف توقظين كيث".

همست إليه غاضبة: "بمّ بخلت عليكم؟!".

"بالكاد تحدّثت إلى أي شخص طوال السهرة، وعندما جاء بيكي وهوغو كونواي لتهنئة بيلا، قاطعتهما بفظاظة". شدّ حزام الأمان، وتابع قائلاً: "أعلم أنك وبيلا لا تنسجمان، ولكن هذه الليلة كانت ليلتها، وكان في إمكانك بذل المزيد من الجهد، والتظاهر بالاندماج في الجو العائلي وإن قليلاً".

كان صدري يحتدم غيظاً، وكدت أصطدم بعمود الإنارة، فقلت له بلهجة حادة: "لقد أنفقتنا سبعمئة جنيه تقريباً على ذلك العشاء، على الرغم من أن الشخصين الوحيدين اللذين تحدّثنا إليّ طوال السهرة، لا يتجاوز عمرهما أربع سنوات، كما أنني اضطررت إلى مقاطعة عائلة كونواي، لأنكم ضغطتم على بيلا، فبدت غير مرتاحة مطلقاً بعد أن سلّطت عليها الأضواء...".

"لا تكوني سخيفة، فقد كان أداؤها الرائع حديث الجميع!".

"لقد أدّت دورها ببراعة على المسرح، وهو المكان الذي يتسنّى لها الاختباء فيه خلف الشخصية التي تؤدّيها، وليس صحيحاً أنني لا أنسجم معها،

مكتبة  
t.me/soramnqraa

فهي الشخص الوحيد الذي تكبّد عناء شكري على دعوة العشاء".  
تمتم أندي قائلاً: "من المؤسف أننا لم نتمكن من الوصول في الوقت المناسب لحضور المسرحية".  
"حسناً، وهل تظنّ أنني سأذهب إلى حفلة سيليا اللعينة بعد ذلك...؟".  
قاطعني أندي قائلاً: "ولكنني سأذهب على أي حال".  
"افعل ما تشاء".

لم نتفوه بكلمة طوال المدة التي استغرقها سلوك الطريق المؤدي إلى المنزل. عندما عقدنا خطوبتنا منذ عدة سنوات حذرتني أنجي من أنني لن أرتبط به فحسب، بل بأفراد عائلة طليقته كلها، ولكنني لم آخذ كلامها على محمل الجد، لأنني كنت أعلم أنني سأضطرّ إلى التعامل مع ولديه، بالطبع، ولكن لم يخطر في بالي مطلقاً أنني سأضطرّ إلى التعامل مع عائلة طليقته بأكملها.

لا أحد يختار أن يقع في حب رجل متزوج؛ فقبل خمس سنوات عندما تخطى أندي الإشارة الحمراء، واصطدم بسيارتي الفيات أونو، لم أعر وجود خاتم الزواج في إصبع يده اليسرى اهتماماً، بينما كنا نتبادل تفاصيل التأمين، وقد قلت لنفسِي: "نعم، سيكون ذلك تحدياً رائعاً".

بالطبع أعجبت به، فقد كان وسيماً للغاية، وكنت سأعتبر ضعيفة النظر لو لم يُثر إعجابي، ولكنني لم أكن أبداً واحدة من أولئك النساء اللواتي يشعرن بالقوة كونهن مجرد عشيقات، وقد تخيلن بسذاجة أنفسهن شخصيات مشحونة بالقوة السحرية والجسدية المتفوقة على الزوجة البليدة، والتي تنشغل بالتسوق واصطحاب أطفالها إلى المدرسة على حساب الاهتمام بزوجها.

لكنني علمت عندما اتصل في اليوم التالي، ودعاني للخروج، وتناول مشروب بأنه ينوي "تقديم اعتذاره إليّ عما سببه من إزعاج"، إلا أن دعوته

لم تكن تتسم بالبراءة أبداً.

لم أكن أعلم أن زواجه قد انتهى بالفعل، ومع ذلك فقد ذهبت إلى الموعد على أي حال، وعندما حان وقت مغادرتي حانة كوفنت غاردن، كنت قد بدأت بالوقوع في حبه بشكل جدي، لقد سمعت عبارة "المشي على الهواء" من قبل، ولكن في تلك الليلة فهمت للمرة الأولى ما تعنيه تلك العبارة بالضبط، لقد شعرت كما لو كنت أطيّر على ارتفاع سبع بوصات فوق سطح الأرض بخفة الريشة، ولم تكن لدي فكرة بعد عما كنت أسمح لنفسي به، إلا أنني سمحت بأن أكون زوجة ثانية.

لم يكن حملي بكيّ حدثاً مميزاً، على الرغم من أن أندي بذل قصارى جهده ليبدو متحمساً، فقد سبق له أن اختبر الإحساس بالأبوة من قبل. أما بالنسبة إلى حفل زفافنا، فقد كان حفلاً مميزاً وأنيقاً، وأقيم في مكتب التسجيل في كنسينغتون وتشيلسي، ولكنني لم أحصل على حفل زفاف في الكنيسة أرثدي فيه الثوب الأبيض الذي تحلم به كل فتاة شابة، بينما لوز حَققت هذا الحلم.

لم نذهب إلى البندقية، أو إلى جنوب إفريقيا، أو لتأمل الشفق القطبي، لأنه زار تلك الأماكن برفقتها، كما أنه لم يكن مخلصاً لي، وقد حنث بكل الوعود التي تعهد بها عندما أقام علاقة مع لوز قبل زواجنا، ولأنني كنت العشيقة لا الزوجة، ولأنه كان ملك لوز قبل أن يصبح ملكي، تقبلت ما حدث بينهما، وعدنا معاً من جديد.

لم أكن السبب في انفصالهما، ولكن بطريقة ما شعرت بأنني المذنب، لذا تحمّلت أن أحتلّ المرتبة الثانية بدلاً من الأولى، وما رافقها من الذنب والفضيحة، والتعليقات الدنيئة، والعداء الصريح.

تحمّلت كل ذلك بابتسامة عريضة، ودفعت ثمن حبه باهظاً، ولكنني كنت أوّمن دائماً بأنني إذا صبرت أكثر، فسيكون أندي لي وحدي، وستواصل

لويز حياتها. ولكن ما عجزت عن استيعابه حتى هذه اللحظة، هو أن لويز لم تنغمس وحدها في ذكريات الماضي، بل إن أندي أيضاً لم يستطع نسيانها. ركنت في الممر خارج منزلنا، وراقبت زوجي وهو يترجل من السيارة، وللمرة الأولى منذ تلك الليلة في كوفنت غاردن، أجد قدمي مثبتتين بقوة على الأرض، بدلاً من السير في الهواء.



**ويليمينا جان بولوك**  
**الجزء الثاني من مقابلة مسجلة**

التاريخ: 2020 / 07 / 25

المدة: 34 دقيقة

الموقع: مركز شرطة كينغز بريدج  
يجري المقابلة: شرطة ديفون وكورنوال  
(تابع)

إجراء المقدمات المعتادة، واستمرار المقابلة.

الشرطي : "آسف على المقاطعة، دكتورة بولوك، هل أحضر لك أحدهم كوب شاي؟".

و.ب "نادني مين من فضلك، لا، شكراً، ولكن هل ستستغرق المقابلة وقتاً طويلاً؟ فقد تركت أولادي الأربعة مع زوجي، وأودّ العودة إليهم سريعاً".

الشرطي : "سأحاول أن أنهي هذه المقابلة بأسرع وقت ممكن، فلدينا عدد قليل من الموظفين في هذا المكان، ولن أبقىك أطول مما أحتاج...". (رنين هاتف).

و.ب "اللعنة، أستميحك عذراً، إنه زوجي، ظننت أنني وضعت هاتفي

المحمول على الوضع الصامت".

الشرطي : "هل توذبن الرد على اتصاله؟".

و.ب "لا، لا بأس".

الشرطي : "دكتور بولوك، مين، كنا نتحدّث عن علاقة أخت زوجك بالسيد

بيج، هل تعتبرين أن طلاقهما كان ودياً؟".

و.ب "نوعاً ما".

الشرطي : "حسناً، ألم يكونا على وفاق؟".

و.ب "لا، لم يكونا على وفاق في السابق، ولكن علاقتهما تحسّنت.

الآن، تبا! أعني لقد تحسّنت قبل مقتله"، (تصمت للحظات)، ثم

تتابع كلامها قائلة: "آسفة، ما زلت لا أصدّق أن أندرو قد مات،

فعلى الرغم من أنني لم أكن من أشد المعجبين به، إلا أنه لم

يستحق هذه النهاية".

الشرطي : "هل تحتاجين إلى لحظات للاستراحة؟".

و.ب "كلا، أنا بخير".

الشرطي : "حسناً، هل سيكون من الإنصاف القول إن الخلافات بين السيد

والسيدة بيج كادت أن تقودهما إلى الطلاق مباشرة، وأنهما تمكّنا

من أن يتصالحا، ويوطّدا علاقتهما من جديد؟".

و.ب "تماماً".

الشرطي : "وكيف حصل ذلك؟".

و.ب (تصمت للحظات) ثم تقول: "لا يهمّ ما الذي حصل أو كيف

حصل".

الشرطي : "دكتورة بولوك، إننا نحقّق في جريمة قتل، وكل ما تقولينه يُعدّ

مهماً".

و.ب "فقط... (تصمت للحظات) أوه، كما تعلم، فقد سيطر أندرو على

لو، فأصبحت مثل الخاتم في إصبعه، وقد نصحتها مراراً وتكراراً بالماضي قدماً في حياتها، لكن... (تصمت للحظات).

الشرطي : "هل لا تزال أخت زوجك تكن له المشاعر؟".

و.ب "كانت مستعدة للعودة إليه في غمضة عين".

الشرطي : "هل تعلمين إن فكراً في العودة إلى بعضهما؟".

و.ب "لا أعلم، ولكنه بالتأكيد كان يرسل إليها إشارات واضحة لتعود إليه".

الشرطي : "ما الذي تقصدينه؟".

و.ب "اسمع، لقد كان... لا أعلم بالضبط، ولكن الأمر كان صعباً

عليها، وهذا كل شيء"، (تصمت لبرهة)، "إنها تأخذ الأمور على محمل الجد خاصة بعد الذي حدث في أكسفورد مع معلمتها، حسناً، بالتأكيد تعرف ما جرى".

الشرطي : "هل انتظرت السيدة بيچ أن تتصالح مع السيد بيچ؟".

و.ب "كنا نعلم جميعاً أن الطلاق خطأ فادح، وأنندرو نفسه كان يدرك ذلك".

الشرطي : "هل أخبرك بذلك؟".

و.ب "لقد لمّح، فقد أخبرني بأنه يتمنى لو يعود إلى الماضي، ويغير مجرى الأحداث".

الشرطي : "وهل فهمت من كلامه أنه نادم على الطلاق؟".

و.ب "كان قصده واضحاً".

الشرطي : "هل قال لك شيئاً آخر؟".

و.ب "لقد قال إنه سوف يتخلص من الفوضى التي تحيط بحياته في نهاية هذا الأسبوع".

الشرطي : "أي فوضى كان يعني بكلامه؟".

- و.ب "ليس لديّ أدنى فكرة، فوضى لعينة كاملة هذا بالضبط ما قاله".  
الشرطي : "برأيك ما الذي كان يقصده؟".
- و.ب "سبق وأخبرتكَ بأنني لا أعلم".  
الشرطي : "متى أجريت هذه المحادثة مع السيد بيج؟".
- و.ب "بعد عودته مباشرة من الشاطئ الليلة الماضية"، (تصمت برهة)  
"يا إلهي! لقد كانت تلك المرة الأخيرة التي تحدّثت فيها إليه".  
الشرطي : "كيف بدا لك حينها؟"
- و.ب "لا أعلم، بدا مستاء قليلاً، وأفتراض أنك سمعت بما حدث خلال  
العشاء؟".
- الشرطي : "هل يمكنني سماع ما جرى منك، يا دكتورة بولوك؟".  
و.ب "في البداية كانت الأمور تسير على أفضل ما يرام، وكانت لويز  
في مزاج جيد، على الرغم من أنها لم تخنق كاز، آسفة، إنه تعبير  
مجازي، على أي حال، في نهاية العشاء قالت كاز كلاماً هراء  
أزعج الجميع، فغادرت لو، وتبعها أندرو، ثم سمعناهما يخوضان  
شجاراً حاداً على الشاطئ".
- الشرطي : "لم تذكر السيدة بيج ذلك الشجار".  
و.ب "حسناً، ربما لم يكن شجاراً جاداً، فلا أريد أن أعطي المسألة  
حجماً أكبر من حجمها الحقيقي، وبعد ذلك رأيت أندرو فأخبرني  
بأنهما حلّ كل خلافاتهما".
- الشرطي : "هل تعلمين سبب الخلاف؟".  
و.ب "كلا"، (تصمت للحظات) "لأكون صريحة، بعد كل الذي حدث  
في الأسابيع القليلة الماضية، فقد صدمني خبر مقتل أندرو".

خمسة أسابيع قبل الحفل



## الفصل 11

### لويز

كانت كريس تنتظرنني إلى طاولة على شاطئ البحر، ريشما أصل إلى مطعم فينيزا، وهي تتصفح أبادها، وأمامها كوب كبير من النيذ الأبيض يتصبب عرقاً، وما إن لمحتني حتى رفعت نظارتها الشمسية الكبيرة فوق رأسها، وقالت مبتسمة، وقد تجاهلت اعتذاري: "أنا ممتنة لتأخرك، يا عزيزتي"، فانحنيت لتقبلها، ثم أردفت قائلة: "أمهليني بعض الوقت لإنهاء رسائلي الإلكترونية، وهذه كأسى الثانية، إذا كنت تنوين الانضمام إلي".

"لا أمانع، ما لم تسبب باعتقالي، وأنا في طريقي إلى المنزل."  
"أتصلي بسائق أوبر، وإلا ما الفائدة من قضاء عطلة نهاية الأسبوع من دون الولدين ما لم تستمتعي بوقتك؟"، جلست ومددت ساقي، وأبعدت وجهي عن ضوء الشمس. يُعدّ فينيزا حقاً من أجمل المطاعم في برايتون، وهو يقع في مكان مثالي على الشاطئ، وله إطلالة ساحرة على البحر، وأرى أن عليّ ارتياد هذا المكان أكثر، بالإضافة إلى القيام بالكثير من الأمور التي تراكمت عليّ مؤخراً.

جلب لي النادل كوباً من الماء البارد، ثم طلبت بلح البحر الغربي مع صلصة النيذ الأبيض، بينما طلبت كريس رافيولي الكمأة السوداء، وما أثار إزعاجي أنها لا تزال بحجمها الصغير نفسه الذي كانت عليه عندما كنا في المدرسة، والذي أعلم بأنها لا تحبّه، ولكن ابنتها، أليسا، وهي في صف بيلا نفسه، ورثت عظام والدها البارزة، وقلبت الموازين في سن الثالثة عشرة،

واعتبرت كون أمها عارضة أزياء شهيرة إهانة شخصية موجّهة إليها.

قالت كريس بينما كان النادل يضع بيننا سلة خبز على الطاولة: "لقد سمعت بالعرض الذي حدث بعد المسرحية، وأنا أعتذر لأنني لم أستطع أن أكون إلى جانبك في ذلك الوقت".

بينما كنت أتناول البلح قلت: "بالكاد تحدّثت بيلا إليّ طوال الأسبوع الماضي، كما لو كنت المسؤولة عن تأخّر والدها ثلاث ساعات عن عرض المسرحية".

لطالما أزعجني برود بيلا، مع أنني أدرك أن كراهية الأولاد للأم يُعدّ جزءاً من الوصف الوظيفي لها، ولكن قبل بضعة أشهر فقط، كنتُ وبيلا مقربتين، وفي هذه الأيام أكون محظوظة إذا أولتني القليل من اهتمامها، ولا أعلم لماذا بدأت تبتعد عني، لكن ذلك تزامن مع ذوبان جليد علاقتها بكاز، وبطريقة ما تلك المرأة تحرّض ابنتي ضدي.

كان الأمر الإيجابي الذي نجم عن تلك الأمسية السيئة، أنه خلال بضع ساعات قصيرة استطعت وأندرو أن نفتخر بابتنا معاً، وذلك يعدّ من الأسرار التي لا تعرفها عن الطلاق، أما نقص المال، وخلافات الحضانة، وألم رؤية زوجك برفقة امرأة أخرى، فهو ما تتوقّعه، ولكن هناك الكثير من الخسائر الطفيفة والمريرة أيضاً. لقد كانت بيلا الطفلة المنشودة، وهي مظهر من مظاهر الحب الحي، الذي يطلق النكات، ويتشقلب حاله، فينقلب رأساً على عقب، ثم يرتاد الجامعة.

كانت فرحة الأبوة المشتركة بيننا، وقد اعتبرت ذلك الشعور أمراً مفروغاً منه، حتى انتزع مني. بالطبع ما زلنا فخورين ببيلا، ونحبّها كثيراً، لكن علينا القيام بذلك بشكل منفصل الآن، فأنا أعرف أن أندرو يكره ذلك بقدر ما أكرهه.

تناولت كريس لقمة كبيرة من الرافيولي، وسألتنني: "هل أنت متفرّغة



الأسبوع المقبل؟"، فلديّ تذاكر إلى ويمبلدون، وكنت سأصطحب أليسا بما أن جيف منهمك في العمل، ولكنها تعتقد أنني أحاول التلميح بالعودة إلى التمرين مجدداً.

"أتمنى لو أستطيع مرافقتك، ولكنني أحاول الحصول على بعض الأعمال المستقلة هذا الصيف، ولا أستطيع تحمل تكاليف رحلة سياحية لقضاء الإجازة".

"اعتقدت أن العطلة الصيفية من مزايا العمل بصفة مدرسة؟".

"أنا متعاقدة، ولا أحصل على راتب خلال عطلة الصيف، ما لم أعط بعض الدروس الخصوصية الإضافية، وهو أمر يكاد يكون مستحيلاً في مادتي"، ثم تنهدت قائلة: "أعلم أنه كان عليّ أن أذخر بعض المال، ولكنني لم أتمكن من تحصيل ما يمكّني من ادخار فلس واحد".

"ألا يمكنك العودة إلى البوست؟ فلديك سجل حافل، وبالتأكيد سيستفيدون من خبراتك".

"الأمر ليس بهذه السهولة، فقد استقال معظم معارفي من العمل، وقد ألغت البوست عدداً كبيراً من الوظائف الدائمة، واستبدلتها بالعاملين المستقلين". رميت من دون قصد بلح البحر في الوعاء بجانب صحنني، وأنا ألعق أصابعي، ثم تابعت كلامي قائلة: "ربما يكون الأمر مختلفاً لو كنت أعيش في لندن، ولكنه احتمال بعيد، بل مستحيل. كنت أطرح الأفكار، ولكن يصعب الحصول على توصيات عندما تكونين بعيدة ولا يعرفك المحررون. لقد استقلت منذ ولادة تولي، وأربع سنوات تُعدّ مدة طويلة في هذا المجال". سألت كريس: "حسناً، ماذا ستفعلين الآن؟".

"يجب أن أكون قادرة على الحصول على بعض الأعمال البسيطة، بما يكفي لتوفير القليل من المال، فسأعمل لدى بعض المجلات بصفتي محررة لمجلة العطلات، كما قدّمت إليّ إحدى الأمهات في رابطة الآباء والمعلمين

عملاً في العلاقات العامة في المدرسة".

"ولكنك تكرهين العمل في العلاقات العامة!"

"نعم، ولكن بصراحة ليس لدي خيار آخر، إن مردود العلاقات العامة أكبر من الصحافة هذه الأيام".

"هل يمكنك تغيير مجالك ببساطة؟"

"سبق لي أن فعلت ذلك، إنه العمل نفسه إلى حد كبير. أنت فقط تتخلى عن الحياد لصالح أي علامة تجارية تروجين لها".

قالت كريس بتمعن: "اسمحي لي أن أقدم إليك بعض المقترحات، ربما يمكنني أن أتبع لك بعض فرص العمل".

أصرت على دفع الفاتورة، وعلى الرغم من أن ذلك يُعد مهيناً نوعاً ما، إلا أنني سمحت لها بدفع الحساب، فنحن صديقتان منذ ثلاثين عاماً، وقد ترجحت مدخراتنا طوال تلك المدة بشكل كبير، وصداقتنا أثمن من أي مبلغ من المال بكثير، ولكنني لا أزال أكره عجزني عن الدفع، وأنا أبلغ ثلاثة وأربعين عاماً، وأعمل منذ أكثر من عقدين، ولا أتمكن من أن أكون قادرة على دفع ثمن الغداء الذي أتناوله.

تساقطت قطرتان كبيرتان من المطر على بطاقة الائتمان العائدة إلى كريس في الوقت الذي كانت تعطيها للنادل، وما إن نظرنا إلى الأعلى، حتى رأينا الشمس قد اختفت خلف طبقة كثيفة من السحب الرمادية التي تبعث في النفس التشاؤم.

تنهدت كريس بعمق وقالت: "أسبوع في ويمبلدون، من الأفضل أن نتحرك، قبل أن تفتح السماء أبوابها على مصاريحها في أية لحظة".

بدأت قطرات المطر تتساقط في الساحة، وهي لا تزال تلفظ كلماتها، وخلال ثوانٍ انهمر المطر بغزارة، فودعنا بعضنا بسرعة، ثم أسرع كريس إلى سيارة الأجرة، بينما أسرع إلى سيارتي، وقد استعملت حقيقتي المصنوعة

من القش كمظلة فوق رأسي، ولكنها لم تف بالغرض تماماً، وعندما ركبت السيارة، وجلست في المقعد الأمامي، كنت مبتلة بالكامل.

وضعت حقيبتني المبللة على المقعد بجانبي وأنا أنفض قطرات المطر التي بللت ثيابي، فارتجفت قليلاً، وأنا أتفقد نفسي في مرآة الرؤية الخلفية، فسالت الماسكارا، وشعري المبعثر بدا في حالة مزرية، ولكن ذلك لم يكن مهماً، لأنه لن يراني أحد عندما أصل إلى المنزل باستثناء باغبس الذي يتمدد بكسل أمامي طوال عطلة نهاية الأسبوع، وهو وقت الفراغ الذي سأجد صعوبة في ملئه. أما الشعور الآخر الذي لم يخبرك به أحد عن الطلاق، فهو الشعور بالوحدة المطلقة.

قبل أن أنجب أطفالاً، كنت أستمتع بوحدي، وغالباً ما كنت أمضي عطلة نهاية أسبوع كاملة بمفردي، أو أقرأ كتاباً مثيراً أو أبحث عن قصة مشوقة، ولكنني غيرت مجرى حياتي ليتناسب مع نمط حياة بيلا وتولي اللذين أفتقدهما كثيراً، وأشعر بالألم لغيابهما.

علقت في ازدحام سير خانق ظهر يوم السبت، وأنا متوجهة إلى المدينة، بعد أن تركت لي بيلا رسالة نصية تطلب فيها أن أوصل حاسوبها المحمول الذي نسيته في المنزل إلى منزل والدها هذا الصباح، لأن تايلر ستزورها للعمل على مشروع مدرسي.

بالكاد كانت ماسحتا الزجاج الأماميتان تكافحان للتخلص من قطرات المطر الغزير، وهما تعملان في أقصى سرعة لهما. حدقت إلى السحب الملبدة في السماء، بينما كنت متوقفة عند التقاطع، وأنا أعرض على شفتي بقلق، فقد بدأ سقف مطبخي بالتسريب منذ الشتاء الماضي، وعلى الرغم من أن أخي أصلحه مؤقتاً ريثما أتمكن من إصلاحه بشكل دائم في الربيع، ولكن تكاليفه وصلت إلى آلاف من الجنيهات، وأنا ببساطة لم أكن أملك هذا القدر من المال، إلا أن هطول أمطار مثل هذه الأمطار الغزيرة، سيعرضه لخطر

الانهيار بكل تأكيد.

أخيراً وعلى الرغم من حظي العاثر، فقد وجدت مخرجاً للهرب من الازدحام، فرفعت قدمي عن الفرامل لكي أتحرّك، وإذ بمحرك السيارة يتوقّف. حاولت تشغيله مراراً وتكراراً، ولكن لا جدوى من المحاولة.

أطلقت السيارة خلفي العنان لبوقها، وبدأت أشعر بالقلق، وأنا أحاول تشغيل المحرك، ولكن لم يحدث أي تغيير على الإطلاق، إنني أعرقل حركة المرور، وسأضطرّ إلى استدعاء ميكانيكي لتصليح السيارات، ويعلم الله كم سيكلفني ذلك، ثم ضغط سائق سيارة الدفع الرباعي خلفي بوق سيارته مجدداً، فاندفعت غاضبةً خارج سيارتي تحت المطر الغزير، وصرخت قائلة: "حسناً، لقد تعطلت سيارتي! ألا يمكنك الالتفاف من حولي؟!"، خرج سائق السيارة من سيارته، وقال لي:

"هل يمكنني تقديم المساعدة لك؟".  
"أندرو!"

لوح للسيارات التي ازدحمت خلفنا لتجتازنا، ثم فتح غطاء المحرك، وهو يقول: "سأرى إن كان في إمكاني تشغيل المحرك مجدداً"، ولكن قدرات أندرو السحرية لم تنجح هذه المرة، فأغلق غطاء المحرك، وهو يمسح قطرات المطر عن عينيه، وقال مشيراً إلى ساحة ضحلة إلى جانب الطريق، وقال: "أريدك أن تقودها إلى تلك المساحة، وأنا سأدفعها"، لحسن الحظ أن الهوندا خفيفة الوزن، لذا لم يتطلّب دفعها بذل الكثير من الجهد لإبعادها عن الطريق، وركنها جانباً.

قلت له وأنا أترجّل منها، ثم أقفل بابها: "شكراً لك، وسأحاول العثور على مساعدة ما لسحبها، وقبل أن أنسى، دعني أعطك حاسوب بيلا المحمول، فلا أعتقد أن في إمكانك أن توصلني إلى محطة الحافلات، أليس كذلك؟".  
"لا تكوني سخيفة، فأنت مبلة بالكامل، ولكن لنذهب إلى منزلي أولاً،

لتجففي نفسك".

ترددت قليلاً قبل أن أقرر مرافقته، ومع أنني أوصلت ولديّ إلى منزل أندرو وكاز في برايتون عدة مرات، ولكنني لم أدخل إليه مطلقاً، ولا أرغب في ذلك أيضاً، ولكنني مبتلة بالكامل، ولا يمكنني التفكير في عذر معقول لرفض عرض أندرو.

أردف أندرو قائلاً: "لا تترددي. لديّ صديق يدعى توم، يدير مرأباً ليس بعيداً عن هذا المكان، وسأتصل به كي يسحبها، ويرى ما يمكنه فعله، ولن يحاسبك، فهو يدين لي بمعروف".

قلت له: "حسناً، إذا كنت مصرّاً".

فقال أندرو: "بالطبع أنا مصرّ".

## الفصل 12

### كاز

تركت بائع الزهور وأنا أشعر بسعادة غامرة وحماسة شديدة، وفتحت مظمتي، وأنا أمشي تحت المطر متوجهة إلى سيارتي. كانت الأزهار باهظة الثمن بعض الشيء، وأنا أعلم ذلك، ولكنني لم أستطع المقاومة عندما رأيتهما، وأنا في طريقي إلى المنزل.

كانت عطلة نهاية أسبوع ممتعة حقاً، فقد اصطحبنا الأولاد الثلاثة إلى أحدث أفلام بيكسار الليلة الماضية، ثم خرجنا لتناول البيتزا، ولم تعد بيلا تلاحق موضحة الإيمو، وأثارت غضب أخويها مثل أي مراهقة عادية، استيقظت في وقت مبكر هذا الصباح أيضاً، وعرضت أن ترافقني إلى سوق المزارعين يوم السبت من دون أن يطلب منها والدها فعل ذلك، إلا أنها لم تكن تثرثر، في الواقع لم تكن تحبّ الثرثرة أبداً، وتعجّبي حقيقة أنها لا تتكلّم إلا عندما يكون لديها كلام مهم تودّ أن تقوله، وعندما أشارت إليها المرأة التي تزن الطماطم على أنها ابنتي، لم تصحّح لها بيلا كلامها، كنت أعلم أننا سنتفق في النهاية، وأن ذلك لا يتطلّب سوى مزيد من الوقت والصبر.

فتحت باب سيارتي الأودي، وأنا أنقل الباقة إلى يدي اليسرى، ثم وضعتها بعناية في جيب مقعد الراكب، وأنا أتساءل إن كان أندي قد تذكّر أن يُحضر السمك والبطاطس، لأتمكّن من إعداد العشاء ما إن أصل إلى المنزل. على الرغم من أنني أتطلّع إلى قضاء سهرة عائلية، إلا أنني أتمنّى ألا تدعو بيلا صديقتها تايلر لزيارتها، لأن تلك الفتاة معجبة بأندي، ولكن لا يبدو أن

أحدًا غيري لاحظ ذلك.

ناديت فور دخولي إلى المطبخ: "أنا عدت، أين الجميع؟".

صاح أندي قائلاً: "أنا في غرفة الجلوس".

وضعت الأزهار على الحوض، بينما كنت أبحث عن مزهرية، وقلت له:

"هل أحضرت السمك المدخن، أم جلبت سمك القد؟".

لم يردّ على سؤالتي، وعند دخولي غرفة الجلوس والمزهرية في يدي،

رأيت لويز تجلس على أريكتي، بجوار زوجي، وكأنها صاحبة المنزل.

قال أندي وقد بدا عليه الإحراج بعض الشيء: "لقد تعطلت سيارة لويز،

وهي في طريقها لإحضار حاسوب بيلا، وشاءت الصدفة أن أكون خلفها

تماماً، ولم يعمل المحرك نهائياً. سحب توم سيارتها إلى مرأبه، وكانت لويز

المسكينة مبللة بالكامل، لذلك أحضرتها إلى المنزل لتجفّف ثيابها".

قلت بتصنع: "كم هي محظوظة!".

فقلت لويز: "أنا محظوظة بالفعل".

لا أعتقد أنها صدفة، بل على الأرجح أنها انتظرت في شارع جانبي

لساعات طويلة مرور أندي، لتتمكّن من تمثيل انهيارها المزيف، كم أودّ أن

أصنع وجهها الغبي المتعجرف!

قال لها أندي: "يمكنك البقاء لتناول العشاء إن شئت"، ثم استقرّت ذراعه

بشكل عرضي على ظهر الأريكة، فابتسمت لي من داخل الدائرة الآمنة التي

أحاطها بها عنقه الفضفاض: "لقد اشتريت ما يكفي من السمك والبطاطس،

كما أن الأولاد لا يتناولون الكثير من الطعام".

ابتسمت لويز رداً على عرضه السخي.

قلت بحدة: "أندي، هل يمكننا التحدث قليلاً؟".

دخلت المطبخ، وأنا أستشيط غضباً، كيف لا ينتبه إلى ما تفعله؟ لقد

اختطفته في نهاية الأسبوع الماضي، وها هي تكرر ذلك مجدداً، وهي تقحم

نفسها في أجواء منزلنا العائلية، لتسلبنا الاستقرار الذي يميّز عائلتنا. أغلق أندي باب المطبخ خلفه، وقال: "حسناً، أنا أعلم أنها ليست فكرة سيّدة، ولكن لم يكن لديّ خيار آخر".

"أوه، لا، كان في إمكانك أن تدعها تتصل بشركة قطر السيارات، مثل أي شخص عادي؟".

قال باقتضاب: "كاز، لن أترك أم ولديّ عالقّة تحت المطر الغزير في وسط الطريق، ونحن نعيش على بعد شارعين من مكان تعطلّ سيارتها، إنها ستتناول الطعام، ثم ستغادر، ما الذي يمنع حصول ذلك؟".

حسناً، استطعت أن أوّديّ دوراً متقناً، فيمكنني أن أوّديّ دور ذراع لوزير ببراءة. لقد ارتكبت هذا الخطأ الأسبوع الماضي، فنجت من الورطة، وهي تفوح منها رائحة الورد العطرة، بينما انتهى بي الأمر إلى أن فاحت مني رائحة كريهة تماماً.

قلت له: "حسناً، يمكننا تناول السمك والبطاطس بينما يتفحص توم سيارتها، وإذا لم يتمكّن من إصلاحها اليوم، فيمكننا أن نطلب لها أوبر".  
"في الواقع، قلت لها إنها تستطيع أن تحصل على الرانج روفر".  
"أندي! سأحتاج إلى السيارة الأسبوع المقبل لنقل خزانة الملابس إلى غرفة كيت، إلى متى أعرتها السيارة؟".

قال متوتراً: "إن سيارة الهوندا تلفظ أنفاسها الأخيرة، ماذا لو تعطلت، وهي برفقة بيلا وتولي؟"، ثم تبدّلت نبرة صوته، وأصبح يدافع عن نفسه، وهو يقول: "لدينا الأودي، ونحن نترك الرانج روفر مركونة لأسابيع طويلة، حتى عندما نقيم في هذا المنزل، فإننا نادراً ما نستخدمها، كما أننا نقع على مسافة قريبة من المحطة، لذا يُستحسن ألا نستخدم تلك السيارة اللعينة على أي حال، وسيكون من الأسهل التنقل من دونها".

الأمر لا يتعلّق بالسيارات، بل بالطريقة التي يسمح بها أندي لسيليا ولوزير



بأن تتلاعبا به، وما يدفعني إلى الجنون، أن الأمر عندما يتعلّق بنساء عائلة روبرتس، فإنه يصبح متساهلاً للغاية.

قلت له، وأنا غير قادرة على إخفاء غضبي: "هل أهديتها السيارة؟ ألا تعتقد أنه كان عليك أن تخبرني بقرارك أولاً؟ إن ذلك يؤثّر علينا معاً! ومن المفترض أن يكون قراراً مشتركاً".

ردّ أندي بحدة: "لقد كانت الراج روفر سيارتي ولويز قبل أن ألتقي بك، وأعتقد أن قرار تقديمها إلى لويز أم لا عائد إليّ".

قلت له، ونحن نتبادل النظرات: "إنني أملك الأودي، ولكن ذلك لا يعني أن أتبرّع بها إلى جمعية الرفق بالحيوان من دون استشارتك".

لطالما كانت الخلافات حول لويز كالمد والجزر منذ سنوات طويلة، وهي لا تزال توقع المشاكل بيننا حتى الآن، ولكن بعد أن نعقد هدنة لفترة من الزمن، نحظى ببضعة أشهر من السلام والهدوء، ثم تُلقني علينا القنبلة من جديد لإقلاق راحتنا، من خلال طلب المال مقابل تقويم أسنان بيلا أو تغيير خطط العطلة الصيفية بعد أن نكون قد دفعنا رسوم الرحلة الجوية، وحجزنا تذاكرها، لنعود مجدداً إلى نقطة البداية.

فتحت لويز باب المطبخ، وقالت: "أنا آسفة على المقاطعة"، ولكن لم يبدُ عليها ملامح الأسف.

ردّ أندي قائلاً: "لا، لم تقاطعي حديثنا على الإطلاق، كنا على وشك وضع السمك والبطاطس في الأطباق، كاز، هل تستطيعين إعطائي الخل وصلصة الورشيسترشاير؟".

قالت لويز: "أنا أعتذر، ولكن اتّضح أنه لا يمكنني البقاء لتناول العشاء، فقد وصلتني رسالة غير سارة من غافين، المزارع الذي يمتلك أرضاً مقابل منزلي، وهو يخبرني فيها بأن شرفة مطبخي تكاد أن تنهار بسبب المطر، ولا يمكنني السماح بذلك، فهو يبحث عن أي وسيلة ليهدم المنزل".

سألها أندي: "أريد أن يهدمه؟ لماذا يريد فعل ذلك؟".

قالت له لوييز: "إنه يريد أن يبيع الحديقة الخلفية لبعض المطورين، ليتمكنوا من الوصول إلى أرضه لبناء مبنى جديد، ولم يبدُ ممتناً لرفضها، لذا ينبغي لي الذهاب لمعرفة ما يجري في المنزل، فأنت تعلم هشاشة تلك الشرفة، حتى إن بعض الدعامات تأكلت بالكامل".

قال أندي: "سوف أرافقك".

ردّت لوييز: "ليس عليك ذلك...".

قال أندي وهو يرمي كيس السمك والبطاطس الدافئ بين يدي: "لا تكوني سخيفة لوييز، لن أدعك تعالجين هذه المسألة بمفردك، خاصة وأنت ستواجهين مزارعاً حانقاً، كما يتحتم علينا أن نثبت السقف بطريقة ما إلى أن نتمكن من إصلاحه، وتستطيع كاز الاعتناء بالأولاد لساعة أو ساعتين".

لحقت بهما إلى الردهة، وقلتُ: "ماذا عن العشاء؟".

نظر إليّ أندي نظرة حادة، فبدوت وكأنني امرأة حمقاء، وهو يقول: "سأتناوله لاحقاً".

كانت بيلا وتايلر تقفان عند الباب الأمامي، وقد اعتمرتا قبعتين سوداوين متطابقتين، وتدلّت حقيبتاهما على كتفيهما.

صرخت قائلة: "هل ستغادران أيضاً؟ ماذا عن السمك والبطاطس؟".

ردّت بيلا: "أنا لست جائعة".

ركض تولي على الدرج وقال: "انتظري!" ربت لوييز على رأس ابنها قائلة: "هل توذّ العودة مع والدتك، يا عزيزي؟ يمكننا الاستلقاء على الأريكة معاً ومشاهدة كوكو، هل يُعجبك ذلك؟ أم تفضّل البقاء برفقة كاز؟ وأنا متأكدة من أنها ستجد لك ما يمكن أن تقوم به".

التصق تولي البالغ من العمر أربع سنوات بساقي والدته، وقال لها: "أريد أن أرافقك، يا أمي".

إننا لا نشارك في مسابقة لنيل محبة الولدين، ومع ذلك قلت محاولة إخفاء نبرة التوسل في صوتي: "بيلا، أظن أنك أردت أن ترافقيني إلى محل التحف الجميل صباح الغد، إنهم يصنعون بعضاً من مجوهرات ستيبانك الرائعة، وسوف تحببها".

هزّت كتبها محتارة، وأخذت تحرك إبهامها بشكل دائري، فلا أعلم ما الذي قالته لها لويز عندما كانتا في الغرفة، ولكن يبدو جلياً أنه كان كافياً لإعادتها إلى قوقعتها مرةً أخرى، ثم فتح أندي باب السيارة للويز بألفة معتادة، فشعرت بأن أحدهم قد طعنني بالسكين في قلبي، وقال لي: "سأراسلك كاز، لكي أعلمك بما يجري من أحداث، وقد أعود بعد ساعة أو ساعتين، كحدٍ أقصى".

إنني أشاهد لويز، وهي تركب سيارتي إلى جانب زوجي، ما جعلني أشعر بأنني غُدرت. كيف لها أن تفعل ذلك؟

أخيراً وضعت كيت في السرير، وعلى الرغم من مضي ثلاث ساعات، إلا أن أندي لم يرسل لي أي رسائل، فرميت السمك والبطاطس في سلة المهملات، والشعور بالقلق وبغياب الأمان يصيبني بتوعدك شديد ويؤلم معدتي. أعلم أن مشاعري تجاه لويز ليست عقلانية، ولكنني شهدت أيضاً معاناة أندي وتوتره، وهو يتنقل بيننا طوال عام قبل أن ينفصل عنها في النهاية. إننا متزوجان الآن ولدينا طفل، ولكن كيف يمكنني أن أضمن ألا يعود إليها مرةً أخرى؟

سأنتظر حتى حلول الساعة العاشرة، فقد عزمت ألا أبدو لجوجة وغيرة، ولكنني لم أعد أستطيع التحمل أكثر، فأرسلت إليه رسالة نصية، إلا أنه لم يردّ عليها، وبعد مرور عشرين دقيقة أرسلت إليه رسالة نصية أخرى، وفي تمام الساعة الحادية عشرة، استسلمت لضعفي، واتصلت به، ولكنه لم يُجب على مكالمتي.

## الفصل 13

### لوزير

مضت أربع سنوات على آخر مرة خرجت فيها برفقة أندرو والولدين، والغريب أننا لم نشعر بغرابة الوضع أو بالإحراج، بل بدونا منسجمين معاً، ونشعر بالاستقرار والراحة كأى عائلة سعيدة. عندما ألقىت نظرةً إلى الخلف، كانت بيلا وتايلر تحدّقان إلى هاتفيهما، بينما كان تولي غارقاً في مقعده، وجفناه يغلقان شيئاً فشيئاً.

بينما كان أندرو يقود عبر الطريق الضيق المؤدي إلى بيتورث، وقد اشتدّت تساقط المطر، شعرت بالسعادة لأنه من كان يتولّى القيادة، ومع ذلك قلت له: "لم تكن مضطراً إلى إيصالى إلى المنزل، بل كان سيفي بالغرض أن تؤمّن لنا سيارة أجرة".

قال أندرو: "لقد أخبرتك سابقاً بأنك ستأخذين هذه السيارة، فنحن لا نستخدمها على أية حال، بل كان يجب أن تحصلي عليها منذ البداية عوضاً عن سيارة الهوندا المهترئة. إننا نقيم في لندن معظم الوقت، وهي تظلّ مركونة من دون أن يستخدمها أحد، وبما أن الولدين يقضيان معظم الوقت معك، فأنت بحاجة إليها أكثر منا، ولا أعلم لماذا لم آخذ ذلك بعين الاعتبار من قبل".

لم يخطر ذلك في بالي، ولكن محامي الطلاق فكّر فيه، والله أعلم، إن كانت قد عبرت أمني عن مشاعرها تجاه هذا الموضوع، ولكن المشكلة تكمن في طبيعة الطلاق العدائي، فما إن يتدخّل المحامون، حتى أكثر الناس عقلانية يحفرون في أعقابهم ويقومون بعشر جولات حول ما لا يرغبون في

فعله، فأندرو لم تعجبه الرانج روفر يوماً، بل كان يعتقد دائماً أن قيادتها تشبه التعامل مع خنزير، ولطالما أخبرني عن استهلاكها الكبير للوقود، ومع ذلك فقد حاربني ليحصل عليها، لأننا في تلك المرحلة، كنا نتشاجر للاستحواذ على أتفه الأغراض.

لا يمكنني لوم أندرو وحده على انحطاطنا خلال مرحلة الطلاق التي بدت كالجحيم، فبعد أن انقلبت حياتي رأساً على عقب، واعتصر الألم قلبي، حاربتَه بدناءة أيضاً، وجعلت حياته أكثر صعوبة من خلال استغلال مشاعره تجاه الولدين. وأنا لست فخورةً بذلك، ولكن استغلال تولي وبيلا كان سلاح الفتاك، كما كان الحصول على الممتلكات بالنسبة إليه، وهكذا انعكس الطلاق بشكل سيئ على كلينا.

دخل أندرو إلى شارعنا المكتظ بالسيارات، وهو يتجاوز البرك العميقة التي تغرق فيها الهوندا المسكينة بسهولة، فتطايرت المياه إلى مسافة بعيدة عنا، وقبل أن نصل إلى المنزل أمكنني رؤية الأضرار التي لحقت بالشرفة، فقد انحنت إحدى الدعامات، وبرزت بشكل مثير للقلق، وقد ضغط عليها السقف الذي يتدلى من فوقها، فبدا كما لو أنه يحمل مخلوقاً فضائياً ضخماً. إنني أدعو أن تكون الشرفة وحدها المهتدة بالانهيار وحسب، لا المطبخ بالكامل.

ترجل أندرو من السيارة، ومشى تحت المطر الغزير، وسحب ابنتا النائمتين من مقعده، ثم سلّمه إلى أخته قائلاً: "بيلا، اصطحبي أخاك الصغير إلى الداخل"، وهي بدورها حمته من المطر بقدر ما تستطيع، واتجهت بسرعة إلى المنزل بصحبة تايلر، ثم قال: "لويز، هل لديك أية ألواح صلبة نستطيع وضعها مؤقتاً تحت الشرفة كي لا تنهار؟"، فصحت قائلةً، وأنا بالكاد أسمع صوتي وسط قرقعة المطر المتساقط: "ليس لدي ألواح قوية كفاية".

ردّ قائلاً: "قد تنفع ألواح حواجز قفز الخيول".

أسرعنا إلى الجهة الخلفية من المنزل، الواقع بالقرب من حديقة الخضروات، والتي كانت في السابق اسطبلًا قبل شرائنا المنزل، في تلك الأثناء كانت قد تبلّلت حتى ملابسني الداخلية، وعلى الرغم من أن الجو لم يكن بارداً، ولكنني بدأت أرتجف بشدة، حتى إن أسناني اصطكت من هول المشهد، فقد تهاوت الشرفة بشكل كبير، ولكن بعض الحواجز والدعامات مازالت تقاوم الانهيار التام، فرفعنا أحد الألواح من بين الحشائش، وأزلنا عنه التراب والديدان، لكن المطر جعله زلقاً، ولكننا تمكنا من حمله بصعوبة، ووضعه تحت الشرفة.

شعرت بالغرابة والألفة في الوقت نفسه، ونحن نعمل معاً، وكأن السنوات الخمس الماضية لم تمضِ أبداً، فكان من الطبيعي أن تقاتل كاز بشراسة لكي تمنع حدوث هذه اللقاءات، ولا بد أن حدساً ما قد حذرها من أن جاذبية الألفة ومشاعر الحب التي جمعت بيننا على مدار أكثر من عقد أقوى من أن تدمرها عاطفتها المزيفة، خاصة وأنها اقتحمت حياتنا لقتل ذلك الحب من خلال الخداع الذي كان السبب في تفريقنا عن بعضنا.

بدونا مرهقين ومثيرين للشفقة عندما دخلنا المنزل، ثم قلت له، وأنا أعصر شعري المبلل: "أعتقد أنك تركت بعض الملابس القديمة في الطابق العلوي، سأحضر لك ما ترتديه، بينما تصعد إلى العلية وتتفحص السطح". لست بحاجة إلى البحث طويلاً للعثور على تلك الملابس، فأنا أعرف بالضبط مكانها؛ فعندما غادر أندرو منذ أربع سنوات بشكل مفاجئ في تلك الليلة الفظيعة، بعد أسبوع من ولادة تولي، لم يأخذ معه سوى الملابس التي تلائم حياته الجديدة إلى جانب الشقراء الساحرة، وقد حمل على ذراعه بنطال جينز أسود باهظ الثمن، وسترة من الكشمير، كما وضع في حقيبتيه بعض الملابس الرياضية حديثة التصاميم، وهي الملابس التي لاحظت أنها بدأت تتسلل تدريجياً إلى الخزانة خلال الاثني عشر شهراً الأخيرة، بعد أن تخلى

عن سترات آران التي كانت جزءاً من حياته التي قضاها إلى جانبي.

عندما بحثت في الجزء الخلفي من خزانتي، عثرت على بنطال جينز وبلوزة مطبّعة، كانا موضوعين على الرف العلوي، فتوقفت مؤقتاً، وهزرت الفانيلة الناعمة للحظة، فقد كان جزءاً مني يشعر دوماً بأنه سيعود من أجلها يوماً ما، وفور عودتي إلى الأسفل، كان أندرو قد خرج من العلية، وهو يزيل الغبار والجص عن يديه، وقال مشيراً إلى التسريب القديم في السطح الذي أشار إليه مساحنا قبل ستة عشر عاماً: "إنه المكان نفسه، وسيحتاج الأمر إلى أكثر من ترقيع هذه المرة، فالأرضية مهترئة تماماً، واللوح أصبح رقيقاً للغاية، وهو يتفتت بمجرد لمسه، لذا يجب استبدال هذا القسم بأكمله"، ثم مرّ يده عبر شعره المبلل وهو يوميئ إيماءة مألوفة جداً، جعلت قلبي ينبض بسرعة، ثم قال: "لقد قمت بنقل العازل المبلل، والذي يضيف وزناً إلى السقف قد لا يتحمّله"، ثم شبك أصابعه، وأردف قائلاً: "ستظلّ ثابتة حتى نتمكن من إصلاحها".

سلمته ملبسه الجافة، وقلت له: "هل ترغب في الاستحمام؟ إن شفتيك تبدوان زرقاوين".

قال من دون تردّد: "لن أمانع أبداً، وماذا عنك؟".

قلت له بتهور: "هل تدعوني إلى الاستحمام؟".

فور خروج الكلمات من فمي، أقشعرَ بدني حتى جذور شعري، وشعرت بالإحراج الشديد، فقد فقدت الحق في قول مثل هذه الكلمات لطريقي منذ أن تزوّج من امرأة أخرى.

لكنني شعرت بالارتياح عندما ضحك، فهو لا يزال يحتفظ بنفحة من الفكاهة، ومن خلال تبادلنا الفكاهة، انكسر الجليد الذي كان يفرّق بيننا، والذي وضع حداً لعلاقتنا على مدار السنوات الأربع الماضية.

قلت مبتسمة: "لا تقلق، فعفتك في أمان، وسأستحمّ بعد أن تنتهي،

ويمكنك أن تضع ملابسك المبللة خارج باب الحمام، وسأضعها في المجفف، ولكن لا تستهلك الماء الساخن كله".

بعد دقائق ألقى أندرو بنطاله الجينز وقميصه على الأرض، فحملتهما واتجهت إلى الطابق السفلي، وعندما فتحت باب غرفة الجلوس، رأيت الأولاد الثلاثة جالسين على الأريكة أمام التلفاز، ولا أحد منهم يشيح بنظره، فتركتهم يتابعون ما يشاهدونه، ووقفت في الردهة للحظة أستمع إلى صوت رذاذ الدش في الطابق العلوي. إنني أعلم أن ما يحصل ليس حقيقياً، وأن رحلة العودة إلى الماضي هي التي تبعث الحنين في كلينا، وهذا كل ما في الأمر، ولكن في الوقت الحالي طريقي في الطابق العلوي، بينما يجلس ولداي في الغرفة المجاورة، وللمرة الأولى بعد مرور وقت طويل، شعرت باستقرار حياتي.

فتحت باب المجفف في المطبخ، وتفحصت تلقائياً جيوب بنطاله قبل إلقائه فيه، وعندما وجدت هاتف أندرو في أحد الجيوب، لم تكن قد وردت أي مكالمات فائتة حتى الآن، ولكننا خرجنا منذ ساعتين تقريباً، ولن يمر وقت طويل قبل أن تتصل كاز بأندرو.

وضعت الهاتف على الوضع الصامت، وأخفيته تحت كومة مناديل الشاي، لأبقيه لأطول فترة ممكنة وسط عائلته، ولو لبضع ساعات فقط، فمن المفيد أن يقضي تولي وبيلا بعض الوقت مع والدهما من دون تدخل كاز. أخرجت فطيرة من الثلاجة، وصادف أنها التي يفضلها أندرو، ووضعتها في الميكروويف لإذابة الجليد عنها، وبعد بضع دقائق، سمعت قهقهات عالية في الجوار، فقد كان صوت تولي يصرخ، بينما يدغدغه أندرو، وهو يضحك ضحكته الخفيفة المعتادة، وقد ارتسمت الفرحة على وجه بيلا، والتي لم أرها تضحك منذ أكثر من عامين.

بعد ذلك بقليل بدأ أندرو يتجول حافي القدمين في المطبخ، وقد ترك



خلفه الأولاد متوهجين من الحماسة والبهجة، وقد احمرت خدودهم مثل بايد باير، ثم قال لي، وهو يشير برأسه نحو المراهقة تايلر: "مهلاً، لو، تقول تايلر إنها تفكر في أن تصبح صحفية، وأعتقد أنك ستكونين قادرة على تقديم بعض التوجيهات المفيدة إليها".

قلت له وأنا ألقي نظرة خاطفة على طاولة المطبخ، التي بدأت بتجهيزها لخمسة أشخاص: "يمكنني ذلك بالتأكيد، هل أنت مهتمة بالصحف أو بالمجلات، يا تايلر؟".

لفت الفتاة خاتماً فضياً كبيراً حول إصبعها، وقالت: "لا، يا سيدة بيج، فأنا مهتمة أكثر بالتلفاز".

تنهدت بعمق، وقلت لها: "لا ألومك، فالصحف مهددة بالانقراض، وإذا كان هناك أي مستقبل للصحافة، فسيكون عبر الإنترنت، ولكن أندرو هو الشخص الذي قد توذّن التعلّم منه إذا كنت تفكرين في دخول مجال التلفاز". اقترحت بيلا قائلة: "أبي، لم لا تأخذها في جولة في آي.إن.إن؟ ويمكنها الإقامة في منزلنا في لندن، فتصطحبها إلى المكتب، لتتعرّف إلى الجميع". صاحت تايلر: "أوه، يا إلهي، سيكون ذلك رائعاً!".

وجد أندرو زجاجة بينوت غريغو في الثلاجة، وبينما كان يبحث عن المفتاح في درج المطبخ، قال: "ستبدأ العطلة الصيفية قريباً، أليس كذلك؟ أقترح عليك أن تأتي لقضاء اليوم كله في الأستوديو، ما رأيك في ذلك، تايلر؟ كما يمكنك أن تتعرّفي إلى طريقة صنع البرامج من الألف إلى الياء بشكل مباشر؟ وقد يتمكن أحد المراسلين الإخباريين من أن يرافقك إلى مكان تصوير تقرير ما، إذا كان يوماً إخبارياً هادئاً".

ردّت تايلر بحماسة: "سيكون ذلك رائعاً جداً!".

حضرت العشاء على مائدة المطبخ لخمسة أشخاص، وقد كان الصغار منجذبين إلى أندرو مثل انجذاب برادة الحديد إلى المغناطيس، فتحدّث تولى

بلا توقف، بينما نظّفت بيلا طبقها للمرة الأولى منذ شهور. بدأ أندرو أصغر سناً وأكثر استرخاءً من أي وقت مضى منذ سنوات، وهو يرتدي بلوزة قديمة مفضلة لديه وبنطال جينز بالياً، كما قال وهو يدفع كرسيه إلى الخلف ويجذب تولي إلى حضنه: "يا إلهي، كان الطعام لذيذاً، فلا أحد يصنع فطيرة مثلك". قلت له متبسمة: "شكراً لك".

قال لي: "أعتقد أنه يتحتم عليّ أن أتصل بكاز، فقد تحطت الساعة العاشرة، وسوف تقلق إن لم أهااتفها في الحال". أيدت كلامه، وقلبي تعتصره الغيرة: "أظنّ ذلك".

أضاف قائلاً: "ولكنها قد تكون غارقة في النوم، فهي لم تتصل بي، ويبدو واضحاً أنها ليست قلقة، على الرغم من أنني لا أدري أين وضعت هاتفني". قلت له: "لديّ قطعة تارت الراوند في الثلاجة"، تأوّه قائلاً: "آه، إنك تدمرينني بعرضك، كيف يمكنني أن أرفض تارت الراوند؟".

نهضت من مكاني، وتوجّهت إلى المطبخ في اللحظة التي انبعثت فيها قعقة مدوية، للحظة اعتقدت أنها العاصفة في الخارج، ثم صرخ أندرو فجأة: "إنه السقف!".

قفز من مكانه، وحمل تولي بين ذراعيه، ودفع الفتاتين نحو الباب، فخرجت من المطبخ للانضمام إليهم، ثم راقبنا من المدخل مذهولين انهيار السقف وتناثر قطع الأنابيب ذات اللون البني والخشب المتشقق، وقد امتلأ الهواء بغبار الجص الخانق، دفعنا أندرو متأخراً إلى القاعة، وأغلق باب المطبخ، ونحن نستمع برهبة إلى ما يبدو، وكأنه نهاية العالم.

أخيراً، عمّ الصمت المكان، فحدّر أندرو الأولاد بعد أن أنزل تولي على الأرض قائلاً: "لا تغادروا أماكنكم".

جلنا بنظرنا في أرجاء المطبخ بحذر شديد، نتأمل السقف الذي انهار بالكامل، ودمر معظم المطبخ، فتناثرت الأواني والأخشاب والزجاج المكسور

على الأرض، كما أذى تحطم جزء كبير من الجدار إلى تدفق مياه الأمطار من خلال الفجوة التي أحدثها الانهيار، فبدا وكأن قذيفة سقطت على المنزل. وضع أندرو ذراعه حول خصري، بينما كنا نتفحص الحطام، ونحن في حالة صدمة، وقال: "سيكون كل شيء على ما يرام"، لم يسعني إلا البكاء، لا لأنني أهتم بالخسائر المالية أو بتهديدات المزارع، بل لأنه كان منزلنا منذ أكثر من ستة عشر عاماً، وقد بدأ تدفق الماء على الحائط يمحو علامات أقلام الرصاص التي سجلناها طوال مرحلة نمو ولدينا، كما أن تولي خطا أولى خطواته على هذا البلاط الذي طمره الركاب.

شدني أندرو إليه، ورفع وجهي، وقد تفرقت الدموع في عيني، وللحظة أغمضنا أعيننا، فأحنى رأسه نحوي وقبطني، ما أعاد إحياء كل المشاعر المدفونة في داخلي، والشعور بشغف لا يُقاوم، وبأننا لا نزال نعشق بعضنا، كما كنا دائماً.

ضغطت بيدي على يده، يا إلهي! فقلت له: لا تتركني وحدي".

## الفصل 14

### كاز

غاب طوال الليل من دون حتى أن يجري مكالمة هاتفية أو يرسل رسالة نصية. أتمنى أن يكون قد تعرّض لحادث وهو في طريقه إلى المنزل، عوضاً عن التفكير فيما يمكن أن يكون قد حصل بينهما.

المفارقة الواضحة التي لم تغب عن بالي: لا بدّ أن لويز شعرت بهذا الألم عندما اكتشفت علاقته بي، وها أنا أتقلّب في سريري الفارغ، والغيرة تنهشني. كان الأمر سيئاً بما يكفي عندما عاد أندي إليها منذ أن حملت بتولي، ولكن في تلك الأيام كنت أعلم أنه ليس ملكي وحدي، على الرغم من الوعود التي قطعها، فهو لم يكن ملكي حقاً، وكان يتناوبني شعور بالندم، وهو الشعور الذي أستحقّه بطريقة ما، بالإضافة إلى الشعور بالشك والعذاب، وأنا أتساءل إذا كان سيعود إليّ.

لكن الوضع الآن أصبح معقداً أكثر بكثير، فأنا زوجته، ولدينا ابن، ولا يمكنه أن يتخلّى عني، كما تخلّى عنها سابقاً، على ما أظنّ. اتصلت بأنجي في منتصف الليل، وأنا غير قادرة على النوم. إنها ليلة السبت، وهي تمضي وقتها خارج المنزل في ملهى ما، وبالكاد سمعتني، فصوت الموسيقى في الخلفية كان مرتفعاً، قالت لي: "أذهبني إلى منزلها، فأنت لست زوجة حافية القدمين وحامل ومنهمكة في أعمال المطبخ، اذهبي إليها وتصرّفي بدكاء".

قلت لها: "لا أستطيع أن أترك كيت وحده في المنزل".

ردت عليّ قائلة: "ضعيه في المقعد الخلفي، وسيظلّ نائماً طوال الطريق". قلت لها محتدة: "لن أجزّ أندي إلى المنزل مثل أي زوجة ضعيفة، ولن أقدم إليها ما تريده على طبق من فضة".

قالت لي: "حسناً، ولكن يمكنك أن تغيري مجرى الأحداث على الأقل، ثم عودي إلى المنزل".

قول ذلك أسهل من فعله، فلم تكن أنجي تحبّ أندي، رغم أنها لم تقل كلمة واحدة ضده منذ أن تزوّجنا، ولكنها كرهته طوال الأشهر التي كان فيها محتاراً بيننا، فهي تحتقر الرجل الذي يعجز عن إسعاد امرأة واحدة، فما بالك أن يجعل امرأتين تعيستين. وتلك الأشهر التي قضيتها، وأنا أنتظر أن يقرّر من سيختار بيننا، كانت أسوأ فترة في حياتي، شعرت حينها وكأن جلدي ينسلخ عن جسمي على شكل شرائط مؤلمة، وأخيراً عندما قرّر الانفصال عن لويز، كان يعتريه الألم والغضب، وأقسم إنه سينساها إلى الأبد.

على الرغم مما تعتقده، إلا أنني لم أكن الشخص الذي حرّمها من الحصول على تسوية طلاق لائقة بل كان أندي، فقد أرادها أن تعاني، وأصرّ على أن نتزوّج ما إن تطلقاً أيضاً، بينما كنت أرغب في الانتظار، لكي يصفّي ذهنه قبل الانتقال من زواج إلى آخر، ولكنه صمّم على قراره، وكنت أعرف أنه حتى ذلك الحين لم يكن الدافع إلى هذا الزواج حبّه لي، بل كان له علاقة أكبر بمعاقة لويز، فقد كرهها كثيراً، ولم يكن يفكر في أي شيء آخر.

لكن الكراهية مرهقة، وتستهلك كثيراً من الطاقة لتغذيتها، كما كان علينا معالجة موضوع الولدين، وكنا جميعاً بحاجة إلى العثور على طريقة حضارية للتعامل مع بعضنا من أجلهما، ومع أنه يصعب تصديق ذلك الآن، ولكنني في الواقع شعرت بالارتياح، عندما كفت أندي عن الإشارة إلى لويز على أنها تلك الوضيعة، وبدأت بالتحدث إليها، عندما كانت تأتي لتأخذ الولدين في أمسيات الأحد.

للملحظة اعتقدت أننا قد نتحول إلى عائلة متحضرة ومنسجمة مع بعضها، وقادرة على الماضي قدماً في الحياة.

كان يجب أن أعلم أن أندي لا يستطيع الاكتفاء بإقامة علاقة صداقة مع لويز، فهو يريد كل شيء أو لا شيء، فالحب والكراهية وجهان لعملة واحدة، كما أنها كانت دائماً قادرة على الدخول إلى قلبه بلا استئذان، ولا يبدو أن كل ما أفعله قد يغير تلك الحقيقة، وها نحن قد وصلنا إلى حقيقة أن لويز ما إن تشدّ خيوطها، حتى يندفع أندي إلى منزلها في كل مرة تحتاج فيها إلى تغيير المصباح، ولمدة أربع سنوات كانت تنتظر فرصتها المناسبة، وها هي قد حانت الآن.

حدّقت إلى السقف، ومعدتي تتشنج من شدة القلق، فلا أستطيع تخيل حياتي من دون أن يشاركني أندي فيها، وإذا عاد إلى لويز، فلا أعرف كيف سأجمع شتات نفسي مرة أخرى.

نمت نوماً متقطعاً، ولكنني استيقظت مرتجفة في وضوح النهار، فجلست فجأة، وقلبي ينبض بقوة، ثم سمعت صوت حركة في الطابق السفلي، وللحظة تساءلت إن اقتحم شخص ما البيت، ثم تناهى إلى سمعي صوت أندي، وعلى الفور تلاشى الشعور الأولي بالارتياح لعودته، لأنني شعرت بالرغبة في النهوض من السرير، والانفجار غاضبة في الطابق السفلي، والمطالبة بمعرفة المكان الذي أمضى فيه ليلته، ولكن يتحتم عليّ أن أجبر نفسي على الاستلقاء، والتنفس بعمق حتى أتمكن من السيطرة على مشاعر الغضب، فلا أستطيع أن أنجرف في التفكير. لقد عاد إلى المنزل، وهذا يعني أن الأمر لم ينته بيننا بعد، كما يمكنني سماع صوت بيلا وتولي أيضاً، وبالتأكيد لم يكن ليحضرهما إلى المنزل إذا كان يخطط للعودة إلى لويز.

هدأت قليلاً، وبدأت نبضات قلبي تتباطأ، فربما كنت أبالغ في رد فعلي بعد أن انتشر ضوء النهار في الغرفة، وقد بدت غيرتي المسعورة تخلو من

العقلانية. لم يكف المطر عن الهطول طوال الليل، وكانت العاصفة قوية، ما أدى إلى اقتلاع أغصان الأشجار، ولويز تقيم في مكان ناءٍ، وشبكة استقبال الهاتف المحمول في ذلك المكان متقطعة في أحسن الأحوال، وربما لم يرد المخاطرة بالقيادة في منتصف الليل بعد أن ملأت أغصان الأشجار المتكسرة الطرق، وبالتأكيد لم يستطع الاتصال ليخبرني باضطرابه إلى البقاء في منزلها في هذا الجو العاصف، كما قد يكون الممر قد غمرته المياه، أو... همس أندي، وهو يطلّ برأسه من خلف الباب قائلاً: "هل أنت مستيقظة؟".

حرصت على أن تكون تعابير وجهي بشوشة، فحرّكت ساقي، ونهضت من السرير، ولكن هدفي الأساسي، وهو معرفة سبب قضاء زوجي الليل خارج المنزل، تلاشى على الفور، ما إن شاهدت فانيلته البشعة والجينز الذي يرتديه، فسألته: "ماذا ترتدي بحق الجحيم؟".

نظر إلى ثيابه وقال: "لقد تبلّلت ملابسني، فوضعتها لويز في المجفف، ولكن التيار الكهربائي انقطع بعد ذلك، لذلك اضطررت إلى ارتداء بعض الملابس القديمة التي تركتها في منزل لويز".

لم أستطع تحمل رؤيته يرتدي تلك الثياب، فهي تعيد الكثير من الذكريات غير السعيدة. قلت له، وأنا أفتح خزانة الملابس: "دعني أحضر لك ثياباً أنيقة لترتديها، فلا يمكنك أن تتجول في أرجاء المنزل، وأنت تبدو بهذا المظهر، فقال وقد نفذ صبره: "أنا بخير، وآسف لأنني لم أتصل الليلة الماضية لأعلمك بأنني سأبقى في منزل لويز. كانت الليلة الماضية كالجحيم، لقد انهار سقف المطبخ اللعين بالكامل، ودُفن هاتفي في مكان ما تحت الأنقاض، والحمد لله، لم يصب أي منا بأذى". تمنيت لو ينهار المنزل فوق رأس لويز، مثل ساحرة الشرق الشريرة، ولا يبقى سوى نعلها المصنوعتين من الياقوت، فقلت له من دون أن ألتفت إليه: "قلقت عليك"، فقال: "أعلم، أنا آسف، كما قلت لك، فقد انقطع التيار الكهربائي، لذا لم أتمكن من الاتصال بك عبر الخط

الأرضي، ولكنك كنت تعلمين بمكان وجودي، لذلك كنت واثقاً من أنك لن تقلقي عليّ".

أفقدني القلق صوابي لأنني، وعلى وجه التحديد، كنت أعرف مكان وجوده، فقلت له: "هل نمت نوماً هنيئاً؟"، فردّ قائلاً: "لقد استلقيت إلى جانب تولي لبضع ساعات، ولكنني لم أغفُ بالمعنى الدقيق للكلمة، لذا أنا مرهق للغاية".

التفت إليه أتفحص وجهه، وأنا في حالة تيقُّظ لأي تلميح إلى أنه يكذب، فأندي ممثلاً بارع، ويمكنه التحكم في الارتباك والقلق والسخرية عند الحاجة، ووفقاً للقصة التي ينقلها، يبدو غير صادق، فبعد أن أقمنا مدة أربع سنوات معاً، لا أزال غير متأكدة أبداً مما إذا كان يحبّ الوجبة التي أعدّها له أم أنه يتصرّف بلطف وحسب.

لقد بدا لي أنه يخفي أمراً غير عادي، فهو لم ينظر إلى عيني مباشرة، وحاول جهده ألا يثبت نظره فيهما، كما يبدو تعبيره مألوفاً بشكل مثير للريبة، بالطبع يبدو كذلك، فهو التعبير المعتاد عندما يعود إلى لويز بعد أن يمضي الليلة إلى جانبي.

ليس لديّ أي فرصة لمعالجة الدوافع التي جعلت زوجي يضع زواجنا على المحك، وقبل أن أتمكن من الرد، ظهرت المرأة المسؤولة عن كل ما أصابني من توتر وقلق في مدخل غرفة نومي، وكأنها شبح يظهر من الجحيم. قالت لويز: "أسفة على إزعاجك، ولكن هل يمكنك أن تخبريني أين تحتفظين بالملاءات الاحتياطية؟".



كريستينا ماردوخ

## الجزء الأول من المقابلة المسجلة

التاريخ: 2020 / 08 / 01

المدة: 27 دقيقة

المكان: مركز شرطة كينغز بريدج

أجرى المقابلة: شرطة ديفون وكورنوال

(تابع)

الشرطي ك.م "حسناً، منذ متى تعرفين السيدة بيچ، سيدة ماردوخ؟".  
"يا إلهي! لا أعلم، ربما منذ ثلاثين عاماً".

الشرطي ك.م : "أنت تقولين إنك اقترحت عليها الوظيفة، ولم تطلبها منك؟".  
"نعم، بصراحة لم أكن أعتقد أنها ستكون مهتمة بمجرد أن تعرف تفاصيلها".

الشرطي ك.م "لكنها اهتمت بها".  
"كانت بحاجة ماسة إلى المال".

الشرطي ك.م : "متى جرت تلك المحادثة؟".  
"لا أذكر بالضبط، (تصمت قليلاً) ربما قبل أربعة أو خمسة أسابيع، فقد تناولنا طعام الغداء معاً حينها، كما أن لويز أشارت إلى أنها لا

تتقاضى راتبها خلال أشهر الصيف، وأنها تحاول الحصول على عمل مستقل، وأنها بحاجة إلى المساعدة، فقلت لها إنني أقدر على تقديم المساعدة إليها، فاتصلت بي بعد أسبوع أو أكثر".

الشرطي : "حسناً، هل حثتكَ على تقديم ذلك العمل؟".

ك.م "لا، لقد ذكرت ذلك للتو، اسمع، ما الغاية من طرح كل تلك الأسئلة؟ فلا علاقة لها بما حدث لأندرو، فلم تكن لويز من تلاحق كاز، بل على العكس تماماً".

الشرطي : "لكنها انتقلت إلى منزل السيدة بيج الحالي، أليس كذلك؟ ألم يكن ذلك غريباً؟".

ك.م "كانت فكرة أندرو، وليست فكرتها، فقد انهار سقف مطبخها في أثناء هبوب العاصفة، ولم يكن لديها مكان آخر تلجأ إليه، فمنازل والديها ليس كبيراً بما يكفي، ولا يمكنها تحمّل تكاليف الإقامة في فندق".

الشرطي : "كان في استطاعة السيد بيج أن يتحمّل التكاليف، على الأرجح؟".

ك.م "لا أدري، افترض ذلك".

الشرطي : "لكنه بدلاً من ذلك، عرض على طليقته وولديه أن يستضيفهم في منزله؟".

ك.م "هذا ما قالت له لويز".

الشرطي : "لماذا تعتقدين أنه فعل ذلك؟".

ك.م "ليس لدي أدنى فكرة".

الشرطي : "لا يمكن أن يكون ذلك قد أسعد كارولين بيج بالتأكيد؟".

ك.م "لا أعتقد أنها شعرت بسعادة غامرة، ولكنها تقيم وأندرو معظم الوقت في لندن، وقد استعارت لويز المكان لبضعة أسابيع، وما كانوا سيقومون جميعاً معاً مثل المورمون".

الشرطي : "حسناً، كانت الخطة أن يعود السيد والسيدة بيح إلى لندن مع ابنهما، بينما تقيم لويز بيح مع ولديها في المنزل في برايتون حتى يتم إصلاح منزلها؟".

ك.م "نعم".

الشرطة "ولكن بعد أسبوع أو ما يقارب ذلك، غادرت فجأة منزلهما، هل تعلمين سبب ذلك؟".

ك.م "لقد وقع شجار بين كاز ولويز".

الشرطة "هل هو الشجار نفسه الذي استدعت الشرطة على إثره؟".

ك.م "لا، لقد حدث ذلك لاحقاً".

الشرطة "هل تعلمين سبب الخلاف؟".

ك.م "ليس حقاً، (تصمت للحظات وجيزة) اسمع، لا أشعر بالراحة وأنا أتحدث نيابة عن لويز، لذا عليك بأن تسألها عن كل ذلك".

الشرطي : "هل سيكون من العدل أن نقول، سيدة ماردوخ...؟".

ك.م "آنسة".

الشرطي : "آسف، آنسة ماردوخ، هل من العدل القول إن لويز وكارولين بيح لم تكونا على علاقة جيدة، خاصة في الشهرين الماضيين؟".

ك.م "نعم".

الشرطي : "ومع ذلك ما زلت تعتقدين أن توظيف لويز بيح كانت فكرة سديدة؟ ألا يمكن أن تكوني قد زدت الطين بلة؟".

ك.م "لا علاقة لذلك بمقتل أندرو".

الشرطي : "هل أنت متأكدة من ذلك، يا آنسة ماردوخ؟".



**أربعة أسابيع قبل الحفل**



## الفصل 15

مكتبة

t.me/soramnqraa

لوزير

إنه أمر غريب ومقلق أن أقيم في منزل أندرو وكاز، إلا أن الكثير من الأشياء المعروضة فيه أستطيع التعرف إليها، وهي أشياء مألوفة تعايشت معها لأكثر من عقد من الزمن قبل أن يأخذها مني أندرو بعد الطلاق، ومن بينها السجادة التي اشتريتها معاً، ولوحة بيلا التي رسمها أحد أصدقائي، وهي في السادسة من عمرها، وأهداها إلى أندرو في أحد أعياد ميلاده، والتمثالان البرونزيان المتطابقان اللذان كانا لوالدته.

لكن في المقابل أجد في هذا المنزل اختلافات كبيرة أيضاً، وعادات غريبة وأشياء غير مألوفة، فبدل أندرو جانب السرير الذي يستلقي عليه، ووضع كتبه ونظارة القراءة وساعة المنبه القديمة على منضدة الجهة اليمنى بدلاً من اليسرى، كما يبدو واضحاً أن كاز امرأة غريبة الأطوار، فهي لا تستخدم أية ملاحظات أو قطع مغناطيسية مثبتة على باب الثلاجة، كما كنت أفعل وأندرو عندما كنا معاً، وكل رف في مطبخها الحديث والمتوهج مرتب ونظيف بشكل مبالغ فيه. ولا بد من أن ذلك يدفع أندرو إلى الجنون، فهو كان يفقد صوابه إذا غيرت مكان آلة القهوة التي كان يستخدمها يومياً، أو رتبت أكوام الصحف الخاصة به في أحد الأدراج، فقد اعتاد أن تكون أغراضه في مكان يسهل الوصول إليه، أو بالأحرى كان يجتهد أن يكون محاطاً بمخلفات الحياة الأسرية المألوفة.

لقد استعدت مجموعة من كتبي المفضلة التي أخذها مني أندرو، وهي

مصفوفة على الرفوف في غرفة الجلوس، ثم دخلت إلى غرفة نوم كيت التي سأقيم فيها، لأنني لا أستطيع الإقامة في غرفة نوم أندرو وكاز، على الرغم من أن قدمي تتدليان من طرف سريره، وخبأت الكتب في قاع حقيبتني، ثم وضعت سترة عليها وأغلقتها بإحكام، فأندرو لا يقرأ الكتب أبداً، ولن يشعر باختفائها. منذ أن تزوج أندرو بكاز، وأنا أحاول تجنب تخيل نمط حياتهما، فلم أرغب في أن أتعرّف إلى مظهر علاقتهما وجوهرها معاً، ولكن الآن لا مفر من القيام بذلك؛ فأنا أتجوّل في أرجاء المنزل بعد أن يذهب تولي وبيلا إلى المدرسة، وأعدّب نفسي من خلال تأمل خلفية زواجهما على أرض الواقع، انتشرت في منزلهما صور تجمعها معاً أو مع كيت في كل مكان زاروه، وأتساءل عما إذا كانوا سعداء معاً، أو إذا كانت تلك الصور تظهر سعادة مزيفة، وهي للعرض فقط.

قالت مين، وهي تنظر إلى صورة تجمعهم معاً، وهم في منتجع للتزلج موضوعة على وحدة التحكم في الصالة: "يبدو بائساً بالنسبة إليّ، فانظري إلى عينيه، كما يمكنك أن تشعرى بأنه يكره كل دقيقة يمضيها برفقتها".

قلت لها بمرارة: "إنه يكره البرد، وقد كان يمتنع عن الذهاب إلى مراكز التزلج عندما كنا متزوجين، ولكنه ذهب من أجلها".

صعدت مين الدرج، ودخلت إلى غرفة نوم كاز وأندرو، وبدأت تفتح خزانة ملابس كاز الضخمة متطفلة عليها من دون أي حرج، وقالت: "يا إلهي! لم أر قط هذا الكم الهائل من الأحذية، لا عجب في أن أندرو يشتكي دوماً من سوء أوضاعه المادية".

قلت لها: "انتظري حتى تري ستراتنا"، ثم فتحت صفاً من الأدراج، وقلت لها: "انتظري إليها، كلها مرتبة بحسب الألوان، وحتى الكشمير ليس من نوع أم أند أس الرخيص، بل إنها أصلية وباهظة الثمن كلها".

قالت مين فجأة: "ماذا تفعلين في هذا المنزل، لويز؟ لقد حُسم الأمر،



وأخبرتني بأنني سأمنحك المال الكافي للإقامة في أحد الفنادق".

قلت لها: "لن أقبل بأن آخذ منك أموالك".

قالت لي: "حسناً، اسحبي ما تحتاجين إليه من بطاقتك الائتمانية، أو اسرقي مصرفاً إذا كان عليك القيام بذلك، ولكن لا يمكنك البقاء في هذا المنزل أكثر، فهذا القرار ليس حكيماً".

كنت أعلم أن مين ستفهم إقامتي في منزل أندرو بطريقة خاطئة، فقلت لها مشيرةً إلى المنزل: "تحدثين كما لو أن أندرو وكاز يقيمان في المنزل بالفعل، ولكنهما في الواقع لا يقيمان فيه، وهو يبقى فارغاً معظم الوقت".

قالت لي: "ماذا ستفعلين في عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة إلى الولدين؟ هل سوف تلعبين لعبة الخنزير في الداخل؟".

أجبتها قائلة: "سيذهب تولي وبيلا إلى لندن في القطار وحدهما، لذلك لن يضطر أندرو وكاز للقدوم إلى برايتون إلى أن ينتهي ترميم المطبخ، وسنبقى نحن الثلاثة في المنزل طوال الفترة التي سنحتاج فيها إلى الإقامة فيه".

أستطيع أن أشعر بالحكم القاسي ينطلق من مين على شكل موجات هائجة، فأنا أعرف كيف يبدو الأمر في الظاهر، ولكنه في الواقع ليس كما يبدو لها، وقرار إقامتي في منزل أندرو مجرد حل عملي لمشكلة لوجستية، وهذا كل ما في الأمر.

سألتني مين ونحن في طريقنا إلى الطابق السفلي: "كم سيستغرق إصلاح السقف؟ فأنت تقيمين في هذا المنزل منذ أسبوع، وعندما ذهبت إلى منزلك لأجل بريدك، بدا لي أنه قد تعرض للإلقاء قنابل مدمرة، وكأنه يقع على خط النار".

فقلت لها: "لقد كان أسوأ مما يبدو عليه حالياً، وقد أبلغني عامل البناء بأنه سوف يُنهي العمل خلال أسبوع أو أسبوعين".

قالت وقد لانت تعابيرها: "كم سيستمر وقت البناء؟! اسمعي جيداً، إنني

أفهمك، فلو كان الشخص المعني هو لوك، كنت سأقبل بالتقاط داء الجرب أيضاً، ولكن لا يمكنك أن تتحملي رؤيتهما يعيشان حياتهما معاً، إنما يمكنك تحمّل ألا تريهما أمامك، وفي مطلق الأحوال لن يفيدك البقاء في منزلهما، لو، لماذا تعيدان فتح القصر القديمة والمؤلمة؟ عليك أن تحافظي على مسافة أكبر بينكما، بدلاً من أن تقلصي المسافات، وتزيلي الحواجز التي فصلت بينكما طوال السنوات الماضية".

مين محقة في كلامها، فلم أستطع الكف عن التفكير في أندرو منذ الليلة العاصفة، بعد أن ظننت أنني تخلّصت من هذا الألم المبرّح، ولكن بعد الذي حصل السبت الماضي، أشعر كما لو أنني عدت إلى نقطة البداية. مين تعرفني جيداً، وقد شعرت بأني أخفي أمراً ما، ما دفعها إلى أن تقول متكهنة: "إنني واثقة من أن الأمر ليس له علاقة بالمال، أليس كذلك؟ فأنت يمكنك تحمّل تكاليف الإقامة في نزل بي أند بي لبضعة أسابيع، ولكن ما الذي يحدث حقاً؟".

عندما لم أستطع النظر إلى عينيها، صاحت قائلة: "يا إلهي، لقد عاشرته!". فقلت لها نافية: "لا! لقد كانت مجرد قبلة، بعد أن جرفتنا لحظة رومانسية، بالإضافة إلى بعض الحنين إلى الماضي واحتساء النبيذ الأحمر، هذا كل ما في الأمر، ولن يحدث ذلك مرة أخرى أبداً". شعرت أنني كنت أخاطب نفسي أكثر مما كنت أخاطب مين، ثم أضفت قائلة: "ولكن احترسي من أن تتفوّهي بأي كلمة، أقسمي بشرفك، يا مين، إنك لن تخبري أي شخص بما أخبرتك به، ولا سيما أمي".

قالت: "يا إلهي لو، ما الذي كنت تفكرين به؟".

لم يكن لديّ جواب، ففي الأيام القليلة الماضية، استرجعت ذكرى تلك القبلة آلاف المرات، وقد حللتها من كل زاوية يمكن تصوّرها، وأنا على يقين من أن أندرو بادر إلى تقبيلي، ولكنني كنت من شجّعه على ذلك عبر

وضع يدي على قميصه، ودعوته إلى ألا يتركني وحدي، قد أكون من فتحت له الباب على مصراعيه، لأنني أردته أن يقبلني، ولكن حدث شيء ما بيننا في تلك الليلة شعرنا به كلانا، ولا يعني ذلك أننا تحدثنا عنه بعد تلك الليلة اللاهبة، بل تظاهرتنا بأن لا شيء حدث أبداً.

لن أكون من البشر إذا لم أستمتع بالشعور بالذنب بعد أن تبادلت الأدوار مع المرأة التي سلبتني زوجي، ولكنني لا أشعر بالرضا كما كنت أتوقع، فقد أسس أندرو حياة جديدة، وكون أسرة صغيرة مؤلفة من كاز وابنه كيت الآن، وتفكيكها لن يشعرني بأني أفضل مما أنا عليه حالياً، فقد قضيت السنوات الأربع الماضية، وأنا أحاول التغلب على ألم خسارة أندرو، ولا أستطيع أن أضع نفسي من جديد وسط بؤرة البؤس والعذاب، كما حصل طوال الأشهر التي تآرجح خلالها قراره، وتحير في الاختيار بيني وبين كاز.

بعد مغادرة مين جلست إلى طاولة المطبخ، وسرحت في الفضاء البعيد لفترة طويلة، وأنا أفكر في كلامها، فقد كان بإمكانني اتخاذ خيارات أخرى بدلاً من الانتقال إلى منزل أندرو وكاز، فكنت أستطيع الضغط على والدي للإقامة في منزلهما، كما كنت أستطيع تحدي غبار البناء، وأصمد في المنزل، فأطلب وجبات سريعة لبضعة أسابيع، ولكنني كنت أعلم بأن الإقامة في منزل أندرو من شأنها أن تزعج كاز، وترفع الحواجز التي من شأنها أن تعيق استمرار علاقتهما.

فجأة شعرت بالخجل الشديد من نفسي، لأنني كنت أنصرف بتهور مثل مراهقة حاقدة، ولم أعد الشخص الذي كنت عليه سابقاً، فأنا لا أقوم عادة بهذا النوع من التصرفات، وقد تغيرت منذ أيام روجر لويسون، فأصبحت الآن أمّاً صالحة، وصحفية صادقة، وأستاذة جامعية محترمة، وحالماً يرّم الجزء المتهدّم من المطبخ، ويصبح منزلي صالحاً للإقامة فيه، سأغادر هذا المنزل فوراً. سحبت الكرسي إلى الخلف، وجلست عليه، وأنا أتصفح كومة

رسائل البريد التي تركتها مين على الطاولة، إلى أن عثرت على رسالة تبدو رسمية، وهي مرسلة من جامعة ساسكس، فأهملت باقي المغلفات لكي أعرف محتوى هذا المغلف، فإدارة الجامعة لا ترسل عادة عقوداً جديدة في هذا الوقت المبكر من العام، وأتساءل عما إذا كانت قد غيّرت جدول الدورة التدريبية الخاص بي، ففتحت الرسالة وقرأتها على عجل، ثم عاودت قراءتها ببطء شديد وقد أشتعل صدري غيظاً، لأنني أعرف بالضبط من كان المسؤول عن محتوى هذه الرسالة.

حسناً، إن اعتقدت أن ذلك سيخيفني أو يوهن قوتي، فستكتشف قريباً أنها مخطئة، وأن رد فعلي سيكون بخلاف ما تتوقعه تماماً، ويمكن لكلتينا أن تلعب الآن هذه اللعبة، لأنني بالتأكيد لم أتغير كثيراً كما اعتقدت.

## الفصل 16

### كاز

قد تعتقد أن التفكير في قضاء زوجي الوقت في سرير امرأة أخرى هو الذي يَنغص عليّ حياتي، ويؤرقني طوال الليل، ولكن التفكير في إقامة لويز في منزلي هو الذي يقلق راحتي، ويجعل جلد مؤخرة رقبتني يقشعر. فأنا أتخيلها وهي تشقّ ملابسها، وتفتح الأدراج والخزائن، وتبصق على صورتني، وتتطفّل على حياتي، وتجول في أرجاء منزلي. وعندما عبرت عن مخاوفي، رأى أندي أنني أفكر بسخافة وسطحية، وقال لي مستنكراً: "إنك تضخّمين الأمور كثيراً، فلا يمكن أن تفعل لويز ذلك أبداً"، ما جعلني أدرك مدى خطورة المجرى الذي سلكته العلاقة بينهما، وأشعر بأن قلبي تعتصره الغيرة، لمجرد التفكير في أسباب دفاعه عنها.

تحملت الكثير من لامبالاته بمشاعري على مدار السنوات، ولكنه هذه المرة تجاوز حده، فدعوة لويز للمكوث في منزلنا تصرف غير مسؤول، بحق الله! إن أنجي محقة، فأني امرأة أخرى كانت ستلقي به في الشارع من دون تردّد. لقد تلقّيت رسالة عبر البريد الإلكتروني، وما إن فتحت الرسالة حتى صرخت يائسة: "أي. جي! احصل في الحال على التصميمات من حساب فاين!" كان أي. جي يترجح في كرسيه، ويقول: "ما المشكلة؟"، فأدرت شاشة الحاسوب في اتجاهه، وقلت له، وقد أذهلني المشهد بعد دقائق من التأمل المرير: "ألقي نظرة فحسب"، فقال لي: "يبدو ذلك مناسباً بالنسبة إليّ". قلت له: "أمعن النظر جيداً".

وقف خلفي، وهو يحدّق إلى الشاشة من فوق كتفي، ثم نظر إليّ مرتبكاً، وقال: "قلت إنك تريدين التنوع، ماتتيا رائع حقاً الآن، والجميع يستخدمه، أو بالأحرى يستخدمه، لقد فهمت قصدي، سهولة الجنس هي...".

قلت له، وقد نفذ صبري: أنا لست قلقة بشأن النموذج أي. جي. ألق نظرة فاحصة على ما يرتدونه".

قال أي. جي: "ألا تحبين البيجامة؟ تحاول فاين أن تجعل ثيابها مريحة، ما يمكنك من أن ترتديها طوال اليوم... "قاطعته قائلة: "بيجامة مخططة باللونين الأزرق والأبيض، ألا يذكرك ذلك بأي شيء؟".

"حسناً، ربما نفلت بفعلتنا، على الرغم من أنني أعتقد أنها مريحة نوعاً ما، لولا شعار فاين الأصفر الذي يظهر على شكل نجمة على الجيب الأيسر العلوي".

صرخ أي. جي: "أوه، يا إلهي!".

قلت وأنا أدير الشاشة في اتجاهي مجدداً: "ها قد فهمت أخيراً". فقال: "هذا يبدو تماماً مثل...".

فقلت له: "لا أعتقد أن أسلوب الهولوكوست الأنيق يُعدّ مهماً، ولكن دعنا لا نخبره، أليس ذلك أفضل؟ اذهب وضع صاروخاً في المؤخرة الإبداعية المشتركة، واجعلهم يقومون بفرزها، هلاً تفعل ذلك قبل أن نصلب في ديلي ميل".

لقد كان من دواعي سخطي وانزعاجي رؤية الدموع تترقق في عيني أي. جي، وهو يقول: "أنا آسف جداً، فقد خذلتك، وكل ذلك يعدّ خطئي...". انحنيت إلى جانب مكتبه، ووضعت ذراعي حول كتفيه، وأنا أشعر بالأسى لأنني جعلته يبكي، وقلت له: "اللعنة، إنه ليس خطأك، هيا بنا، لقد حصلنا عليه في الوقت المناسب، وبالتأكيد ستتحسّن الأمور، فلا داعي للذعر".

قال فجأة: "لقد انفصلت عن واين".

"لا بأس، فقد كان ذلك متوقفاً".

أنا صديقة سيئة للغاية، لأنه كان يتحتم عليّ أن أعلم ما يحصل لأي. جي مسبقاً، فهو لطالما كان ضعيفاً، ولا سيما بعد أن اعتدى عليه بعض البلطجية الذين يعانون من رهاب المثلية في السنة الثانية في مدرسة الفنون، وضربوه ضرباً مبرحاً، ما دفعه إلى ترك الكلية لمدة عام، وكان أسوأ ما في المسألة في ذلك الوقت، أن صديقه الحميم كان مختبئاً في الخزانة، وقد انضم إلى المعتدين، وشاركهم في الهجوم عليه، ومنذ ذلك الحين وجد صعوبة في الوثوق بأي شخص، وقد استغرقت المخاطرة في فتح قلبه مرة أخرى والتعلق بأحدهم وقتاً طويلاً، وقد قلت له بهدوء: "أوه، أي. جي. إنني متأسفة جداً، لقد اعتقدت أن علاقتهما ستنجح".

قال وقد اغرورقت عيناه بالدموع: "وأنا اعتقدت ذلك أيضاً".

رنّ هاتف أي. جي، فأجاب على المكالمة، فقلت له: "تحدّث لاحقاً"، فأشار إليّ بإبهامه بالموافقة.

إنني أحتاج إلى تنشق بعض الهواء، فلم أدخّن منذ أن كنت في الكلية، ولكن الأيام القليلة الماضية أعادتني إلى مارلبورو ريدز، على الرغم من أنني اضطررت إلى حصر ساعات العمل في أوقات محددة بسبب كيت، فأمسكت بحقيتي ونزلت إلى الطابق الأول، ودفعت الباب الزجاجي نحو الشرفة المطلة على الشارع، ثم أشعلت سيجارة، وبدأت أستنشق النيكوتين المهدئ للأعصاب ممزوجاً بالمواد الكيميائية التي تسبّب في الإصابة بالسرطان. لم ينجح أي. جي في الوصول إلى فاين، ولكن كان يتحتم عليّ أن أتولّى زمام الأمور بنفسني، وكنت سأفعل ذلك، لو لم تشغل لويز كل تفكيري، فما زلت أجهل ما حدث بالفعل ليلة مكوث أندي في منزلها، وقد بدأ الشك ينهش قلبي، ولكنني أجنبي الآن ثمار عشقي لأندي، فأنا أعلم من دون شك أن الرجل الذي أعشقه كاذب، وأنه كان عليّ الابتعاد عنه قبل أن أتزوج به بوقت طويل،

ما إن اكتشفت أنه كان يكذب عليّ للمرة الثانية، ولكن الدافع الوحيد الذي  
منعني من اتخاذ ذلك القرار هو الأقدم والأعرق في تاريخ البشرية، والذي  
يتكرّر مع كل جيل، وهو أنني كنت واقعة في حبه.

لا يتطلّب الأمر ذكاءً خارقاً لمعرفة السبب الذي جعلني أقع في غرام  
رجل يكبرني بنحو عشرين عاماً، فما إن يرد ذكر المشاكل الأبوية، حتى أرفع  
يدي على الفور، ولكن من منا لا يواجه المشاكل في حياته، ولو كانت من  
نوع آخر؟ لقد توفيّ والدي في حادث سير مروّع عندما كنت في الحادية  
عشرة من عمري في أثناء قيامه برحلة مع إحدى الفرق الموسيقية، بعد أن  
اصطدمت الحافلة الصغيرة التي كانت تقلهم بشاحنة ضخمة، ثم خرجت عن  
مسارها، نجا المغني الرئيسي وعازف الغيتار، وبقياً على قيد الحياة لكي يعيدا  
تشكيل الفرقة الموسيقية من جديد، ولكن أبي وهو المنتج الموسيقي، وثلاثة  
عازفين آخرين بالإضافة إلى سائق الحافلة لقوا حتفهم، فبقيت وأمي وحدنا  
في هذا العالم القاسي بعد رحيله، كما لم يكن لديّ إخوة أو أخوات، بل كنا  
وحيدتين تماماً، ولم تتزوج أمي مرة أخرى، ولم تواعد أحداً بتاتاً، وعندما  
أفشل في حياتي، ألجأ إليها، وأرتمي بين أحضانها، ولكن كيت أصبح إلى  
جانبي الآن، وأنا مدينة له بالحفاظ على تماسك عائلتنا.

إذا كان أندي ولويز يمارسان الجنس بداعي الحنين، فلا يعني ذلك أن  
نتتهي علاقتنا، إذ يمكنني تخطيّ خيانتته، إن حصلت لمرة واحدة فقط، شرط  
ألا تتكرّر مرة أخرى. ارتجفت سيجارتي بين أصابع يدي، على الرغم من  
شجاعتي الكبيرة، ولكن التفكير في خيانتها يكاد أن يقتلني. كيف يمكنه أن  
يتحمّل لمساتها بعد الذي فعلته به؟ لقد كنتُ من ساعدته على لملمة شتات  
نفسه، وقد يختار أن ينسى ما بذلته من أجله في الوقت الحالي، ولكنني أعرف  
كم يؤلمه ذلك. أخيراً أطفأت سيجارتي، عندما لمحت سيارة أجرة سوداء  
تتوقّف أمام المبنى، ثم خرجت تينا ماردوخ، ونظرت إلى مدخل المبنى، ثم



توارت عن الأنظار، يا إلهي، هذا ما كان ينقصني!

كان باتريك ينتظر عودتي أمام المصعد، وقد بدت تينا، وهي تصعد في المصعد الزجاجي مثل شبح الأوبرا، ثم تقدم منها وهي تترجل من المصعد، ويده ممدودة إليها، ولكنها أرسلت إليه قبلة، بل قبلتين في الهواء، فشرع بالغبطة، وقال لها: "تسرّني رؤيتك مرة أخرى، تينا".

قالت تينا وهي تشير إلى المرأة التي تقف خلفها: "شكراً، باتريك، وأنا أيضاً تسعدني رؤيتك، مرحباً كاز، لقد حضرت شخصياً لكي أقدم مسؤولة العلاقات العامة الجديدة إلى وايتفיש، وأنا متأكدة من أنك ستجعلها تشعر بأنه مرحّب بها في هذا المكان، باتريك"، لا أعلم إن كان عليّ أن أضحك أم أبكي.

قال باتريك وهو يعانقها بحرارة: "مرحباً بك، تسرّني رؤيتك مرة أخرى، فقد مرّ وقت طويل على لقائنا الأخير".  
صرخت قائلة: "هل تعرفان بعضكما؟".

ابتسمت لويز ببرود، وقالت: "لقد التقينا قبل بضع سنوات، عندما كتبت مقالاً يدور حول باتريك في البوست".

وأضاف باتريك قائلاً: "كان المقال أروع بكثير مما كنت أستحقّه".  
غرزت أظافري بعمق في راحتي يديّ، وأنا واثقة من أنني أدميتهما، وقلت: "لم يكن لدي أي فكرة في أنك تعملين في مجال العلاقات العامة، لويز".

لم تفارقها الابتسامة المرتسمة على وجهها، ولكن عينيها بدتا مثل الغرانيت، وهي تقول: "يمكن أن يحوّل معظم الصحفيين عملهم إلى العلاقات العامة، وبما أن كريس -أسفة، لقد نسيت أنك ملقبة بتينا في العمل- واقعة في ورطة، وأنا متفرغة نوعاً ما، عرضت عليها المساعدة، وهكذا يمكننا أن نعود بالزمن إلى الوراء"، ثم أضافت قائلة، وهي مستمتعة بكل لحظة من هذه اللحظات: "في الواقع، لقد ارتدنا المدرسة نفسها، وربما لم تكن لك دراية

بذلك، كما أنها عزفتك إلى زوجي في حفل جمع التبرعات الخاص بجمعية الرفق بالحيوان.

أشعر بالاستياء والضيق، وبالطبع لم يكن لدي أي فكرة حول علاقة لويز بتينا ماردوخ، فقد ذكر أندي اسم أفضل صديقات لويز، كريس، عدة مرات، ولكنني لم أقابلها أبداً، ولم يخطر في بالي بتاتاً من تكون، فلا عجب في أن تينا حاولت طردي، لأنني خطفت زوج صديقتها المقربة، وربما لامت نفسها على تعريفنا إلى بعضنا في المقام الأول، كما يبدو واضحاً أنها اختلقت تلك الوظيفة من أجل لويز حتى تتمكن من إزعاجي وإثارة غضبي، ما جعلني أشعر بأنني متورطة في عملية قدرة أكبر مما كنت أتوقع.

قالت تينا، وهي تحدق إليّ: "ستكون لويز مسؤولة الاتصالات الخاصة بي في حملة يونيفيست، ولديها السلطة الكاملة في اتخاذ أي قرارات تجدها ضرورية بشأن الحساب".

قال لها باتريك: "أعتقد أن اختيار شخص للإشراف على إستراتيجية العلاقات العامة الخاصة بك والمشاركة في التآزر الذي تُعززه حملتنا الإعلانية سيكون مفيداً للغاية، ومع أننا نادراً ما نفعل ذلك، إلا أننا لا نزال شركة صغيرة بما يكفي لتسهيل الأمور، وقد وجدت الأمر مفيداً سابقاً، ولكن أخشى أن عليّ الذهاب الآن"، ثم وجه كلامه إلى لويز قائلاً: "لقد تلقيت مكالمة جماعية من نيويورك، ولكنني سألتقي بك لاحقاً، تينا، هل يمكننا التحدث قليلاً على انفراد؟".

تركتنا تينا وحدنا، بعد أن مرّت أمامي، وهي ترمقني بنظرة خبيثة، بينما تجاهلتنني لويز تماماً، وهي تتجول في الشرفة، وكأنها تمتلك المكان، وقد استغرقتني تمالك نفسي بعض الوقت، ثم لحقت بها، وأنا أشتعل غضباً إلى درجة أنني بالكاد تمكّنت من أن أرى أمامي بوضوح، وقلت لها: "ماذا تفعلين في هذا المكان بحق الجحيم؟".

قالت لويز وهي متكئة على الدرايزين: "يا له من منظر ساحر! إن الموقع رائع، فهو في وسط المدينة، ويناسب العمل تماماً! وأنا أتطلع بشدة إلى...".  
قلت لها: "كفي عن التفوّه بالكلام الهراء، لماذا وافقت على هذا العمل؟".  
قالت بصوت خافت، وقد أسقطت قناعها: "أنت من بدأت هذه المعركة".  
أدركت فجأة أن الجميع كانوا يراقبوننا عبر النوافذ الزجاجية، فأخفضت صوتي، وسألتها: "ما الذي تتحدثين عنه؟".

قالت بصوتٍ حاد: "أنت تعرفين جيداً ما الذي أتحدث عنه، لقد حصلت إدارة جامعة ساسكس على معلومة مجهولة المصدر حول سجلي الجنائي، فقررت فسخ عقدي، وهكذا خسرت عملي بسببك، ومع أن لدي ولدين عليّ إطعامهما، إلا أنك لم تفكر في ذلك، كما لا يزال يتعين عليّ تأمين سقف فوق رؤوسنا...".

قلت لها: "هل تقولين إنك تحتاجين إلى سقف فوق رأسك؟ وأنت تقيمين في منزلي اللعين!".

قالت ببرود: "وسيكون منزلي الذي سأقيم فيه مع زوجي قريباً".  
ابتعدت عنها، وأنا أحاول أن أثبت في مكاني، فلطالما عرفت أنها تكرهني، ولكن لم يكن لديّ أي فكرة عن حجم ذلك الكره، وأتساءل عما إذا كانت تعاني من مرض نفسي، فقد عُزلت في جناح خاص ذات مرة لمهاجمتها زوجة صديقها السابق، ولهذا السبب كان لديها هذا السجل الجنائي، وقد مرّ وقت طويل على تلك الحادثة، ولكن كيف يمكنني أن أتأكد من أنها لن ترتكب عملاً مجنوناً مرة أخرى؟".

لقد ازداد تشنّج معدتي، فأندي، هو الشخص الوحيد الذي أتحدّث إليه عادة عن كل ما يثير مخاوفي، كما أنه الشخص الوحيد الذي عليه أن يدعمني، إلا أنه جزء من المشكلة، ولا أعتقد أنه سبق لي أن شعرت بالوحدة إلى هذه الدرجة في حياتي من قبل.

## الفصل 17

### مين

اعتمرت قبعة الطبيب لبضع دقائق، فقد سبق لي أن عاينت أشخاصاً يعانون من هذا المرض، وجميعهم لديهم الأعراض نفسها بشكل أساسي، وهي التدهور الوظيفي للنظام الذي كان يعمل في السابق بمساعدة تعويض التباين في حالة لويز، ومزيج من الاستشارة والعلاج المعرفي والسلوكي والوقت.

نجحت كل هذه العلاجات في الحفاظ على خوفها العميق من الخسارة لسنوات عديدة، والذي نشأ في البداية نتيجة محنة وفاة شقيقها المؤلمة، وقد أكدته ما حصل مع روجر لويسون في أكسفورد، ولكنني أعتقد أن عاصفة من الأحداث المتشابكة قد تسبب في الانهيار المفاجئ والمثير للقلق لهذه الهياكل الوقائية، وبعبارة أبسط أظن أن لو قد تواجه انهياراً آخر، وهذا ما توقعت حصوله عندما هجرها أندرو قبل أربع سنوات، ولذلك راقبتها عن كثب في ذلك الوقت. وبالمقارنة مع الماضي أعتقد أن متطلبات رعاية المولود الجديد كان لها تأثير كبير تمثل بحمايتها من الانهيار من خلال انهماكها في رعايته إلى درجة منعها من التفكير في محنتها أو في أي موضوع آخر، ولكن الماضي يلاحقها الآن، وأنا أشعر بالقلق أكثر مما يبدو عليّ، ما دفعني إلى التيقّظ لمراقبة حالتها.

إنني أتحقّق من الوقت عبر هاتفني، وأنا أتمنى ألا يجلسني النادل إلى طاولة تقع وسط المطعم. ومع أن ذلك يبدو غير طبيعي، وأنا أدرك تلك

الحقيقة، ولكنني أتوتر من سير الناس خلفي. لقد تأخر أندرو، وأنا نادمة على الاتصال به بالفعل، ولكن قلقي منصب على لو، كما حاولت أن أوضح لسيليا، ولا شيء آخر سيحثني على تناول الغداء مع الشيطان، بغض النظر عن طول الملعقة.

تستطيع لويز تبرير أفعالها كما تشاء، ولا شك في أن زوجة أندرو قد استفزتها، ولكن بصفتي صديقتها الآن، لا بصفتي طيبة، ينبغي أن أقول إن الانتقال إلى منزل زوجها السابق ليس أمراً طبيعياً، بغض النظر عن العذر الذي قدمته، كما أن قبول العمل في مركز عمل زوجته ليس أمراً عادياً أيضاً. شعرت بحركة خفيفة خلفي، وما إن التفت إلى مصدرها حتى رأيت أندرو يتجه على عجل إلى طاولتي متجاهلاً نظرات إعجاب الزبائن به، وتقديرهم له، واعتذر قائلاً: "آسف، على تأخري، إنه طريق الدوار اللعين".

وضع يده على كرسيه، ولكنه لم يجلس: "أنتِ تكرهين الجلوس وسط المطعم، أليس كذلك؟ اسمح لي أن أرى هل يمكنني الحصول على طاولة". قلت: "أوه، لا يوجد...".

فقال أندرو وهو يتحدث إلى النادل بلباقة: "عفواً، ولكن هل تمانع إذا جلسنا إلى إحدى الطاولات البعيدة عن الطريق؟". ردّ النادل: "بالطبع، تفضل، سيدي".

تمت، ونحن نسرع الخطى في اتجاه ركن خاص يقع في زاوية المطعم: "لم يكن عليك القيام بذلك".

ابتسم أندرو، وقال: "إذا لم تطلبي، فلن تحصلي على مرادك". إنه وسيم للغاية، ويبدو جذاباً بما يكفي عبر شاشة التلفاز، ولكن في الحياة الواقعية، يبدو حضوره قوياً ومؤثراً، ولديه كاريزما، وهو أمر خادع، كما أنه يمتلك سحراً خاصاً يتمثل بالطريقة التي ينظر من خلالها إليك، كما لو أنه يراك بالكامل، حتى الآن لا بد من تذكير نفسي بمن يكون حقاً.

قال أندرو، من دون أن يشيح بنظره عني، بينما كان النادل يفتح منديله ويضعه على حجره: "حسناً، ماذا تفعلين في لندن؟ هل لديك عمل ما، أم أنك تقضين يوم الإجازة وحدك بعيداً عن أفراد عائلتك؟".

حاول جعل كلمته الأخيرة خافطة النبرة بجهد، فأبعدت نظري عنه، وتجرّعت جرعة كبيرة من الماء، وقلت له بحدة: "هذا ليس غداءً اجتماعياً، فأنا أعلم ما حدث تلك الليلة بينك وبين لو، وقد جئت لكي أخبرك بأن عليك بالابتعاد عنها، أندرو، وأنا جدية، فأنتما تلعبان بالنار، ولن أتركها تحترق مرة أخرى".

تراجع وهو يضحك، وقد فاجأني رد فعله، ثم قال: "هذا ما يُثير إعجابي بك، يا مين، إنك مباشرة وصريحة كالعادة".

قلت له: "أعتقد أن كلامي مضحك؟".

أجابني وقد بدا جدياً: "بالطبع لا، لقد كانت مجرد قبلة، يا مين، كما كانت عفوية ولم تعن شيئاً مهماً".

قلت له: "هل كانت كذلك بالنسبة إلى لو؟".

عاد النادل إلى طاولتنا، فقدّم إلى كل واحد منا قائمة الطعام، إلا أن أندرو لم ينظر إلى قائمته قبل أن يضعها على مفرش المائدة السميكة المصنوع من الكتان الأبيض، وقال: "لا أظن أنني أوضحت ما قلته بدقة، بالطبع كانت تعني شيئاً، ولكنني لن أعيد لويّز إلى حالة فوضى التي أدخلتها إليها بما يكفي من قبل، وما كان عليّ فعل ذلك، وأنا آسف".

"آسف لا تحلّ المسألة، بل أريدك أن تعديني بالأمر مرة أخرى".

قال أندرو: "الأمر لا يتعلّق بي فقط، كما تعلمين يفترض بالطرفين أن يتّخذا هذا القرار".

قفزنا من مكاننا عندما سمعنا فجأة صوت تكسر الأطباق في الجانب الآخر من المطعم، ما جعل كل من في القاعة يصمتون، وهم ينظرون إلى

النادلة الشابة التي تقف وسط جبل من الأطعمة والأواني المحطمة المتناثرة على الأرض، بدت النادلة وكأنها على وشك أن تجهش بالبكاء، وقبل أن تتاح لأي شخص آخر فرصة القيام بأي رد فعل، هب أندرو إلى مساعدتها، وقد سألتها، وهو يتناول منديلاً من أقرب طاولة، ويجمع فيه أكبر قطع الأواني الفخارية: "يا إلهي، كم يثير حدوث ذلك الاستياء! ولكن على الأقل لم يحصل لك ذلك على الهواء مباشرة، وربما أنت أصغر من أن تتذكري بأنني أوقعت رفاً كاملاً من الكريستال الثمين من أحد رفوف الخزنة الجانبية في هايغروف..".

استمرت المحادثة المرححة من طرف واحد، وعندما استعاد موظفو المطعم توازنهم عمدوا إلى طمأنة رواد المطعم الذين تناثرت وجبات طعامهم على البلاط على إحضار طعامهم خلال دقائق معدودة، وبعد أن استتب النظام، وساد الهدوء، وهدأت الفوضى، عاد أندرو إلى الطاولة.

قلت له بإعجاب شديد: "كان تصرفك في غاية اللطف، وأعتقد أنك أنقذت للتو وظيفة تلك الفتاة المسكينة".

فقال أندرو بجفاء: "إن اكتشاف حقيقة أن يكون المرء شريراً، يتطلب التعمق في الشخصية حقاً، وتوافقني سياليا على كلامي بلا شك، وقد خففت من وطأة الإحراج عليها وحسب".

تنفست بعمق، وقلت له: "لا أعتقد أنك شرير، بل إنها مجرد أنانية لعينة". رفع يده مشيراً إلى النادل: "تعال، هل يمكننا الحصول على كأس من الشمبانيا، دكتورة بولوك؟".

قلت له: "أنا لا أشرب عادةً عند الظهيرة".

قال أندرو مماًزحاً: "أوه، مين، تهوري قليلاً، فلن أخبر أحداً".

ترددت قليلاً ثم قلت له: "حسناً".

أشعر بالقلق من شدة رغبتني في التقرب إليه مرة أخرى، فقلت محذرة

نفسى، إنه الرجل الذي خان أعز صديقاتك، كما أنه الرجل نفسه الذي أقام علاقة معك عندما كان على علاقة بامرأة أخرى.

لم أخبر أحداً بتلك الليلة، يومها كنت في منزل لويز، وعندما أعادني أندرو إلى منزلي، لأنني شربت كثيراً ليلة قضاء الفتيات السهرة في منزل لويز، مكثنا بالسيارة خارج منزلي لمدة طويلة، وحاول تقبيلي، على الرغم من أنني أوحيت له بأنني لم أكن أرغب في حصول ذلك.

لقد اتكأ على الطاولة، وقال لي: "مين، لقد قصدت ما قلته، لا أريد أن أؤذي لو أكثر مما أذيتها، وبصراحة لم أخطئ لتلك القبلة".

قلت له: "الطريق إلى الجحيم مرصوف بـ...".

قال ببساطة: "إنني أفقدها كثيراً".

إنه مزيج من الجاذبية الجنسية القاتلة ورعونة الفتى المراهق، ما يجعله لا يقاوم، وأنا حائرة بين الرغبة في معانقته، والميل إلى لكمة على أنفه، ثم ذكرته بحدة: "لقد تركتها وحيدة ورحلت، فتخلّيت بذلك عن حقك في افتقادها ما إن انفصلت عنها".

عاد النادل ومعه كأسى شمبانيا ووعاء يحتوي على حبوب الصويا المملحة، فوضعها على الطاولة بيننا، وقد طلب كلانا طبق سلطة كوب، وصمتنا ريثما يغادر النادل، ثم استأنفنا محادثتنا.

التقط أندرو إحدى الحبات، ثم أعادها مجدداً إلى الوعاء، وقال: "لقد نسيت كيف يبدو عليه الحال عندما كنتُ ولو نشكل ثنائياً منسجماً، وقد ذكرتني تلك الليلة بما عشناه معاً، عندما كنا نصلح السقف، فليس من السهل أن تدير ظهرك لخمسة عشر عاماً من الذكريات الجميلة. أما أنا وكاز، فليس لدينا مثل تلك الذكريات الرائعة".

نظرت إليه متفحصة ملامح وجهه، وقلت له: "أندرو، إن فهمت حقاً ما تقوله، فعليك أن تتوقف عند هذا الحد، لقد أقيمت في السابق علاقة غرامية



في السر، وقد أدت إلى تفكك عائلتك، وأنت متزوج منها الآن، ولديكما كيت، وقد اخترت السرير الذي يريحك الاستلقاء عليه".

قال متشككاً: "ماذا لو لم يكن السرير الذي أرغب في الاستلقاء عليه؟".

أجبتة قائلة: "كفّ عن التلاعب بمشاعر لو، فقد استعادت للتو مسار حياتها الصحيح، بعد أن دمرتها بالكامل، فلا تسحبها مجدداً إلى مستنقعك، فقط لإرضاء غرورك، ابقَ بعيداً عنها، لأن تقاربكما غير منصف لأي منكما".

قال أندرو متجاهلاً كل ما قلته: "أنا لا أفقدها فقط، بل أفقدكم جميعاً، وعندما تلقيت تلك الدعوة إلى حفل سيليا، تذكرت الماضي، وتحسرت على ما خسرت"، ثم ابتسم ابتسامته الساحرة التي تقلب كيان أي امرأة، وقال: "لقد كنتم عائلتي لأكثر من عقد من الزمان، ولا يمكنك أن تلوميني على رغبتني في استعادة تلك الذكريات في بعض الأحيان، أليس كذلك؟".

بدأت بكل ما أمتلك من قوة أطرده الأفكار السوداء التي تزاхمت في عقلي. إن فكرة سيليا المجنونة واللعينة، قد تنجح في تحفيز أندرو على تعويض ما ينقصه، وفي هذه الحالة، ليكن الله في عوننا جميعاً.

## الفصل 18

### لوزير

كنت أعلم أنه ما إن أستقلّ القطار المتجه إلى لندن، حتى أكون قد ارتكبت خطأ فادحاً، ففي الليلة الماضية قضيت وقتاً طويلاً مترددة بشأن ما سأرتديه. في عملي في الجامعة كان يمكنني ارتداء الجينز، وعندما كنت أعمل بشكل مستقل، نادراً ما كنت أضطرّ إلى خلع البيجامة، لذلك مرّت سنوات منذ أن اضطررت إلى ارتداء الملابس الرسمية للحصول على وظيفة حقيقية، لقد أردت التأكد من أنني أبدي بمظهر لائق بما يكفي للعمل في وكالة إعلانات في لندن، وفي النهاية ارتديت بذلة مؤلفة من تنورة وسترة سوداوين، وهي تعود إلى الأيام الأولى في البوست، كما أنها لا تزال مناسبة نوعاً ما، ثم انتعلت حذاء عالي الكعب. لكن معظم النساء الأخريات في القطار كن يرتدين البناتيل لا التانير، ويتعلن أحذية بسيطة مسطحة، وهذا ما جعل مظهري يلائم العمل الرسمي بلا عناء، وقد عدت بالزمن إلى ما يقارب العقدين.

السفر من برايتون مزعج للغاية، فالجو حار وخانق، والقطار مزدحم، ولم أتمكن من العثور على مقعد، فوقفت في الممر الضيق خارج العربة المزدحمة مع نصف دزينة من الركاب الآخرين المتكئين على الجزء الخلفي من حجرة المرحاض للحفاظ على توازنهم، وبدأت أتصبّب عرقاً، فجمّع تحت ثديي. عندما اقترحت عليّ كريس الوظيفة للمرة الأولى في وايتفיש بعد يومين من تناولنا الغداء معاً في الأسبوع الماضي، رفضت حتى التفكير في عرضها، وأخبرتها بأنني أفضل التسول في الشوارع على العمل إلى جانب كاز.

أصرت كريس قائلة: "لن تريها على الإطلاق، ولن تأتي إلى لندن سوى مرة واحدة في الأسبوع، وتستطيعين العمل في المنزل باقي أيام الأسبوع، وستعملين في أغلب الأوقات في مكنتي في دوكلاندز، وليس في وايتفيس، إلا أنك ستحتاجين إلى التواصل مع الفريق بالطبع. ولكن يمكنك الاستعانة بمساعد كاز، أي. جي. بصفته الشخص المناسب للعمل معك في معظم الأوقات".

على الرغم من أنها كانت تعرض عليّ أموالاً أكثر مما كنت أكسبه منذ سنوات، وفرصة عظيمة لإزعاج كاز في المكان التي تظن أنها آمنة فيه، إلا أنني رفضت عرضها، لأنني لم أرغب في صب الزيت على النار، وخوض حرب مدمرة مع تلك المرأة.

لكن بعد أن تسببت كاز في طردي، مع أن الرسالة المرسلة من رئيس قسم الإعلام في ساسكس، كانت لهجتها محترمة، ولكنها كانت حازمة. لم أفصح عن سجلي الجنائي، لذا لم يكن لدى الإدارة خيار سوى إلغاء عقدي للعام الدراسي القادم، لأن سلامة طلابنا... أعتذر بشدة، ولكن لا يمكننا المخاطرة بسمعة الجامعة في هذا الوقت الحرج من هذا العصر، فأنت تعلمين خصوصية قسمنا القانوني.

بعد خمس دقائق من فتح المغلف، التقطت الهاتف، واتصلت بكريس، فقد حان الوقت لتعلم كاز أن سوء أفعالها سترتد عواقبها عليها. في الوقت الذي كنت فيه أدخل مكاتب وايتفيس، كنت أفكر في أنني اقتحمت مساحتها الخاصة في مكان عملها أيضاً، لقد استفزتني من دون شك، ولكنني الآن في موقع أشعر فيه بارتياح كبير.

تمتلك كاز السلطة في المنزل، وأنا متأكدة من أنها لن تتردد في استخدامها، ولكن مصدر قوتي يكمن في عنصر المفاجأة. كدت أشعر بالأسف تجاهها عندما رأيت وجهها، وأنا أترجل من المصعد، وقد تدلّى

فكها، ولا أزال أتذكر عندما عَينَ محرر البوست منافساً قديماً لي في الكلية لتحرير صفحات يوم السبت التي تحتوي على مقالاتي، فشعرت بهجوم عنيف يُشنّ عليّ في المكان الوحيد الذي كنت أعتبره مملكتي الخاصة دائماً، وقد يكون ذلك أسوأ كابوس يُسلط على كاز في الوقت الحالي، فأنا لست فقط أَلعب على أرضها، بل اكتشفت أيضاً أن رئيستها الجديدة في هذا الحساب هي أقرب صديقة بالنسبة إليّ، والأسوأ من ذلك، أنني أعرف باتريك معرفة خاصة أيضاً، وأستطيع أن أرى كل القطع تتشابك، وتتزاخم في رأسها، وهي تكتشف أخيراً سبب محاولة تينا طردها. لطالما شعرت كريس بالندم بعد تعريف أندرو إليها في ذلك الحدث الخيري، ولكن كما قلت سابقاً، لم يكن خطؤها أن يهجرني زوجي من أجل كاز.

لم يدم تعاطفي معها طويلاً، ستجعل كريس حياتها بائسة في الأشهر القليلة القادمة، ما قد يجعلها تفكر ملياً قبل تدمير حياتي مرة أخرى، ولكنني لن أخدع نفسي وإن لدقيقة واحدة، لتكون الأمور أسهل بالنسبة إليّ أيضاً، فقد تكون كاز في موقف ضعيف في الوقت الحالي، ولكن عالم الفتيات الساحرات من أمثالها، وليس إلى النساء اللواتي في منتصف العمر مثلي، وعليك فقط أن تنظر إليها، وهي ترتدي بنطالها الجينز الضيق، وتتعل حذاءها الرياضي سوبيرغا، وعندما أقف بالقرب منها، أشعر وكأنني قادمة من التسعينات، فأنا أفرط في ارتداء الملابس، وأبدو بعيدة كل البعد عن إقامة علاقات ودية مع الآخرين.

قالت كريس، بينما كنا نستقلّ سيارة أجرة، ونحن متجهتان إلى مكتبها في شاردي: "كفّي عن القلق، ستكونين بخير، يمكنك القيام بهذه المهمة بيد واحدة مقيدة خلف ظهرك".

بعد أن عرفت ما ينبغي عليّ فعله، أدركت أنني سأحبّ هذا العمل، فالكتابة المقنعة هي مهارة قابلة للتحويل، واستخدام النسخ للترويج لعلامة

تجارية معينة لا يختلف كثيراً عن العمل على تحديد الأجندة السياسية لمالك الصحيفة. من الواضح أن أي. جي هو الرجل المقرب إلى كاز، ولكنني أعتقد أنني أستطيع التعامل معه، وإذا بدأ بجعل حياتي صعبة للغاية، فلدى كريس ما يكفي من النفوذ لجعل باتريك ينقله إلى حساب آخر.

قلت لكريس: "ليست الوظيفة التي أشعر بالقلق بشأنها، ولكنني أفكر هل سينتهي بي الأمر في كيس الجثث، لأنه يُحتمل أن تضع كاز اللعينة مادة مانعة للتجمد في فنجان قهوتي".

قالت ضاحكة: "لا تقلقي، لأن عرض الوظيفة يشمل بطاقات ستارباكس التي تقدّم إلى الموظفين".

سمحت لنفسي بالتفكير بالطريقة التي سينظر فيها أندرو إلى كل ما قمت به، وأنا أستقلّ القطار عائدة إلى برايتون، لقد كان ركوب القطار كابوساً آخر يتسلّط على الركاب عندما يزدحم بجنون، فلا أريده أن يفكر في أنني تحوّلت إلى الأرنب الماشي، فانتقلت أولاً إلى منزل كاز، وبدأت أعمل الآن في مكتبها، فسيكون من الصعب الدفاع عن نفسي، وليس لديّ أي دليل على أن كاز هي التي أبلغت جامعة ساسكس بسجلي الجنائي، وقد تسببت في طردي، وإذا اتهمتها، فسوف يزداد الأمر سوءاً.

فجأة أدركت أن مين محقة، وأنه يجدر بي مغادرة منزل كاز وأندرو على الفور، سواء أكان ترميم المطبخ قد أنجز بالكامل أم لا، وإذا فعلت ذلك، فستلاشى حقيقة أنني أعمل مع كريس لصالح أحد أكبر عملاء كاز، كما أن أندرو مدين لي بالقليل من الثقة، فأنا لم أوقع به بإخبار كاز بما حدث ليلة العاصفة، مع أنه كان في إمكانني فعل ذلك، ومن الواضح أنني لن أحاول ابتزازه عاطفياً، لأنني لست من هذا النوع، ولكن آمل في أن يتذكّر أن الولاء هو طريق ذو اتجاهين.

## الفصل 19

### كاز

أستطيع رؤية أندي وهو يضع ذراعه حول كتفي لويز، وهما يجلسان على الأريكة، فيجذبها إلى صدره، وهي تضحك بغنج، وتتلوى بين ذراعيه، ثم تميل رأسها نحوه، فيقبلها بعد أن يزيح خصلة شعر طويلة عن وجهها، وقد أوماً إيماءة رقيقة جعلت قلبي ينبض، فأنا أستطيع التعرف إلى نظرة الحب التي تلمع في عينيه البنيتين والناعستين.

لا يسمع المتنصتون أي كلام راقٍ عن أنفسهم، وينطبق المبدأ نفسه على أولئك الذين يتجسسون على الآخرين في الخفاء، لذا يجب أن أكف عن تعذيب نفسي، ولكن لا يمكنني أن أشيح بنظري بعيداً.

بينما كنت أشاهد المقطع المصور، خلعت لويز صندلها، ولقت ساقها العاريتين حول حضن أندي، وبينما كانت تمدّ يدها لالتقاط كوب الشاي، همس أندرو إليها بملاحظة لم أستطع سماعها، فضحكت ضحكة عريضة، جعلتها تبدو أصغر بعشر سنوات مما بدت عليه سابقاً طوال حياتي، ثم أمسك بإحدى قدميها بيده، وبدأ يفركها، وهي تحتسي الشاي، ولكن بعد لحظة، انزلت يديه إلى أعلى ربلة الساق، وتوقّف للحظات، فأخذ كوب الشاي منها، والتفت ذراعاها حول رقبته، وجذبه نحوها، فقبلها مرة أخرى، ثم فجأة التفت إلى الكاميرا ولوّح إلى بيلا التي تقف بعيداً، وضحك، ثم يطلب منها أن تتوقّف عن التصوير، لتصبح الشاشة سوداء داكنة.

لقد سبق لي أن شاهدت المقطع نفسه عشرات المرات منذ أن عثرت عليه على صفحة أندي عبر الفيسبوك أمس، والتي نادراً ما أتصفحها، فهو زوجي، ولست بحاجة إلى أن أكون صديقه عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ولكنني تلقيت إشعاراً بأن لويز أرسلت إلي دعوة لتشاركني منشوراً، وبغناء نقرت عليه، إلا أنه ما كان علي أن أقبل بطلب صداقتها منذ عامين تقريباً، عندما كنا لا نزال "متحضرتين"، ولكنني الآن أحظرها، ولكن بعد فوات الأوان، فلا يمكنني الآن إلا أن أرى الفيديو مراراً وتكراراً.

لقد التقطت بيلا اللقطات منذ خمس سنوات، وبدأت مقطع الفيديو وهي تتحدث إلى الكاميرا قائلة: "تعرفوا إلى عائلتي"، ربما من أجل مشروع مدرسي، وربما كانت في العاشرة من عمرها، ولكنني لم أعرف ما الذي تهدف إليه لويز بجعلي أشاهد هذا الفيديو، ولكن بعد أن شاهدته للمرة الثانية فهمت ما كان هدفها، فقد شعرت وكأنني تلقيت لكمة في معدتي.

كانت اللقطة التي تمدّ فيها لويز يدها لتناول كوب الشاي خاطفة، ولكن حركاتها لم تكن بريئة وعفوية، بل كانت تمهّد بشكل واضح للحمل، ولطالما شعرت بأن أندي خانني مع لويز، أخبرني عندما التقينا بأنهما انفصلا قانونياً، وهما في انتظار إنجاز معاملات الطلاق البطيئة، وعلى الرغم من أنني كنت أعرف أنها من البديهيّات، ولكن كل الرجال المتزوجين يقولون الكلام نفسه، وقد صدّقت، فكانت لديه شقته الخاصة في وسط لندن، وهي خالية من أي لمسة أثوية، ونحن لم نكن نقضي أيام الأسبوع معاً فحسب، بل معظم عطلات نهاية الأسبوع أيضاً، وذات مرة سافرنا إلى باربادوس لمدة أسبوع، ولم أكن أعرف حينها أن لويز معتادة على السفر للعمل لأيام أو حتى لأسابيع أحياناً، وهذا ما يمنحه العذر المثالي للابتعاد عني.

بعد أسابيع قليلة من عطلة باربادوس، شاهدتهما معاً بالصدفة في محطة بادينغتون. كانت المرة الأولى التي أرى فيها لويز بيج، ولكنني تعرّفت إليها

على الفور من خلال الصورة الظاهرة على مقالاتها التي تنشرها في الديلي بوست، وهو عمود كنت أستمتع بقراءته إلى أن وقعت في حب زوجها، بدت أصغر مما كنت أتوقع، وأجمل من الصورة، وكان قد مضى على حملها ما لا يقل عن خمسة أشهر.

وقتها كان يفترض بي أن أنهي الأمور العالقة مع أندي، ولكنه كان مرتبكاً ونادماً، وقال لي إنها مجرد ليلة عصفت فيها رياح الحنين، وأنهما أفرطا في احتساء النبيذ، ما جعلهما يقيمان علاقة بدافع العادة لا الرغبة، كما أنه لم يكن متأكداً من قراري، ثم أخبرني بأنه يرى أنني قد أجد شخصاً مناسباً في مثل سني، وتكون مسؤولياته أقل، ثم أقسم إن ذلك حدث مرة واحدة فقط، وإنه ولويز أجمعا على أن ما حصل كان مجرد خطأ، ولكن بعد عشرين أسبوعاً، كشف الفحص عن ظل يظهر على قلب الطفل، ما يدل على أنه مصاب بمتلازمة داون، وقد حجز لها طبيب التوليد موعداً لإجراء اختبار بزل السلى (ولحسن الحظ كان سلبياً) مع خبير أجنة في لندن، وهو المكان الذي كان يصطحبها إليه عندما رأيتهما في المحطة.

لم تعد تجمع بينهما أي علاقة، بل كان يقوم بواجبه تجاه طفله وحسب. صدقته مرة أخرى، وسمحت لنفسني بأن أقتنع بأنه رجل طيب ارتكب خطأ بسيطاً من دون أن يقصد، وهو يحاول الآن بذل قصارى جهده لاستعادة الاستقرار، والقضاء على الفوضى. في الواقع، لقد أحببته كثيراً لأنه لم يتخلل عن لويز في أصعب الأوقات، فمعرفة الطريقة التي يعامل بها الرجل طليقتة تعدّ أفضل مؤشر لطريقة معاملته لك.

والأهم من ذلك كله، أنني اكتشفت للتو أنني حامل، ولكنني لم أستطع مواجهة كلام الناس، بصفتي أمّاً عزباء، ولكن في الوقت نفسه، كان إجهاض طفل الرجل الذي سعيت إلى إغوائه أمراً غير وارد. يُسمح لكل رجل بأن يخطئ مرة واحدة لا أكثر، وقد أقسم إنني كنت



المرأة الوحيدة التي أحبها بصدق، فكان ذلك كل ما يهّم حقاً، ولكن هذا المقطع المصور غير كثيراً من الحقائق، فلويز لم تحمل خلال رحلة حنين دامت ليلة واحدة فقط، واستقرت في حنايا الذاكرة، بل من الواضح أنهما كانا على علاقة قوية طوال الوقت الذي كنت فيه على علاقة بأندي، فأعدت تشغيل المقطع مرة أخرى، ثم أوقفته، بينما كان أندي يشني خصلة الشعر خلف أذن لويز، لقد أحبها كثيراً، وقد ظهر ذلك بوضوح على ملامح وجهه.

أستطيع أن أرى الحب يتوهج في عينيه، كتوهج ضوء النهار، وربما لم يكف عن ذلك الحب قط، ولكن هل كان يشعر بأي مشاعر نحوي؟ عندما كان يفرك قدم لويز على الأريكة بدا واضحاً عشقه لها، فهل كنت مجرد وسيلة لتسليته، وتوفير المتعة الجنسية من دون أن يبالي بمشاعري، أو يرغب في إنجاب الأطفال؟

كانت لويز تتساوى معه من الناحية المهنية، وقد نظرت إليه بتمعن، فأدركت أنني ما زلت أعبده، ولكن كيف يمكن أن يكون ذلك قد أذكى غروره؟ يا إلهي، كم كنت حمقاء، فأنا امرأة ذكية وناجحة وطموحة، ولا أزال أحب بعض أقدم السطور التي وردت في الكتاب، فهو لم يكن ليترك لويز أبداً لو لم تفشل علاقتهما، كما أنه لم يخترني، بل دفعه الخطأ الذي ارتكبته إلى ذراعي بشكل تلقائي.

أغلقت الحاسوب عندما سمعت صوت صرير الباب الأمامي، وهو يفتح، لا فائدة من الشعور بالأسف على نفسي، كنت أعرف أن أندي كاذب عندما تزوجت منه، والسؤال الآن بعد أن علمت بأن علاقتنا بنيت على كذبة، ماذا سأفعل حيال ذلك؟ هل أقدم إلى لويز ما أرادته منذ البداية وأتركه لها؟ هل أتصالح مع فكرة قضاء بقية حياتي إلى جانب رجل لا يمكنني الوثوق به تماماً؟

عدلت ملامح وجهي لتبدو شبه طبيعية، بينما كانت بيلا وصديقتها تايلر

تدخلان غرفة الجلوس، فابتسمت ابتسامة خفيفة، وقلت لهما: "أهلاً بكما، هل كان الفيلم مشوقاً؟".

هزت بيلا كتفيها، وقالت: "لا بأس به".

قلت لهما: "هل تناولتما الطعام في الخارج؟ أم تريدانني أن أعد لكما طعاماً لتناولاه؟".

ردت تايلر: "شكراً لك سيدة بيج، فقد تناولنا الطعام في بریت".

قلت لهما: "أوه، يا إلهي، من فضلك نادني كاز، فأنت تجعليني أشعر بأنني هرمة".

تجولت الفتاتان في غرفة الجلوس، وقد بدا أنهما محرجتان، وقد تبادلتا نظرات مبهمة.

من الواضح أنهما تريدان أن تطلبا مني أمراً ما، فاستسلمت لإعطاء بيلا محتويات محفظتي كلها، لأن أندي ولويز لا يمنحانها مصروفاً كافياً، وهما يرفضان السماح لها بالعمل يوم السبت، وهذا يعني أنه يتعين عليها أن تطلب الصدقات في كل مرة تريد احتساء فنجان قهوة أو شراء قميص.

إنها في السادسة عشرة الآن، ويعتبر أمراً مهيناً للجميع أن تطلب المال في كل مرة تحتاج فيها إليه، إنني أميل إلى إعداد تحويل تلقائي إليها، إلا أنني لا أريد تجاوز حدودي بشكل كامل.

حُتت تايلر صديقتها على الكلام قائلة: "هيا، أسألها".

جلبت حقيبتني، وقلت لهما: "إلى كم تحتاجين من المال؟".

قالت بيلا بسرعة: "لا أحتاج إلى المال".

إنها تحرك الخاتم الفضي بتوتر في إصبعها، وتمارس وتايلر حركات رياضية متطابقة، فتبدوان كالتوأم، وهما ترتديان بنطلونين أسودين ممزقين وسترتين فضفاضتين، باستثناء أن بيلا تبدو صغيرة بالنسبة إلى سنّها، أما تايلر فتبدو وكأنها في الواحد والعشرين من عمرها...

تنهّدت وقلت: "هيا، قولي، ماذا تريدین؟".

نظرت بيلا نحو المدخل، وسألّني: "هل أبي في المنزل؟".

وقفت والتقطت سترتي عن ظهر الكرسي، وقلت لها: "لقد اصطحب الصبيين إلى متحف العلوم، ولن يعودوا قبل وقت طويل، حسناً، لنقم بنزهة قصيرة، ونزور محلات هالفا لتناول بعض الحلويات اللذيذة، ثم يمكنك أن تخبريني بالضبط بما تريدينه"، ابتسمت ابتسامة خفيفة، وأضفت قائلة: "ولماذا لا تريدین إخبار والدك بما تتوين أن تقومي به".

أقفلت الباب الأمامي بإحكام، واتّجهت بصحبة الفتاتين إلى الشارع، فالشقة تقع قبالة طريق نورث إند مباشرةً في أحد الشوارع الفرعية العديدة في فولهام، والتي تكتظّ بالسيارات المركونة على جانبي الطريق، وهو أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت أندي لا يحضر سيارته الرباعية الدفع إلى لندن. عندما فتحت جارتنا بابها لإخراج كيس القمامة في أثناء مرورنا أمام بوابة منزلها، وهي امرأة لطيفة في السبعينات من عمرها، ناشدت الفتاتين الانتظار حتى أرمي كيس القمامة عوضاً عنها، فابتسمت لي وأنا أحمل الكيس الذي يصدر أصوات قرقعة، فقلت لها: "يبدو أنك كنت تقيمين احتفالاً، يا سيدة ماهوني".

ضحكت السيدة ماهوني، وقالت: "أوه، كفاك مزاحاً، يا كاز، إنها برطمانات مخلل إرني، وأنت تعلمين ما يبدو عليه حالها".

قلت لها: "إنني أعلم ذلك بالفعل".

كان إرني وإليز ماهوني أول من قابلتهما عندما اشترت شقتي قبل ثماني سنوات، إلا أن الشارع الذي تقع فيه كان من دون شك من أسوأ شوارع المنطقة في ذلك الوقت، فقد سُرقت شقتي ثلاث مرات في السنة الأولى لإقامتي فيها قبل أن أفكر أخيراً بتركيب أقفال محكمة، وتثبيت جهاز إنذار. أفراد الطبقة العاملة مثل آل ماهوني، والذين عاشوا في هذا المكان منذ

أربعين عاماً، باتوا أقلية الآن.

شققنا طريقنا بين حشد من الناس يتزاحمون على طريق فولهام، ثم انضممنا إلى طابور الانتظار في هالفا، حيث فاجأتني بيلا بطلب قطعة من التشيزكيك، ففي العادة تأكل وجبة صغيرة مثل العصفور، كما طلبت تايلر شريحة ضخمة من كعكة الليمون، وربما حذت حذوها.

قلت لهما ونحن نجلس إلى إحدى الطاولات: حسناً، انطقا بما تريدان إخباري به، ما القصة؟".

قالت بيلا: "بالطبع، سترفضين ما سأطلبه".

فتحت علبة المُحلي، وأضفت منها إلى كوب الكابتشينو الخاص بي، وقلت لها: "لن تعرفي جوابي قبل أن تسألني، ولكن أخبريني أولاً، هل الموضوع غير قانوني؟ لأنني لن أشتري المخدرات من أجلك، لذا لا تحاولي طلب ذلك".

صرخت مستنكرة، وقد بدت الدهشة على وجهها: "لا علاقة لما سأطلبه بالمخدرات".

قلت: "لماذا لا تريدان أن يعلم والدك بالأمر؟".

قالت: "لأنه لن يوافق إن علم، كما سيجنّ جنون أُمي".

قلت: "وتتوقعين أنني لن أفعل؟".

قالت بيلا: "أنت أكثر ليونة من أهالي معظم الناس، وفي الواقع، أنت مجنونة بعض الشيء".

قلت بحدة، وأنا أخفي سعادتي بتلك المجاملة: "أفترض أن كلامك يعدّ مديحاً، كما أنك قد أثرت فضولي حول ما ستطليبه، هل تحتاجين إلى إذن شخص بالغ للقيام به؟ هل تريدان مني التوقيع على أوراق ما؟".

قالت تايلر: "إنها ليست بحاجة إلى إذن من أي شخص، خاصة وأنها في السادسة عشرة من عمرها الآن".

وتابعت بيلا كلامها بتحدٍ: "سأفعل ذلك على أي حال، ولا يمكنك منعي، إنه فقط..."، نظرت إلى تايلر، ثم نظرت إليّ. وقالت: "أفضل أن أعلمك به على أية حال، إن لم تمانعي طبعاً".

ارتشفت الكابتشينو، وأنا أفكر أكثر من أي وقت مضى، وبدأت أتذكر كيف يكون عليه الحال عندما يكون المرء في مرحلة المراهقة. فإذا كانت بيلا عازمةً على القيام بأي عمل، فستجد طريقة للقيام به، سواء أوافقت على تقديم المساعدة أم لم أوافق، ولكن وجود شخص بالغ قد يشعرها بالأمان في حال تدهورت الأحوال، فليست لديّ أي فكرة عما تخطّط له، ولكنني أفضل أن أبقى في الصورة على أن أتركها وحدها، كما أفضل أن أرافقها بدل تركها تنقاد وراء أفكارها السوداء، خاصة أن الأمر يبدو أنه سيزعج لويز للغاية.

**باتريك سيمون تاتشر**  
**الجزء الأول من المقابلة المسجلة**

التاريخ: 28- / 07 / 2020

المدة: 27- دقيقة.

الموقع: وكالة إعلانات وايتفיש

أجرى المقابلة: ضباط من شرطة ديفون وكورنوال  
(تابع)

الشرطي "حسناً، لقد عملت مع كلتا المرأتين".

ب.ت "نعم، فقد كانت كاز تعمل في وايتفיש عندما قابلت لويز منذ نحو خمس سنوات، ثم عيّنتها تينا لتتولى العلاقات العامة في يونيفيست".

الشرطي : "هل كنت على علم بتاريخهما الشخصي؟".

ب.ت "حسناً، نعم كنت أعرف أن كاز متزوجة من طليق لويز".

الشرطي : "هل تعلم أن أندرو بيج ترك زوجته الأولى من أجل كارولين بيج؟".

ب.ت "كارولين؟ أوه، تقصد كاز، نعم".

- الشرطي : "لكنك لم تعتقد أن عمل لويز بيچ في المكتب نفسه قد يتسبب في أي مشكلة؟".
- ب.ت "لويز مسالمة، ولا تتسبب في أية مشاكل، إنها في الواقع امرأة عاقلة ومنتزنة، وذكية جداً".
- الشرطي : "وماذا عن كارولين بيچ؟".
- ب.ت "اسمع، لقد حصل الطلاق منذ سنوات، وقد تجاوزته كلتاها على حدّ علمي".
- الشرطي : "عملت كارولين بيچ معك لمدة ثماني سنوات، هل هذا صحيح؟".
- ب.ت "نعم".
- الشرطي : "هل يمكنك أن تخبرني أي نوع من النساء هي؟".
- ب.ت "أي نوع من النساء؟!".
- الشرطي : "هل هي امرأة يمكن الوثوق بها؟ وهل هي محبوبة؟".
- ب.ت "إنها تُجيد القيام بعملها، وتنجزه بدقة، ولكن ذلك قد لا يجعلك مشهوراً، وذائع الصيت أحياناً".
- الشرطي : "هل هي متقلبة المزاج؟".
- ب.ت "إنها لا تتحمل الحمقى، كما لا أتحمّلهم أيضاً".
- الشرطي : "لقد فهمت أنك وجهت إليها تحذيراً شفهاً قبل أسبوعين، ما كان سبب ذلك؟".
- ب.ت "وقعت مشكلة في العمل، وتعثّر حظ كاز، ولكن ذلك لم يكن سبب تلقّيها التحذير، فقد ارتكبت خطأ أمام أحد العملاء، ولم يكن أمراً يمكن تخطّيه".
- الشرطي : "بيري، هل لديك...".
- الشرطي : "منذ قرابة أسبوعين، سيدي".

- الشرطي : "شكراً لك، أعتقد أنها ألفت باللوم على لويز بيج أليس كذلك، سيد تاتشر؟".
- ب.ت "نعم".
- الشرطي : "هل كان اتهامها يمتّ إلى الحقيقة بصلة؟".
- ب.ت "كما قلت لك، لويز ليست كذلك".
- الشرطي : "حسناً، هل تظنّ أن كارولين بيج اختلقت الأمر؟".
- ب.ت "أعتقد أن كاز ارتكبت خطأً، وهذا كل ما في الأمر".
- الشرطي : "ما مدى معرفتك بلويز بيج؟".
- ب.ت "يصمت للحظات) عادة لا أراها كثيراً، فهي تأتي إلى المكتب مرة واحدة في الأسبوع فقط، وتعمل باقي الأيام من المنزل".
- الشرطي : "هل تجمعكما علاقة صداقة، خارج إطار العمل؟".
- ب.ت "كلا".
- الشرطي : "هل كنت علم أن لها سجلاً جنائياً سيد تاتشر؟".
- ب.ت "يصمت قليلاً) لا، لم أكن أعلم بذلك".
- الشرطي : "ألم تخبر أحداً بسجلها عندما وظفتها؟".
- ب.ت "من الناحية الفنية، لم تعمل لديّ، بل كانت تعمل لدى تينا ماردوخ".
- الشرطي : "هل تقول...".
- ب.ت : "انتظر قليلاً، هل أنت متأكد من أنك لم ترتكب أي خطأ؟ أنت تتحدّث عن لويز وليس كاز؟".
- الشرطي : "نعم، سيدي".
- ب.ت "لا أستطيع تصديق ذلك، لا تبدو أنها امرأة يمكن أن يكون لديها سجل جنائي؟".
- الشرطي : "لقد أدبنت لخرق أمر تقييدي ضد رجل يدعى روجر لويسون،



وقدّمت ادعاءات كاذبة أدت إلى إفساد مسار التحقيق، وتشتيت العدالة".

ب.ت "هل أنت جاد؟".

الشرطي : "سيد تاتشر، لو علمت بهذه المعلومات، هل كنت ستسمح للوزير وكارولين بيج بالعمل في المكتب نفسه؟".

مكتبة  
t.me/soramnqraa

## الفصل 20

### لويز

انتظرت يوم الأحد، وهو اليوم الذي يكون فيه تولي وبيلا في لندن مع والدهما، قبل أن أحزم أغراضنا المبعثرة في منزل أندرو وكاز، ومع أن ترميم المطبخ لم ينته، وهذا يعني أننا سنضطرّ إلى أن نقسو على أنفسنا قليلاً، ونتحمّل ذلك الوضع، إلا أن تولي لن يمانع مغادرتنا هذا المكان، ولكن بيلا لن يسعدها ذلك الأمر أبداً، فهي تحبّ البقاء في منزل والدها الذي يقع في وسط المدينة، ما يسهّل عليها اللقاء بأصدقائها، كما تستطيع النوم نصف ساعة إضافية لأنها قريبة من المدرسة، وسوف تغضب للغاية عندما تكتشف أننا سنعود إلى منزلنا.

ذهلت عندما سمعت صوت الباب الأمامي يُفتح، بينما كنت أجمع كمية هائلة من شواحن الهاتف في كيس بلاستيكي في المطبخ.

قال أندرو معتذراً: "أعتذر عن عودتنا المفاجئة، فأنت لم تتوقّعي عودتنا قبل حلول المساء، وكنت أودّ الاتصال بك وإبلاغك بعودتنا، ولكن تولي...". أجهدت تولي بالبكاء ودفع والده، وانطلق كالسهم في اتجاهي، وارتمى بين أحضانني، وقد طوّق رقبتى بذراعيه، وقال بصوت مرتعش: "مامي! لقد عدنا إلى المنزل! هل فاجأناك؟ لا أريدك أن تشتاقي إلينا بعد الآن".

يبلغ تولي الرابعة من عمره، وفي مثل هذه السن يُعتبر قضاء ليلة واحدة بعيداً عن الأم فترة طويلة، ففي معظم الأوقات يقضي تولي عطلات نهاية الأسبوع مع والده وكاز من دون أي تردد، ولكنه في بعض الأحيان يشعر

بالحنين إلى المنزل، وأندرو متفهم بما يكفي ليتولى زمام المبادرة وتوجيه ابنه عندما يحدث ذلك، وأنا ممتنة له.

قلت له، وأنا أحتضنه بقوة: "أشكرك على عودتك إلى المنزل باكرًا، فقد افتقدتك بشدة، حتى إنني بالكاد استطعت أن أغفو الليلة الماضية، مع أنني أعلم أنك كنت تستمتع برفقة والدك".

قال لي، وهو يتعد عني فجأة، بعد أن شعر بالارتياح لعودته: "سأذهب للعثور على باغبس". ليت الأمومة كانت دائماً بهذه السهولة، قلت له: "أعتقد أنه اشتاق إليك أيضاً".

قالت بيلا: "باغبس! حمداً لله، لقد ذكرني تولي. كنت أشعر بأنني نسيت شيئاً ما".

كادت تصطدم بشقيقها، وهو يندفع بقوة إلى الغرفة، ثم سألتني: "لماذا تضعين أمتعتنا في القاعة؟ ما الذي جرى؟".

قلت لها بحزم: "لقد كان والدك وكاز في غاية اللطف عندما استضافانا في منزلهما، وسمحا لنا بالبقاء فيه، ولكننا فرضنا أنفسنا عليهما بما يكفي، يجب علينا العودة إلى منزلنا، مع أن الأمر سيكون أشبه بالتخيم إلى أن ينتهي ترميم المطبخ، ولكن...".

قاطعتني بيلا قائلة: "لا أريد العودة إلى المنزل، فأنا أحب الإقامة في هذا المكان، هل يمكنني البقاء، يا أبي؟ وسأكون بخير وحدي، أعدك بذلك، كما أنه أقرب إلى المدرسة، يمكنني أن أستقل الحافلة للوصول إليها...".

قلت لها: "لا تزالين في السادسة عشرة! ولا يمكنك أن تقيمي وحدك في هذا المنزل".

قالت: "أبي...".

هز أندرو كتفيه قائلاً: "آسف يا بيلا، أنا أؤيد كلام والدتك في هذه المسألة".

تدخلت بحدة: "بيلا، ما الذي تضعينه في فمك؟".  
بدأت متوترة للحظة، ثم رفعت ذقنها بثقة، وقالت لي: "لقد ثقت لسانني".  
حدّقت إليها مذهولة، وقلت لها: "ماذا فعلت؟".  
أجابتنني بيلا بتحدٍ وقد تأثر نطقها بالحروف قليلاً بسبب الحلقة في لسانها: "إنه جسدي، ولديّ الحق في أن أفعل ما أريده به".  
بدأ واضحاً أن أندرو كان مصدوماً مثلي، وقد دمعت عيناه، وهو يقول:  
"ما زلت طفلة!".

حدّقت إلينا، وشفتها مزمومتان بإحكام، كما لو أننا قد نخرج الحلقة المعلقة بالثقب من فمها بالقوة، إلا أنني لاحظت أن أندرو يفكر في القيام بذلك من خلال التعبير المرتسم على وجهه، ثم تساءلت: متى تحوّلت طفلتنا اللطيفة إلى هذه الفتاة الغريبة الأطوار، والمتجهمّة الوجه والمشاكسة؟  
قال أندرو، وهو لا حول له ولا قوة: "لا بد أنها فعلت ذلك بالأمس، أنا أسف جداً يا لو، لم أعلم بأنها تسلّلت من المنزل للقيام بذلك".  
انبعث صوت كاز من خلفنا، قالت: "في الواقع لم تسلّل من المنزل إلى أي مكان وحدها، بل أنا من رافقتها".

انضمّت كاز إلينا في المطبخ، وقد ألقت بحقيبة برادا الكريمية الباهظة الثمن الخاصة بها على المنضدة، كما لو كانت حقيبة حمل من سانسبوري.  
سألها أندرو بصراحة: "بالله عليك، لماذا رافقت ابنتي لتثقب لسانها؟".  
قالت كاز: "إنها تبلغ السادسة عشرة، وما فعلته قانوني، كما أنها كانت تنوي القيام به على أي حال، لذلك اعتقدت أنه سيكون من الأفضل أن أتأكد من ذهابها إلى مكان معروف وسمعته حسنة، وتستخدم فيه إبر نظيفة، فهي لم ترسم وشماً، كما أنه ليس دائماً، فيمكنها نزع القرط ساعة تشاء".  
قالت بيلا بحدة: "هذا ليس خطأ كاز، وهي مُحققة، فقد كنت سأفعل ذلك على أي حال".

تبادلنا نظرات التواطؤ، ومع أن بيلا اعتادت أن تكره كاز، لكنهما أصبحتا فجأة حليفين، بينما أصبحت عدوتها.

خاطب أندرو كاز بحزم: "ما كان يجدر بك القيام بذلك. إنها ابنتي، وعندما تقيم في منزلي يعود الأمر إليّ في اتخاذ أي قرار بشأنها".

لاحظت التوتر المفاجئ الذي ساد بينهما، فالمشكلة تتجاوز مجرد ثقب لسان. أعرف كيف يبدو أندرو عندما يكون في موقف دفاعي، فقد ارتكبت كاز خطأ جسيماً، وهو لا يحب ارتكاب مثل تلك الأخطاء، وسيجد طريقة لإلقاء اللوم عليها، وإذا كان عليّ أن أخمن، فسأقول إنها شاهدت مقطع الفيديو الذي نشرته بيلا عبر صفحة والدها الأسبوع الماضي، إلا أنها لم تقصد من خلال نشره أي سوء، وربما ظهر المقطع على صفحتها عبر الفيسبوك، بعد أن شاركها إياه، ولكنني سأعترف بأن دوافعي لم تكن صافية تماماً ما إن رأيته، وقد أشرت إلى كاز التي قد ترغب في إعادة كتابة التاريخ، وإقناع نفسها بأن أندرو لم يحبني أبداً، ولكنه فعل، وهذا الفيديو يثبت صحة كلامي، وكل ما وقع بيننا من مشاكل، يمكن ربطه بظهور تلك المرأة في حياتنا، وهي تستحق أن تُذكر بذلك مراراً وتكراراً.

فجأة عاد تولي إلى المطبخ، وقد أفزعنا جميعاً، فقد كان يبكي، وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وهو يقول: "لقد تقيتاً باغبس! لقد تقيتاً على سرير أبي!".

صاحت كاز: "هل تقيتاً على بطانيتي؟ إنها من بيروفين فيكونيا!"  
جمد ابني في مكانه، وقد بدا فجأة متوتراً ومضطرباً، فقلت له من دون تردد: "لا بأس، إنها ليست غلطتك، وكاز لا تلومك على ما فعله."  
"شكراً لك على إخبارنا".

سألني بيلا: "هل وضعت له التونة، يا أمي؟".  
ترددت قليلاً، وأنا أقول لها: "لقد وضعت له القليل فقط، فهو يحب أن

يلعق القصدير".

أمي! أنتِ تعلمين بأن ذلك يجعله يتوَعَك".

تمتت كاز قائلة: "أعتقد أنها لهذا السبب، وضعته له"، تنهَّد أندرو، وقال: "بيلا، هل يمكنك الذهاب إلى غرفة النوم، وإصلاح ما ألحقه باغبس من ضرر".

"خذي كيت وتولي لمساعدتك".

كانت بيلا على وشك أن تحتج على ما طلبه أندرو، ولكن ملامح والدها أبلغتها بأنه ليس الوقت المناسب للمناقشة، فتنهَّدت بعمق، وهي تلتقط لفافة مناديل المطبخ عن المنضدة، ثم اتَّجَهت إلى الطابق العلوي برفقة الولدين. قلت لها: "سأنظف البطانية، ولكنني لست آسفة. عليك بأن تدعيها تجف، وأنا متأكدة من أنها ليست بالسوء الذي تبدو عليه، أو يمكنني أن أحضر لك بطانية جديدة...".

قالت كاز بحدة: "لا يمكنك تنظيف فيكونيا تنظيفاً جافاً، كما لا يمكن الاستغناء عنها، فقد اشتريتها عندما كنت في ماتشو بيتشو، ولكن ما الذي يفعله هذا القط في منزلي؟ أنت تعلمين بأني أعاني من الحساسية، وقد طلبت منك ألا تحضره".

سألت أندرو إن كان يسمح لي بإحضار باغبس، فقال إنه لا يمانع، ومن الواضح أن ذلك لم تتم الموافقة عليه من أعلى السلسلة الغذائية. لقد لفت انتباهي مناشدته الصامتة ألا آخذه معنا، فقلت، وقد تجهزت لتحمل اللوم: "أنا أعتذر، فلم أكن أعلم كيف يجب أن أتعامل معه؛ فهو كبير في السن، ولم يتفق مع كلب والدتي، كما أن أولاد مين صاخبون جداً...".

قاطعتني كاز قائلة: "لم يعد مهماً ما تقولينه الآن، فقد انتهى الأمر، بما أنك ستغادرين المنزل على أي حال"، التقط أندرو الإشارات متأخراً، وقال: "لويز، ليس الأمر أننا لم نسعد بتقديم المساعدة إليك، الأمر فقط، أنني

أعتقد أننا جميعاً بحاجة إلى بعض المسافة للمضي قدماً، ثم سعل ومزّر يديه على فخذه بطريقة غريبة، وتابع قائلاً: "لست متأكداً من أن تولّي الوظيفة في وايتفיש كانت فكرة سيّدة، ولأكون صريحاً، أنا أؤيد بقاءنا متحضرين، ولكنك وضعت كاز في موقف محرج بعض الشيء، وأصبح من الصعب عليها أن تؤدي وظيفتها بشكل متقن حالياً، فعندما تكون العلاقة الشخصية بينكما متوترة"، نظر إليها، ثم نظر إليّ مجدداً، محاولاً بوضوح تذكّر النص الذي لقنته إياه: "نحتاج جميعاً إلى مساحة صغيرة حتى لا تقع المشاكل، وأستطيع... آه... إعطائك رقم العامل الماهر لدينا، حتى إنك لست مضطرة إلى الاتصال بي، وأعتقد أن بيلا أصبحت كبيرة بما يكفي لكي تُحضر أخاها في عطلات نهاية الأسبوع من دون أن تضطريّ إلى المجيء.

تلوّن خدائي من شدة الإحراج. إن الطريقة التي يرسم بها المشهد، تجعلني أبدو يائسة ومحتاجة إلى مساعدتهما، وأني أَدْخُلُ رغماً عنهما في حياتهما، وأني طليقة يائسة وغير محبوبة، ولا أستطيع المضي قدماً في حياتها. لماذا عندما يهجر رجل امرأة توصم بالمرفوضة بغض النظر عن مدى نجاحها أو جاذبيتها، وهو أمر يدعو إلى الشفقة ليس لشيء إلا لأن رجلاً ضعيفاً لا يستطيع إبقاء بنطاله مرفوعاً؟

استحضرت قدر ما أستطيع من الكرامة، وقلت لأندرو، وأنا ابتسم لكاز: "أخشى أنني لا أستطيع أن أخذل كريس، يا أندرو، خاصة أنني تولّيت الوظيفة، وأنا متأكدة من أنه في إمكاننا تسيير أمور العمل معاً".

قالت كاز ساخرة: "أنا متأكدة من أننا نستطيع فعل ذلك، وبالأخص بعد أن فهمنا بعضنا تماماً".





ثلاثة أسابيع قبل الحفل



## الفصل 21

### كاز

إن زيارة والدتي تمرّ بمرحلتين، فهي تنتظر أحياناً رؤيتي بفارغ الصبر، فتقفز من الحماسة والفرح من كرسيتها لحظة دخولي، ثم تنهال عليّ بالأسئلة حتى قبل أن أخلع معطفي، وأبدأ بمشاركتها النميمة حول حيننا وما حصل خلال الأسابيع التي انقطعت فيها عن زيارتها، ولكنها في أحيان أخرى تكون في أسوأ حالاتها، فهي لا تزال تعتقد أنها في عام 2006، وأن عمري لا يزال خمسة عشر عاماً، وهي تسألني عن حال يومي في المدرسة، وتضايقني بشأن الصبي الذي يجلس بجواري في صف الرياضيات، وفي المقابل لا فكرة لديها عن أندي، أو حفيدها كيت. وإذا حاولت إخبارها بالحقيقة، تشعر بالضيق، وتتشوّش أفكارها، وقد تعلّمت بأنه من الأسهل التكيّف مع هذا الواقع، لأنها على الأقل سعيدة في المكان الذي تعزل نفسها فيه.

تمرّ أيامٌ تعرف فيها بالضبط من أكون، وتلك هي الأيام التي ترفض فيها أن ترخّب بي، وتبتعد عندي عندما أنحني لتقبيلها، ولا أعرف أيهما أسوأ، أهو الخيال المر المتعلّق بعالمها قبل وقوع الحادث، أم أنه الواقع القاسي الذي تحبس نفسها فيه، وقد كبتتها مشاعر الاستياء والتجهم والشفقة على الذات. هذا هو الوضع اليوم؛ إنها تجلس بجوار النافذة، وتحّدق إلى مرأب

السيارات في الأسفل، عندما دخلت الغرفة

لم تعترف بوجودي. كانت تجلس على كرسي متحرك، رغم أنها تستطيع المشي بشكل طبيعي، لقد أثر الحادث على توازنها، ولكن حركتها لا تزال

شبه طبيعية، وبخلاف ذلك يقوم المنظّمون في دار الرعاية بتدليلها وتلبية طلباتها لأن ذلك يجعل حياتهم أسهل.

أقيت بحقيتي على طاولة القهوة وقلت لها: "مرحباً أُمي، كيف حالك اليوم؟".

لم أتوقّع أن أتلقّى جواباً، وأنا لست متفاجئةً إطلاقاً، فوالدتي لديها القليل من الأصدقاء، ولكنها لا تفتقد الرفقة، بل إن ما تفتقد إليه هو وجود من تتشاجر معه، وعندما لا يهتمّ أحد بما توذّ أن تحصل عليه، يستحيل أن تختلف معه، وهي تتجاهلني لأنني الوحيدة التي سألاحظ ذلك.

توجّهت إلى المطبخ الصغير في زاوية غرفتها، وشغلت غلاية المياه، على الرغم من أنني أعلم أنها سترفض شرب أي مشروب أصنعه من حيث المبدأ، فقلت لها، وأنا أخرج كوبيين من دون انتظار جوابها: "أتشربين الشاي. يا أُمي؟ لقد أحضرت بعض الشوكولاتة التي يسهل هضمها هذه المرة، كما طلبت في المرة السابقة".

استدعى كلامي ردّها في النهاية، فقالت من دون أن تلتفت إليّ: "أنا لا أحبّ الشوكولاتة".

قلت لها: "في المرة السابقة التي زرتك فيها قلت إنك تريدين الشوكولاتة". قالت لي: "لقد أحضرت شوكولاتة ممزوجة بالحليب، وقد طلبت منك إحضار شوكولاتة سادة".

فقلت لها من دون أن أنزعج من كلامها: "أعتذر، سأجلبها لك في المرة القادمة سادة".

صنعت كوبيين من الشاي الخفيف بالطريقة التي تحبّها بالضبط، ووضعت أحدهما على الطاولة بجانبها، ثم أدّرت كرسيها المتحرك في اتجاهي بعيداً عن النافذة، فقالت مستهزئة، وهي تنظر إلى الكوب، بينما كنت أجلس على المقعد: "ماذا تسمين هذا الشراب؟ انظري إلى لونه، إنه خفيف جداً".

قلت لها: "يمكنني أن أعد لك كوباً آخر".

قالت: "لا عليك، فلن تبقي طويلاً بما يكفي لأتمكن من احتسائه".

قلت لها: "هل توذّين أن أبقى لفترة أطول؟".

نظرت إليّ بحدة، فالقواعد غير المعلنة في لعبتنا، تعني أنها لا تستطيع الاعتراف بأنها تريدني أن أبقى برفقتها، ولكن إذا رفضت، فلن تستطيع الشكوى من مغادرتي في نهاية الساعة المعتادة المخصصة للزيارة، ما جعلها تضيق عينها لأنها تقرّ بالأمر، وهو أول انتصار أحققه، قلت لها وأنا أشرب: "لقد حصلت طليقة أندي للتو على وظيفة في وايتفيس، وهي تعمل على أحد حساباتي".

أشرق وجه أمي، وارتسمت ملامح بهجة سادية، وقالت: "أوه، أراهن أن ذلك وضع القط أمام الحمامات".

تممت، وأنا ما زلت أتألم بشأن ما أصاب بطانيتي: "لا تتحدّثي إليّ عن القطط، فقد تبين أن مديرتي في الحساب الجديد هي صديقة لوزير المفضلة، وقد حاولت أن تطردني، منذ سنوات عندما التقيت بأندي للمرة الأولى، إنها مسألة وقت فقط قبل أن تجرؤ على المحاولة من جديد".

قالت أمي وقد بدت راضية: "هل ربّبت سيريك؟".

قلت لها: "نعم، وأظنّ أن ذلك يسرّك".

قالت لي: "الرجال المتزوجون ليسوا لعبة يسهل التعامل معها، كما لا يمكن أن يُنصفوا زوجاتهم، يا كارول، لقد أخبرتك بذلك عندما قابلته".

قلت لها بانفعال شديد، وقد ارتفعت نبرة صوتي: "لا تناديني كارول".

قالت مستغربة: "لمّ لا؟ فهو اسمك".

قلت لها بحدة: "لم يعد اسمي بعد الآن".

لقد وقع أندي في حب كارولين، من رأسها بقرطها المصنوعين من اللؤلؤ إلى أخمص قدميها، وليس لديه فكرة ممن تنحدر حقاً تلك الفتاة التي

تنتمي إلى تشيلسي، وما كان يتحتم عليها فعلة للوصول إلى المكانة التي وصلت إليها. فقد حصلت بخلاف لويز على مكانتي بمجهودي الخاص، فعملت في وظيفتين لأتابع دراستي في الجامعة، ولم أدرس إدارة الأعمال والتسويق فقط، بل درست نمط حياة الطلاب الواثقين بأنفسهم من حولي، وطريقة حديثهم وأساليب تناولهم الطعام، كما تعلمت أن أقول منديلاً بدلاً من محرمة، ودورة المياه بدلاً من المرحاض، مثل إليزا دوليتل في اليوم الأخير، وتحذثت إلى الآخرين كما لو كان فمي مرصعاً بالجواهر الثمينة، وفي الوقت الذي تخرّجت فيه، كانت كارول قد ماتت، ودُفنت في أعماق ستائرها الشبكية ولوحاتها التذكارية الملكية، وهذه هي الطريقة التي ستسير على أساسها مجريات الأمور.

أخذت أمي بسكويت الشوكولا بالحليب الذي لا تحبّ طعمه، فتظاهرت بأنني لم ألاحظها، ثم قالت لي: "من الصعب أن تحافظي على زوجك، تماماً مثل والدك، لأن الأزواج جميعهم سيغادرون في نهاية المطاف". قلت لها: "أبي لم يغادرنا، بل مات".

قالت لي ساخرة: "أقنعي نفسك بذلك، إن كان يجعلك تشعرين بتحسّن". تنهّدت بعمق، وفكرت في أن أمي عندما تكون على طبيعتها بشكل أو بآخر، تظلّ لديها زلات عرضية في عالم موازٍ، وأنها تعاني من نسيان التفاصيل والشعور بالارتباك، وغالباً ما تصرّ أن أبي هرب مع امرأة أخرى، وأعتقد أنها تتقبّل ذلك أكثر من تقبّل حقيقة موته، لأن هروبه يعني أنه لا يزال على قيد الحياة، وأن فرصة عودته كبيرة.

قلت لها: "أندي لن يتركني، يا أمي، إلا أنه يشعر بالذنب تجاه ولديه، وهذا كل ما في الأمر".

قالت وهي تبتسم باستهزاء: "حسناً، أيعني ذلك أنك لستِ قلقةً من أن يعود إليها؟".

ما فعله كان مجرد غلطة طائشة، ولكنه سيعود أدراجه دوماً، قلت لها باختصار: "لا".

قالت: "أتعتقدين أنك تغلّبت عليها؟".

قلت: "إنها ليست مسألة تغلّب...".

قاطعت كلامي قائلة: "أليست تلك المسألة حقاً؟ يبدو لي أن هذا ما كان عليه الأمر دائماً".

في بعض الأحيان تغضب أُمي بسرعة، ولكنها ليست غبية أبداً، قالت فجأة وعيناها مثبتتان على عيني: "أنت تخوضين معركة حتى الموت، وأنت بحاجة إلى خلع قفازيك، كارول، وأخذ عدة القتال لمواجهة، فأندي لك الآن، وعليك أن تذكّريها بتلك الحقيقة".

ارتجفت مفاصلي وأنا أكرّر كلامها، معركة حتى الموت، هذا كلام هراء بالطبع، إنها تنحرف عن صوابها، وتعود إلى حالة الجنون، وأنا أتعرف إلى العلامات الدالة على ذلك، ولكن تعليقها أثار غضبي على الرغم من ذلك، فهناك دائماً مرحلة الظل بين فترتي وضوح الرؤية والخيال الضبابي بالنسبة إلى أُمي، حيث يبدو الأمر كما لو أن لديها ما يشبه الحاسة السادسة. كنت منهمكة في مشاكل لويز، بعد أن أقحمت تلك المرأة نفسها في حياتي، وشقّت طريقها إلى منزلي ومركز عملي، لأنني من سمح لها بالاستحواذ على تفكيري.

إننا جميعاً نحاول تصديق حقيقة أن أُمي تعرّضت لحادث فظيع، ولكن الواقع أنها حاولت الانتحار بعد أربع سنوات من وفاة والدي، وأتذكّرها وأنا طفلة صغيرة، كم كانت جميلة وذكية ومرحة، وهي من النساء اللواتي يجعلنك تخرج الحليب من أنفك من شدة الضحك، ولكن بعد موت والدي ماتت روحها وفقدت حيويتها، ولم أكن أدرك أنني كنت أحبس أنفاسي في انتظار أن أشهد حدثاً فظيلاً كهذا، حتى حلول اليوم الذي عدت فيه إلى المنزل من المدرسة بعد مرور عيد ميلادي الخامس عشر بوقت قصير، وقد وجدتها

معلقة على الدرايزين في القاعة.

لم أكن قوية بما يكفي لقطع الحبل، وبدلاً من ذلك أسندت قدميها إلى كرسي المطبخ، واتصلت برقم الطوارئ 999، ثم حاولت فكّ ربطة عنق والدي، التي تحيط بعنقها، وأنا على ثقة من أن الأوان قد فات، وأنها ماتت. كان لون وجهها أرجوانياً، وقد تلطّخت عيناها بالدماء التي تقطّرت من رأسها، وقد برز لسانها من بين شفثيها الزرقاوين، لم أعلم أنها لا تزال حية، حتى أنزلها المسعفون، وبدأوا بالإنعاش القلبي الرئوي.

مكثت في المستشفى أربعة أشهر، وفي الأسبوع الأول وُضعت في العناية المركزة، وهي في غيبوبة كاملة، وبعد ذلك نُقلت إلى جناح الأمراض النفسية، بينما وُضعت في أحد دور الرعاية، ثم تكفّلت بالاهتمام بي إحدى العائلات، وعاملتني بلطف تام، ولكنها لم تكن تهتمّ بي اهتماماً كبيراً، بخلاف مبلغ الشيك الكبير الذي تلقّوه مقابل رعايتي وتوفير احتياجاتي. في النهاية أطلق سراح أمي، فسمحوا لي بالعودة إلى المنزل، ولكن مكتب الخدمات الاجتماعية ظل يراقب وضع والدتي، وبالطبع كانت حالتها الجسدية بخير، إلا أنها عاشت على مضادات الاكتئاب، وواظبت على زيارة طبيب نفسي مرة في الأسبوع طيلة أشهر، فبدت كل الأمور شبه طبيعية، إلا أنها لم تكن أسوأ من عائلات أخرى تعاني من خسارة أحد الأبوين ومن خلل وظيفي قد يكون مدمراً.

بدأت ترتكب هفوات صغيرة، ثم ظهرت مشاكل الذاكرة بعد عام تقريباً. في البداية لم أعر الأمر اهتماماً كبيراً، إذ كانت تنسى التفاصيل الصغيرة، وتتحدّث عن الأحداث التي جرت منذ عدة سنوات، كما لو كانت في الأسبوع الماضي، وهذا النوع من النسيان لم يكن يشكّل مشكلة خطيرة في ذلك الوقت، فانهمكت في حياتي إلى درجة أنني لم ألاحظ خطورة مرضها حقاً. لكن عندما عدت من بريستول في نهاية الفصل الدراسي الجامعي الأول،



اعتقدت أُمِّي أنني لا أزال أتابع دراستي للحصول على شهادة الثانوية العامة. لم يتمكن الأطباء من تشخيص مرضها بدقة بعد أسابيع من إجراء الفحوصات والاختبارات، ولكنهم توقعوا أنها تعاني من التلف الدماغى نتيجة محاولتها الانتحار، فى كلتا الحالتين لم تستطع العيش بمفردها، لذلك بعث المنزل، وعثرت على دار رعاية يمكنها أن تتحمل الإقامة فيه، وفى سن الثامنة عشرة، أصبحت وحيدة.

أمسكت بيدي فجأة، وقد غرزت أظافرها فى جلدي، وهى تقول: "إننى أراها فىك، وأنا أرى حقيقة ما أنت عليه".  
حاولت الابتعاد عنها، ولكنها كانت أقوى مما تبدو.  
سألته متأففة: "ماذا ترين يا أُمِّي؟".  
قالت لى: "أرى نفسى، إننى أرى نفسى".

## الفصل 22

### لويز

كنت أعلم أن كاز ستنتقم مني لأنني أقمت في منزلها، وأنه لن يمضي وقت طويل قبل أن تقدم على التخطيط لحركتها التالية، ولكن ما يثير دهشتي كان استغلالها أندرو، لتوجه إليّ الضربة القاضية.

عندما استلمت الرسالة المرسلة إليّ من كاتب العدل، اتّصلت بأندرو في مركز عمله وسألته: "هل ستقاضيني في المحكمة من جديد؟ أنت تعلم أن ما أحصل عليه، بالكاد يمكنني من توفير الاحتياجات الضرورية".

أجابني أندرو ببرود: "أنت تكسبين في وايتفיש ثلاثة أضعاف ما كنت تكسبينه من عملك في الجامعة، وقد وقّعت عقداً استشارياً، وأقمت في المنزل أكثر مما أقامت فيه كاز، ومن المنصف أن نأخذ بعين الاعتبار إعالتك الولدين ودعمك لهما".

قلت له: "لست بحاجة إلى رفع دعوى في المحكمة، فيمكننا التحدث بخصوص ذلك، والوصول إلى بعض...".

قاطعني أندرو غاضباً: "كاز مستاءة جداً، وبما أنك تعقبتها بهذا الشكل، فلا يحقّ لك التذمر من العواقب".

الآن بات الأمر جدياً، فأندرو مستعدّ لملاحقتي قضائياً، وهذا لا يعني أنني سأخبر كاز بما حصل في تلك الليلة العاصفة، أو أنني أريده أن يظلّ مع كاز، لأنني لا أستطيع إثبات ذلك، فهو بارع في الكذب، كما أنه يراهن على لباقتي وأخلاقياتي في ألاّ أتسبّب في وقوع المشاكل بينهما، ولكن هنالك حد

لتحملي هذه المعاملة السيئة والقبول بالعقاب الذي فرض عليّ.

إذا كنت سأتولّى هذا العمل في وايتفيش، فسأؤدّيه وفقاً لشروطي، وإذا أردت التغلب على كاز في لعبتها القذرة، فلن يجدي الاختباء في مكتب كريس نفعاً عندما أذهب إلى لندن.

صاحت كريس عندما طلبت منها تنظيم تلك المسألة: "هل تريد الحصول على مكتب في وايتفيش؟ لقد ظننت أنك لا تودّين أن تكوني بالقرب من كاز؟".

غمغمتُ قائلة: "أبقى أصدقاءك قريبين، وأعداءك أقرب إليك، فأنا أريد أن أراقبها عن كثب، وأتأكد من أنها لن تفسد أعمالك، لمجرد أنها تريد إزعاجي". لم أحصل على مكتب منفرد، ولكن في المقابل حصلت على مكتب في أحد طوابق المبنى ذي التصميم المفتوح.

اكتشاف الخفايا والقصة الحقيقية وراء العناوين الرئيسية والظواهر هو ما أفعله تبعاً لطبيعة عملي، وسرعان ما اكتشفت ذكاء كاز وبراعتها في أداء عملها، وقدرتها الكبيرة على التعامل مع الزبائن، ولكنها كانت مديرة سيئة للغاية، فهي تزعج الناس بتسلّطها ومعاملتها الفظة، والأشخاص المبدعون لا يميلون إلى العمل معها، كما أن أي. جي كان يأتمر بأوامرها، وينظّم الفوضى التي تسببها، فيعمل على تهدئة الأجواء، وتصحيح أخطائها عبر استغلال سحره وروعته في سبيل ضمان الالتزام بكل تعليماتها، وتنفيذ أوامرها في وقتها المحدد، وتلبية كل رغباتها، ومن دونه كانت ستفشل وتتهار من دون شك.

أستطيع استغلال هذا الأمر إن اضطررت إلى فعل ذلك، ولكن عليّ أخذ الحيطة والحذر والاحتراس منها. لا أريد أن تصل الأمور إلى هذا الحدّ، في الواقع لقد تعبت من هذا الكلام الهراء المتبادل، ولا أستطيع تحمل تكاليف رفع دعوى إلى المحكمة، تكلف آلاف الجنيهات، وأنا أجنبي أكثر بقليل عن الحدّ الأدنى الذي يسمح بالتأهل للحصول على المساعدة القضائية، وسينتهي

بي الأمر إلى تسديد المزيد من الديون المترتبة عليّ، ما لم يتراجع أندرو عن قراره. كانت الغاية من حصولي على عمل في وايتفיש دفع كاز إلى التفكير مرتين قبل العبث بحياتي وبمصدر دخلي، وبدلاً من ذلك ها هي تبدأ مجدداً رافعة الرهان، ما دفعني حقاً إلى التساؤل عما ستؤول إليه الأمور في نهاية المطاف.

اصطحبت الولدين من المدرسة، وأنا أشعر بالإحباط والغضب، فكان تولي كعادته مشرقاً، ولكن بيلا لم تتحدّث إليّ أبداً عندما استقلت السيارة، فهي لا تزال متجهمة الوجه وغاضبة بسبب مسألة ثقب لسانها الفاشلة، وهي تلقي اللوم عليّ، على الرغم من أن أندرو هو من أجبرها على إزالة القرط، وقد بدت أكثر كآبة وهدوءاً وتكتماً على أخبارها هذا الأسبوع.

عندما وصلنا إلى المنزل دخلت عبر الممر منتظرة ترّجل بيلا من السيارة لتفتح باب المرأب، وفي كل مرة كنت أطلب منها القيام بفتحه كانت تتذمّر كالمعتاد وتشكو قائلة: "لم لا نحصل على باب كهربائي له؟".

فأجيبها بهدوء قائلة: "للسبب نفسه الذي أخبرتك به بالأمس، وسأخبرك به في الغد أيضاً".

انحنى تولي على مقعد السيارة إلى الأمام جاهداً، وهو يحاول فكّ حزامه قائلاً: "دعيني أفتحه! دعيني أفتحه!".

قلت له: "عزيزي، لا يمكنك الوصول إلى المقبض".

مشت بيلا بامتعاض وكسل في اتجاه المرأب، وفتحت بابه ببطء مقيت ومزعج، وفي تلك الأثناء كنت أحاول إخماد ثورة غضبي، ثم وقفت في وسط الطريق أمام السيارة حاجبة المسلك المؤدّي إلى المرأب، وذلك لتتفقّد هاتفها الجوال.

أخيراً عندما بدأت تتحرك بعيداً عن طريقي، أسقطت إحدى سماعتي الأذن التي تعمل بتقنية البلوتوث، وقد أهداها أندرو هذه الهدية الباهظة الثمن

على الرغم من كونها سخيقة ولا قيمة لها، واستغرق التقاطها عن الأرض وقتاً طويلاً، بينما كنت أحاول منع نفسي من الصراخ غضباً عبر تثبيت أصابعي على المقود، أخيراً ابتعدت بيلا من طريقي لأتمكّن من ركن السيارة، ثم ساعدتُ تولي للترجل منها، واستدرت حول المنزل.

كان علينا دخول المنزل من الباب الخلفي، لأن عمال البناء لا يزالون يعملون على ترميم المطبخ، وكانت السقالة ومنصة العمل الخاصة بهم تسدّ الردهة، ما يعيق دخولنا عبر الباب الأمامي، ويجب أن أعترف بأن غاري دوناهو يقوم بعملٍ متقن حقاً.

لم يعد القسم الأمامي من المنزل مائلاً ومتدلياً إلى الأمام، تماماً كالشخص الثمل، فقد بدا على هذا النحو منذ المرة الأولى التي عاينا فيها هذا المكان قبل شرائه.

قالت بيلا: "وجدت هذا القرط في الممر"، فدفعت قرطاً نحوي بوقاحة، ويبدو أنه من الحجر الأزرق الثمين، أو ربما من التوباز، أو من الزبرجد. سألتها وأنا ألقى بحقيقتي على طاولة المطبخ: "لمن يعود هذا القرط؟" بيلا: "إنه لكاز، فقد كانت تضعه الأسبوع الماضي، هل تستطيعين وضعه في مكان آمن إلى أن أتمكّن من إعادته إليها؟".

لويز: "وكيف وصل إلى ممر منزلنا؟". هزت بيلا كتفيها، وأعدت وضع سمعتي الأذن، وأضافت قائلة: "ربما وقع من سيارة أبي، لا تناديني لتناول طعام العشاء، فأنا لست جائعة". لويز: "بيلا...".

وضعت القرط باستياء في صحن الصابون على حافة النافذة، على الرغم من أن إلقائه في سلّة القمامة أغراني. كان يتحتّم عليّ أن أصل إلى أسفل الحوض في المطبخ لجلب طعام القطط، كما أحتاج إلى تحضير عشاء الأطفال مبكراً، بما أنني وعدت أمي بالذهاب لمساعدتها مع مين في

تحضيرات الحفل الذي سيقام بعد أقل من ثلاثة أسابيع.

كلما فكّرت في الأمر، أشعر بالحسرة، وقد تمنيت حقاً لو لم تدعُ أُمي أندرو وكاز، لأن هذا الاحتفال يفترض به أن يكون احتفالاً عائلياً، ولكن بدلاً من ذلك، سأضطرُّ إلى التعامل مع كاز وألعيها وخططها الخبيثة الماكرة، كما يبدو أنني لن أتحرّر منها في هذه الأيام.

شويتُ قطعتين من البرغر على شواية اللحم الموضوعة في الخارج، وأخذتُ واحدة لتولي الجالس في غرفة الجلوس، وكان يشاهد التلفاز. على الرغم من أنني لا أسمح عادة بتناول الطعام في أثناء مشاهدة التلفاز، إلا أنه شعر بالسرور، كما لو أنني قد أعطيته مفاتيح ديزني لاند.

غطيتُ عشاء بيلا، وتركته على طاولة الطعام في حال غيرت رأيها خلال غيابي عن المنزل. مكتبة .. سرٌّ من قرأ

صعدتُ إلى غرفتها لأعلمها بخروجي، فرأيتها متكورة في سريرها، وعلى الرغم من حقيقة أننا في شهر تموز ودرجة الحرارة قد بلغت 29 درجة مئوية، إلا أنها لفتت كتفيها ببطانية سميكة من الصوف.

قلت لها بلطف: "بيلا؟ هل أنت مستيقظة؟".

لم تردّ عليّ، ولكنني عرفت من أنفاسها اللاهثة أنها لا تزال مستيقظة. قلت لها: "سأذهب لفترة قصيرة لرؤية غري، اتصلي بي إن احتجت إلى أي شيء، وسأعود إلى المنزل قبل حلول الظلام".

لم تتحرّك بيلا أو تصدر صوتاً، فانحنيت نحوها، ومددتُ البطانية قليلاً، فشعرت بقلبي ينبض وقد اعتصره الضيق، فعلى الرغم من سوء تصرفاتها، وسلوك المراهقين الذي لا يطاق، إلا أنها تبقى ابنتي الصغيرة، والآن يبدو وجهها نقياً من دون المكياج الذي بدأت بوضعه، وجسدها النحيل يبدو ضعيفاً تحت البطانيات والوسائد، ولا تبدو أكبر بكثير من تولي.

عندما كنت أهمّ بالخروج من غرفتها، وصلت رسالة عبر هاتفها الموضوع

على المنضدة بجانب السرير، إنها رسالة من تايلر، فلم أستطع منع نفسي من قراءتها: "يجب أن تحسلي عليه، أنا بائسة".

وبما أنني أماً، فقد انتابني القلق بشدة، فما الذي يمكن أن تحتاج إليه هذه الفتاة بشكل عاجل وطارئ؟

قبل أن أتعمق في التفكير في المسألة، واصلتني رسالة من لوك: "هل لديك فكرة عما يحصل لوالدي؟".

أجبتة وأنا أنزل الدرج: "هل حصلت له مشكلة؟ لم تخبرني أمي بشيء"، نزلت الدرج مع أن الرسالة التي وصلت من تايلر ما زالت تستحوذ على تفكيرتي.

لوك: "قالت إنه متوَعك".

تنهَّدتُ قائلة: "أنا في طريقي إلى منزل أمي، وسأبقى على اتصال مستمر بك".

فكرتُ وأنا أركب السيارة في أن أمي التي أعرفها كانت ستخبرني بتوَعك والدي، ولكنها بدلاً من ذلك خلقتُ جوّاً من الدراما باتصالها بلوك، لأنها تعرف أن أول ما سيقوم به هو الاتصال بي لإبلاغي بتوَعكه.

يتجنّب أخي الانخراط في الأعياب أمي بطريقة لم أتمكن من فهمها تماماً حتى الآن، وهو يحذو حذو أبي في هدوئه وتواضعه، كما أنه ينسلّ عموماً من تحت رادار أمي، ويتهزّب منها، كما يظهر أنه في الكثير من الأحيان يكفي أن يُترك مع أجهزته معظم الوقت، وقد لاحظتُ مؤخراً بأنه يتبع السياسة ذاتها مع مين.

ناديتُ أمي، ما إن دخلت منزل والدي: "أمي، هل أنت في المنزل؟". استقبلني أبي ويده برقية مطوية، وقال متفاجئاً: "مرحباً محبوبي، ألسنتُ في العمل؟".

قلتُ له، وأنا أقبّل وجنته: "سأعمل اليوم من المنزل، يا أبي، هل أنت

بخير؟ أخبرتني أمي بأنك متوعدك قليلاً".

تذمّر أبي قائلاً: "هل اعتبرني متوعداً قليلاً؟ أهكذا أسمت المشكلة؟ إن ما تعنيه بذلك أنها لم تستطع بأسلوبها اللبق والمرن الحصول على فرقة موسيقية لإحياء الحفل".

أمعنتُ النظر إليه بدقة، فبدا طبيعياً كعادته، فهو طويل القامة ونحيل، ويتحلّى بالشجاعة والرشاقة مثل أي شخصٍ يافع، وتحيط أذنيه هالة جامحة من الزغب الأبيض، وهو يضع نظارة لها شكل نصف القمر من دون إطار سفلي بشكل دائم على طرف أنفه.

إنه يكبر أمي بعقدٍ من الزمن تقريباً، ولكن تحيط وجهه هالة من نضارة الشباب وحيويته، وهي لم تفارقه حتى بعد وفاة نيكبي.

لطالما اعتقدت أنه متجدّد الشباب والقوة، ولكنني أدرك أنه سيبلغ الثمانين من العمر في شهر نيسان المقبل، وهو يعيش حياته بسلاسة وخفة محتفظاً بروح الشباب، ولكن من في عمر الثمانين لا يُعتبر مسناً وفقاً لمعايير أي شخص.

قالت أمي، وهي تدخل من الباب الخلفي: "لقد سمعتُ تعليقك، برين"، بدا واضحاً من قصاصات الأعشاب العالقة بحدائثها أنها كانت تجرّ العشب، ولا أعلم كيف تمتلك الطاقة للعمل في هذا الجو الحار، خاصة وأن جراحة العشب التي لديها قديمة الطراز، ولا تقلّص من الجهد، كونها لا تعمل بواسطة البنزين.

أمي: "مرحباً لويز، لقد أحببت الفستان الذي ترتدينه، إنه يناسبك تماماً، بالأخص بعد أن ازداد وزنك".

لويز: "شكراً أمي، لا أستطيع مقاومة إغراء الطعام".

مدّت أمي يدها لتمسيد شعر أبي، وهي تقول: "بصراحة يا برين، انظر إلى حالك، تبدو في حالة يُرثى لها، وكأنك هويت من مكان عالٍ، وشعرك



يبدو أشعث.

ردّ أبي بهدوء: "لقد غفوتُ على الكرسي".

أمي: "أتغفو عند الظهيرة؟".

أجابها بهدوء، وهو يقلب البرقية التي يمسكها بيده، ثم يعيد طيها، وهو يمشي في اتجاه مكتبه: "تشرشل اعتاد أن يقسيم بالقيولة".

صاحت أمي بعد مغادرة أبي: "كان تشرشل يتولّى إدارة بلد، ويخوض حرباً، ويتصرّ فيها"، أضافت أمي، وهي تعطيني القشارة: "حسناً بما أنك هنا، لويز، ربما يمكنك مساعدتي بتقشير الجزر، وسيأتي لوك ومين مع الأولاد، وعندها أستطيع طلب المساعدة منهم".

قلتُ لأمي، وأنا أفتح صندوق الخضراوات لأخرج منه الجزر: "لقد اتصل بي لوك، وأخبرني بأن أبي متوَعك".

أمي: "لم يعدّ والدك شاباً على الإطلاق، ضعي الماء البارد على الجزر، لويز".

سألتها: "ولكنه يبدو بخير؟".

أمي: "لقد أصبح ينسى كثيراً، في الليلة الماضية نسيّ البيض، وهو يغلي على النار، حتى جفّ ماؤه تماماً، كما أنه يعيد إطعام الكلبة أكثر من مرة، فقد حصلت البارحة على وجبة الفطور لأربع مرات متتالية، وربما ظنّت بأنه عيد الميلاد بفضله".

لقد أردتُ إخبارها بأنها إذا أرادت أن أزورها تستطيع طلب ذلك مني ببساطة، وأنه لا حاجة لها بأن تخترع أزمة حتى أحضر، ولكن ذلك ليس أسلوبها، فهي لم تطلب المساعدة بشكل مباشر على الإطلاق، حتى عقب وفاة نيكى، بل إنها تبحث عن نقاط الضعف لدينا، وتضغط عليها، إذا أرادت الحصول على المساعدة في أي مسألة.

مررتُ إليها جزرة مقشرة، فقطعتها ببراعة، ثم وضعتها في طبق، وهي

تقول لي: "قالت لي مين إنك عدتِ إلى منزلك في عطلة نهاية الأسبوع، وأرى أنك أخطأت في مواجهة المشكلة".

قلتُ لها، وأنا أمسِكُ بجزرة نصف مقشرة: "ما الخطأ الذي ارتكبته؟".  
ردتْ أمي قائلة: "أستطيع استنتاج ما كنتِ تنوين فعله، لقد أردتِ الانتقال إلى منزل كاز، وأنا متأكدة من أن هذا الأمر لن يزعج كاز في النهاية، كما يجب أن تكوني أكثر حذراً، لأنك ستقدِّمين إليها سبباً حقيقياً لتشكو منه، وتستغلّه ضدك، ما يمكنها من أن تجذب أندرو إليها، لذلك لم يكن تصرفاً حكيماً".  
احتججت على كلامها، وقلتُ لها: "لقد كانت فكرته، هل ظننتِ أنني أودّ البقاء في منزلهما إلى الأبد؟".

وضعتُ السكين من يدها، ونظرتُ إليّ مباشرةً وقالت: "حسناً، بالتأكيد وددت فعل ذلك".

لويز: "لا، أنا...".

أمي: "لويز، لقد تحدّثتُ إلى غاري دونا هو".

أسكتني كلامها، ثم أضافت قائلة: "قال إن الضرر الذي لحق بالمطبخ لم يكن سيئاً إلى هذا الحد الذي يبدو علي، وأنه قد أصلح السقف ورمّم الفتحة التي في الحائط منذ اليوم الأول، وهذا يعني أن المنزل كان صالحاً للسكن منذ أسبوعين، كما قال أيضاً إنه أخبرك بذلك"، ثم تابعت تقطيع الجزر، وأضافت قائلة: "إن ما تفعلينه غير سليم، وعليك أن تحافظي على مسافة بينك وبين أندرو".

إن أمي تستخدم عادة النقد السلبي والتعليق العدائي ضمن إطار فني غير مباشر، ولكنني كنت أتجاهل الأمر، كما فعلتُ اليوم عندما علّقت على مظهري وفتاني، ولكن الظلم الشديد الذي يلحقني بسبب تصرفاتها، لا أستطيع تحمّله.

قلتُ لها بنبرة حادة: "لقد دعوتِهِ إلى حفل يوبيلكما الذهبي على الرغم

من أنني طلبتُ منكِ ألا تفعلني، وماذا عن عشاء ليلة عرض مسرحية بيلا؟ لم تكن لديّ نية إفساده إلى أن تدخلتِ."

أمي: "لقد فعلتُ ذلك من أجل حفيدتي، فقد اعتقدتُ أنه سيكون مفيداً لها أن يجتمعَ والداها معاً في يومها المميز".  
لويز: "كان من الأفضل لو....".

قاطعتني أمي، وهي تقول: "أنا أحبُّ أندرو، ولكن على الرغم مما تعتقدينه، فأنا لا أريد أن تعودا إلى بعضكما مجدداً، ولكن إن كان هذا ما تريدنه، فسأفعل كل ما في وسعي لتقديم المساعدة، ولكن ما يهمني حقاً هو راحتك، فأنا أريدك أن تكون سعيدة، يا لويز".

أمي تحبّني وأنا أدرك ذلك، فقد عملت بجد، وسعتُ جاهدة إلى إسعادنا أنا ولوك منذ أن خسرنا نيكي، ولكنها تحبُّ أندرو، وكانت مستعدة لفعل المستحيل من أجل أن تعيدنا إلى بعضنا، لأنها ترى أن طلاقنا يعدُّ فشلاً ذريعاً بالنسبة إليها شخصياً.

قلتُ لها لمتابعة الحديث: "أمي، لقد تجاوزتُ أزمة أندرو منذ وقت طويل، ولن نعود معاً، وأنا سعيدةٌ بذلك، وهو والد بيلا وتولي وهذا كل ما في الأمر".

قالت أمي وهي تغسل يديها: "لويز أنا لا أحكمُ عليكِ، ولا أمانع إن كذبتِ عليّ، ولكن لا تكذبي على نفسك".

في الحقيقة أنا لا أكذب على نفسي، ولكن إذا أقنعت نفسك بأمرٍ ما مراراً وتكراراً، فإنك تبدأ بتصديقه لكثرة تكراره.



## أسبوعان قبل الحفل



## الفصل 23

### كاز

كان أي. جي يجلس إلى الطاولة، ينتظرنني بالفعل، عندما وصلتُ إلى كانتينا المكسيكية، وهي تشبه البارات، وكان أمامه على الطاولة كوكتيل مظهره مريب، ومزين بالمظلات الصغيرة، بالإضافة إلى الكرز المغطى بالسكر.

قلتُ له، وأنا أجلس على الكرسي المقابل له: "أعتذر عن التأخير، فقد علقتُ باجتماع مطول مع نولان، ولكن ما الذي تشربه؟".  
أي جي: "جنسٌ في الغابة، إنه مثل الجنس على....".  
كاز: "لا تهتمّ، لم أعد أريدُ أن أعرف".

التفت إلى النادلة قائلةً: "فودكا مارتيني، مع حبتي زيتون".  
قال أي. جي بحزم، وهو يعبث بمظلة الكوكتيل: "إنك في غاية اللطف، فقد كانت أُمي تتوقُّ إلى مقابلتك، ولكن كان عليها أن تستقلّ القطار المتجه إلى كراولي بعد الغداء".

في هذه الأثناء أحضرت النادلة شرابي، فسحبت حبة الزيتون من عصاها البلاستيكية، وعصرتها في كأس المارتيني، وأنا أقول له: "لا بأس، وأنا أتطلع إلى رؤيتها أيضاً".

لم أكن من النوع الذي يرغب الآخرون في اصطحابه إلى منازلهم، أو تعريفه إلى أمهاتهم، ولكنني أظنّ أن أي. جي ليس لديه العديد من الأصدقاء الذين يشعر بالراحة لتقديمهم إلى أمه، بل لا أعتقد أن لديه أصدقاء في

الأساس، إذ إن حياته تتمحور حول وايتفيش، فهو أول الواصلين إلى المكتب، وآخر المغادرين، وربما هذا الأمر هو أحد الأسباب الذي يجعل علاقاته الاجتماعية لا تستمر.

بدأ العمل في غرفة البريد مباشرة فور تخرجه من المدرسة، وبطريقة ما تمكن من أن يشغل مكاناً في فريق الإعلان من خلال التزامه الكامل بالعمل وتحليته بإرادة قوية. إن تعيينه المؤقت بصفته مساعدي، كان فرصته الكبيرة للتألق، لأنه إن قام بعمله بشكل متقن وعلى أكمل وجه، فسيصبح مساعدي الدائم.

تعرفتُ إلى السيدة جيمس لحظة دخولها إلى المطعم، فهي تبدو تماماً مثل أي. جي، حتى أنها تضع طلاء الأظافر الوردي نفسه الذي يضعه ابنها.

صاحت وهي تلف ذراعيها حولي: "لا بد أنك كازا"، فوقفتُ لأخيها مرتبكة، وأضافت وهي ترمقُ ابنها بنظرةٍ لائمه: "لا يكف أي. جي عن التحدث عنك طوال الوقت! ولكنك لم تخبرني بأنها جميلة جداً، والآن سأنتفهم سبب كل هذا التأخير".

كازا: "تسعدني مقابلتك سيدة جيمس...".

السيدة جيمس: "ناديني آني من فضلك، كما يناديني الجميع".  
انتقلتُ بخفةٍ إلى جانب أي. جي، وجلست على الكرسي، ثم أردفت قائلة: "حسناً، هل يعمل ابني بجد؟ وهل يتقن أداء عمله؟".

أجبتها بصراحة: "ما كنت قادرة على إدارة الأمور من دونه".  
قالت وهي تضغط على يده مشجعة: "إنه طاهٍ بارع، وقد تعلم بنفسه، فكان لا بد من تعلم الطهو حقاً، بما أنني كنت أواجه مشكلة في سلق البيض".  
للحظة تساءلتُ ما إذا كنت قد خلقت لدى المرأة المسكينة انطباعاً خاصاً تمثل بأني أقوم بتجربة أداء دور زوجة ابنها أمامها، ولكن بعد ذلك غمزتني،



فأدرَكْتُ أنها كانت تستفزني عن عمد فقط.

جلستُ أستمعُ إلى أحاديثها المسلية ومزاحها المألوف مع أي. جي في ظل أجواء ودية اعتدتُ على أن ألحظها لدى معظم العائلات، ولكنني لم أشعر بها في كنف عائلتي أبداً، فلم يكن يربطنا هذا النوع من العلاقات حتى قبل وقوع حادث والدتي، لأن أمي إن لم تكن ثملة، كانت تتكور على الأريكة مرتديةً ملابس نومها وهي تجهش بالبكاء.

كنتُ أشعر بالخجل والإحراج من دعوة أحد إلى المنزل باستثناء أنجي، لذا لم ألبَّ أبداً دعوة أحد إلى منزله، لأنني لن أستطيع دعوته إلى منزلي.

هاجرتُ والدة أنجي إلى إسبانيا بعد أن تزوجت من زوجها الثاني، عندما كانت لا تزال طفلةً، تاركةً إياها برعاية والدها، لذلك لم أزرها أبداً في منزلها أيضاً.

لطالما حسدت لوزير على علاقتها بوالدتها، وقد أجبرتني والدة أي. جي على إعطائها وعداً بزيارتها في كراولي، ثم همت بالمغادرة لتلحق بالقطار في اللحظة نفسها التي وصلني رسالة من باتريك عبر هاتفي، ومفادها: "عودي إلى المكتب في أسرع وقت ممكن".

قلتُ: "تبا، يريدني باتريك أن أعود إلى المكتب حالياً، أي. جي. هل تستطيع دفع الفاتورة وملاقاتي هناك؟ وسأسوي الأمور، وأناقشها معك لاحقاً".

لا يبعد المطعم عن المكتب سوى خمس دقائق سيراً على القدمين، فسرت وأنا أشعر باضطراب وانقباض في معدتي، وقد تولد لدي شعور سيئ بشأن رسالة باتريك، فلا أعلم ما الذي يحدث، ولكن ليس من عادة باتريك أن يتحدث إليّ باقتضاب، وأمل في أنه لم يحصل شيء سيئ في الجنوب ليونيفيست.

إن لويز تنتظر الفرصة المناسبة لهزيمتي والإطاحة بي، وربما ما كان يجدر بي أن أثير غضب أندي حول المبلغ الذي يتكفل بدفعه لإعالة الطفلين، ولكن تلك المرأة كانت تفعل كل ما تريده، وبطريقتها الخاصة منذ فترة طويلة جداً. ولقد طفح الكيل عندما رأيتها تجلس إلى المكتب على بعد ست أقدام من مكتبي، فمنذ أن دعنتي سيلييا إلى حفلها، خرجت لويز طلباً للثأر، وهي تستمرُّ بالظهور أمامي بغض النظر عما أفعله، وأنا بحاجةٍ إلى إيجاد طريقة ما كي أضع حداً لتطفلها على حياتي إلى الأبد.

في اللحظة التي ترجلت فيها من المصعد، رأيتُ لويز تتحدّث إلى فرانكو، أحد زبائني، في الجانب الآخر من المكتب، وحين نظرتُ إلى الأعلى، التقت نظراتنا، فاستدار فرانكو، ما إن رأني، وتجهّم وجهه واشتعل غيظاً.

بعد لحظاتٍ خرج باتريك من مكتبه، وأشار إليّ لأنضم إليهم في غرفة الاجتماعات، وقد بدا واضحاً أنه ليس سعيداً. قلت متذمّرة: "ما الذي يحدث؟".

لم يعرني أحد اهتماماً عندما دخلتُ غرفة الاجتماعات، كما لم ينظر أحدهم إلى عيني، فأدركت أن شيئاً سيئاً يحدث، ثم جلستُ في أبعد مكان يمكن أن تصل إليه لويز، وقد سيطر عليّ الشعور بالقلق والاضطراب. لا أملك أي فكرةٍ حول ما سيحدث، ولكن يبدو واضحاً أن الأمور لن تكون جيدة.

انضمّ إلينا المدير الإبداعي نولان كيسبي والمدير الفني فين ريدفورد وقد بدوا حذرين، ومن الواضح إنه ليس لدى أي واحد منهما فكرة عما يحدث.

لمحّتُ أي. جي وهو يتجه إلى مكتبه، فأشزّت إليه لينضمّ إلينا، ولكن باتريك أغلق باب الغرفة في وجهه، ثم نظر إليّ نظرة باردة، وهو يفتح حاسوبه

المحمول الموضوع على الطاولة الزجاجية، وأداره في اتجاهي من دون أن ينطق بكلمة.

نظرتُ إلى الشاشة، فلم أصدّق ما رأيته، قلتُ له مذهولة: "ما هذا بحق الجحيم؟".

أجاب فرانكو بشكل مفاجئ: "هل تدركين ما يعنيه ذلك؟" وأضاف قائلاً: "لقد بدأ صدى رد الفعل العنيف بالفعل عبر تويتر، وقد تواصلنا مع شركة لإدارة الأزمات، ولكن ذلك سيكلفنا الكثير من المال، وستستغرق إعادة بناء علامتنا التجارية عدة سنوات".

قلتُ له: "أنا لا أفهم، لم يكن من المفترض أبداً أن...".  
قاطعتني فرانكو قائلاً: "باتريك، أعتقد أنني سأنقل حسابنا، لأنني وإن رغبت في أن استمرّ بالعمل معك، إلا أن مجلس الإدارة لن يسمح لي بذلك بعد الذي حصل".

قال باتريك: "إنني آسف جداً يا فرانكو، بالطبع سنبدل قصارى جهدنا لجعل الانتقال مباشراً وسريعاً قدر الإمكان".

تصلّبت عينا باتريك عندما وقع نظره عليّ، وتابع قائلاً: "أريد أن أعرف كيف حدث شيء كهذا، بحق الجحيم، شخصٌ ما قد سمح بحدوث هذا التغيير، وقد خطّط ببراءة لتنفيذه".

حدّثتُ مرةً أخرى إلى شاشة الحاسوب المحمول، وأنا لا ألوم فرانك على تخليه عن العمل معنا، لأنّ تداعيات هذا الأمر ستكون وخيمةً، وزباننا الآخرون معنيون بالأمر أيضاً، ويمكن أن يُدمر وكالتنا، إذا لم نتعامل مع المسألة بذكاء وحكمة.

قلتُ له يائسة: "باتريك، لا أعلم من فعل ذلك، فنحن قد سحبناه من التداول، وما كان يتحتّم عليه أن يمرّ على هذا النحو".  
قاطعتني لويز قائلةً: "ما الذي تعنيه بقولك؟".

أجبت باقتضاب: "لا أريد أن أكون وقحة، يا لويز، ولكن لا علاقة لك بهذا الحساب، ولأكون أكثر دقة، لست متأكدةً حقاً من سبب وجودك في هذا المكان".

قالت لويز وهي تحدق إليّ: "لقد أخبرتُ باتريك وفرانكو للتو، بأنني كنتُ في المكتب عندما ورد اتصال هاتفي بشأن أمر التغيير، ولقد عرفت من فعل ذلك، لقد كنت أنتِ".

مكتبة  
t.me/soramnqraa

## نولان كيسي الجزء الأول من المقابلة المسجلة

التاريخ: 2020 / 7 / 28

المدة: 32 دقيقة

المكان: وكالة وايتفיש للدعاية والإعلان، طريق كينغ، لندن.

أجرى المقابلة: ضباط من شرطة ديفون وكورنوال، (يُتبع)

الشرطي : "حسناً، ألم يصدرُ عنك أمر التغيير بصفتك المدير الإبداعي؟"  
نولان "بالطبع لا، فقد أخبرنا أي. جي بأن يسحبه، ولذلك تحدثت إلى الفريق، وقد أُلغيناه".

الشرطي : "لكن الإعلان قد سُلِب منكم، وقد نفذَ بحذافيره؟"  
نولان "لا أعرف كيف حصل ذلك، وقد تحدثتُ إلى بيت، وقالت إنها ذهبت، فكانت الرئيسية والمبدعة في حساب فين، وقد رأت.. أعني، بمجرد أن أشارت كاز إلى ذلك، اتفقنا جميعاً على أن ذلك الشعار الأصفر على بيجامة مخططة... لكن... حسناً، لقد عرفت ما حدث تماماً".

الشرطي : "حسناً، هل أجَلت الحملة؟"  
نولان "نعم، لقد كنا نعمل على فكرة جديدة تماماً، وكان فين صاحب تلك الفكرة الرائعة، كانت مثل.. ذاهبة إلى...".

الشرطي : "أسف للمقاطعة سيد كيسي، ولكنني أريد فقط أن أكون واضحاً، إذا كان الأمر قد ألغى، فكيف انتهى به الأمر إلى الصحافة؟".  
نولان "لم ينته به الأمر إلى الصحافة. اسمع، هناك نهج محدد وأدلة معينة، كما أن هناك نسخة الموافقة والاتفاقية، وعليك حجز مساحة إعلانية، وكل ما تبقى منها، ليس الأمر كما لو أنه يمكنك النقر على زر الإرسال، وما ينبغي أن تعرفه أن الإعلان انتشر في كل الحافلات رقم 44".

الشرطي : "حسناً، ما الذي حدث؟".

نولان "حسناً، يجب أن يكون أحد ما قد وضع طلب التغيير".

الشرطي : "من لديه السلطة للقيام بذلك؟".

نولان "إما كاز أو باتريك فقط، ولكن من الواضح أن باتريك لم يفعل ذلك، وتقول كاز إنها هي الأخرى لم تفعل ذلك، لذا...".

الشرطي : "وهل تصدّقها؟".

نولان "(تجاهل كلام الشرطي)".

الشرطي : "أما بالنسبة إلى الشريط، فقد هزّ السيد كيسي كتفيه مستهجناً".

نولان "تصرّ كاز على أنها لم تفعل ذلك، لقد كانت.. حسناً.. كانت تشدّد جداً على أن... لقد اتهمت لويز بفعل ذلك".

الشرطي : "على أي أساس اتهمتها؟".

نولان "إنهما على خلاف دائم".

الشرطي : "ولكن المرأتين كانتا على علاقة ودية تبعاً لأقوال السيد تاتشر".

نولان "(لم يعر كلام الشرطي أي اهتمام)".

الشرطي : "أستميحك عذراً؟".

نولان "باتريك يرى ما يراه مناسباً فقط".

الشرطي : "هل أنت موافق على التغيير؟".

نولان "بدا الأمر برمته غربياً، ففي اليوم الذي وصلت فيه لويز رأيناها جميعاً، وهما تصعدان معاً إلى الشرفة".

الشرطي : "هل من الممكن أن تكون كاز قد ارتكبت الخطأ ببساطة، وأكملت أمر التغيير بعد كل ذلك؟".

نولان "أفترض ذلك".

الشرطة "ولكنك لا تعتقد ذلك؟".

نولان "لا ترتكب كاز هذا النوع من الأخطاء، فقد يكون من الصعب التعامل معها بعض الشيء، ولكنها شديدة التنظيم، وبالنسبة إلى علاقتها بلويز، فبينهما ما يشبه الثأر، فكاز اكتشفت أن لويز وتينا دبرتا لها مكيدة، ما جعلها تشعر بالخوف منهما".

الشرطي : "ما الذي تقصده من أنها خائفة؟".

نولان "بدأت تصرخ في لويز قائلة إنها تظاهرت بأنها كاز ونفدت طلب التغيير، وقد انهارت تماماً، وكل من في المكتب سمع صراخها، وفي النهاية طلب منها باتريك العودة إلى المنزل".

الشرطي : "هل ألقى السيد تاتشر باللوم على كاز؟".

نولان "الأمر من بدايته وحتى نهايته عبارة عن كابوس تسلط عليها، فكان على فين أن يقدم اعتذاراً رسمياً، وقد خسرتنا هؤلاء الزبائن، كما هدد انسحابهم بمغادرة العديد من الزبائن الآخرين، وايتفيس هي وكالة صغيرة، ولن تستطيع تحمّل هذا النوع من الهراء، لذا كان باتريك غاضباً من كاز، وكاد أن يطردها لو استطاع أن يثبت أحد أنها المسؤولة عن ذلك".

الشرطي : "متى حصل ذلك؟".

نولان "قبل أسبوعين".

الشرطي : "حسناً، تمهّل قليلاً، بيرى، هل يمكنك القدوم إليّ، شكراً لك،

سيكون ذلك.. آه.. أي قبل عشرة أيام أو ما يقارب ذلك من وقوع  
الحادثة خارج منزل بييج عندما استدعيت الشرطة".

نولان "نعم ربما...".

الشرطي : "يفترض أن يكون السبب في وقوع المشاجرة".

نولان "أتعني الشجار في منزل كاز؟".

الشرطي : "نعم".

نولان "أوه، حسناً، ذلك لم يكن متعلقاً بحملة فين.. بل كان الأمر أسوأ  
من ذلك".



## الفصل 24

### لويز

مع كل ميل يجتازه القطار بعيداً عن لندن، أشعر بأمانٍ أكبر، فما كان يجب أن أحصل على العمل في وايتفיש، مع أن مين سبق أن حذرتني، ولكنني لم أصغ إليها.

لم تكن مين قلقة مما ستفعله كاز، بل كانت قلقة من تأثير الوظيفة السليبي عليّ، وكانت محقة؛ فلقد أذى التنافس المباشر بيني وبين كاز إلى إطلاق العنان للظلام الحالك الذي في داخلي، والذي ظننت أنني تغلّبتُ عليه منذ سنوات".

سمحتُ لنفسي بالعودة إلى الثأر والانتقام من كل تصرف سيئ تتّخذهُ ضدي، ولكن بدلاً من ذلك كان عليّ التفوّق عليها، ولكن الأوان لم يفت، فلا أستطيع التغاضي عن كل التصرفات السيئة التي قامت بها، ولا المشاحنات التي وقعت بيننا، ولكنني سأتصل بكريس غداً، وأخبرها بأنني لا أستطيع متابعة العمل في وايتفיש بعد الآن، وقد يعني ذلك أنني سأضغط على نفسي قليلاً حتى أتمكّن من الحصول على عمل مستقل آخر، لأن ذلك سيكون أفضل من خوض هذه الحرب الطاحنة والمستمرة إلى الأبد.

إن فورة غضب كاز وانفعالها الشديد، بعد ظهر هذا اليوم أذهلاني، فلم يسبق لي أن رأيت أحداً يغضب على هذا النحو، مع أنني كنتُ على علمٍ دائم بما كانت قادرة على فعله، ولكنها المرة الأولى التي أراها لا تتحكّم في أعصابها، وتفقد صوابها تماماً في مكان عام، ووفقاً لرد فعل باتريك المروع،

يبدو أنها المرة الأولى أيضاً التي يرى خلالها كاز تشتعل غضباً بهذا الشكل. على الأقل لا يعتقد باتريك أنني قد أعرض مصدر رزق مئات الموظفين للخطر بسبب شجار سخيف مع زوجة طليقي، وسأشعر بالاستياء إن غير نظرته إليّ، وخصوصاً الآن، لأنني أحتاج إلى مساعدته في العمل الجديد. كانت الساعة قد تجاوزت الساعة السابعة عندما وصلتُ إلى المنزل، وقد أحضرتُ أمي الولدين من المدرسة بدلاً مني، ثم تركتُ تولي برعاية جليسة الأطفال، فخلعتُ حذائي ذا الكعب العالي، واتجهتُ إلى غرفة الجلوس. كان تولي غارقاً في النوم على الأريكة، وبقايا البيتزا على الطاولة أمامه، تدلُّ على أنهما قد تناولا الطعام.

هزرته بلطف لإيقاظه، وسحبتهُ إلى حضني هامسةً إليه: "كان يجب أن تكون في فراشك منذ ساعة".

قال مغمغماً: "سمحت لي جليسة الأطفال بأن أظل مستيقظاً، ريثما تعودين إلى المنزل".

تنهَّدتُ وقلتُ له برقة: "نعم، لقد عدت الآن، وقد حصل ما أردته، ولكن هل أطمعتُ بيلا باغبس؟".

فركَ عينيه، وهو لا يزال يشعر بالنعاس الشديد إلى درجة أنه لم يقدر أن يفتحهما، فأعدته إلى مكانه، ثم جلبتُ علبة طعام القطط، وملأتُ وعاء باغبس. إنني لا أطيع انتظار أن ينتهي ترميم المطبخ، وبعدها يمكننا التوقف عن العيش مثل محتلي أراضي العدو.

عندما لم يظهر القط سألتُ تولي: "هل رأيت باغبس؟".

على الرغم من أن باغبس يعاني من التهاب المفاصل، إلا أنه يحضر كالبرق، ما إن يسمع صوت حبوب الطعام الجاف توضع في صحنه.

استيقظ تولي، وبدأ يبحث عنه في غرفة الجلوس، فنظر تحت الأريكة وخلف الأبواب منادياً، باغبس، وعندما لم يظهر القط، قلتُ لتولي: "من

الأفضل أن تتحقق من أنه لم يُحبَس في غرف النوم أو في مكان آخر، فلقد كان في الخزانة طيلة الليلة الماضية و...".

قاطعت كلامي صرخة مرعبة تقطع الأنفاس، وهي قادمة من الطابق العلوي: "أميبي!"

لم يخيّل إليّ إلا أنني سأرى أطرافاً مقطوعة وأذرعاً ملتوية خلف تلك الصرخة، فركضتُ بسرعة نحو الدرج، وقلبي يرتعد من الخوف، فظهرت بيلا، وهي تنزل الدرجات مسرعة، وتضمّ القط إلى صدرها.  
سألته بصوت مرتجف: "هل تأذيتِ؟".

بيلا: "لا، بل إنه باغبس!"

يبدو أن القط المسكين يعاني من صعوبة في التنفس، وقد قلب عينيه، وفجأةً بدأ بالانتفاض والتشنج، ثم تصلّب جسده بين يدي بيلا، ولم تكن لديّ فكرة حول ما أصابه، أو كيفية مساعدته.

قلتُ لها من دون تردد: "علينا أن نأخذه فوراً إلى الطبيب البيطري، هيا بنا اركبا السيارة".

العيادة البيطرية على بعد عدة أميال من منزلنا، وهي تقع في ضواحي بولبوروو، وتطلّ أبوابها مفتوحة حتى الساعة الثامنة، وإذا أسرعنا يمكن أن نصل في أقل من عشر دقائق.

ركبنا السيارة، فجلستُ بيلا في المقعد الأمامي والقط في حضنها، ولم أدرك أنني كنتُ حافية القدمين إلا عندما أصبحنا على الطريق الرئيسي، فقالت بيلا باكيةً: "أسرعي، يا أمي!".

قدت السيارة بسرعة كبيرة، قلتُ لها بيأس: "أنا أبذل قصارى جهدي".  
سأل تولي: "ما أصابه؟".

أجبتة قائلة: "لا أعرف يا عزيزي، إنه كبيرٌ في السن، ربما أصيب بتشنج أو بسكتة دماغية".

قالت بيلا، وهي تجهش بالبكاء: "إنها ليست سكتة دماغية، بل التسمم، كان منظره يشبه منظرَ الفئران في الحظيرة بعد أن وضع أبي المواد السامة فيها".

كانت أنفاس القط متقطعة، فأدركتُ أنه ليس لدينا الكثير من الوقت، وقد بدأ فجأة بالتقيؤ، وبكل هدوء، أمسكتُ بيلا بمنشفة قديمة نحفظ بها في السيارة، ومسحت القيء، وهي تهمس إلى القط برقة وحنان طوال الطريق. لمحتُ شيئاً أخضر لامعاً قد علق بالمنشفة عندما كانت بيلا تمسح فمهُ، فانقبض قلبي، إذ ربما قد تناول نوعاً من النبات أو الأزهار السامة الأخرى، لأن بصره لم يعد كسابق عهده، وإذا كانت حاسة الشم قد تلاشت أيضاً، فمن الواضح أنه تناول مادة سامة بالخطأ. ما كان عليّ أن أتركه خارج المنزل، فباغبس قطنا الحبيب المسكين، وستفطر قلوبنا إن أصابه مكروه.

حصلنا عليه عندما كانت بيلا طفلة صغيرة، وفقدانه الآن بهذه الطريقة سيكون مؤلماً. أخيراً توقفتُ خارج العيادة وترجّلت منها على الفور، بينما كانت بيلا لا تزال تحمل القط، ثم ساعدتُ تولي على الترجل من السيارة أيضاً.

كانت طبيبتنا البيطرية تامزين كينيدي منذ سنوات، وعرفتُ باغبس منذ أن كان قطاً صغيراً، فبدتُ حزينة لرؤيته على هذه الحال، وسألتُ بينما كانت تضعه على طاولة الفحص الطبي: "كم مضى على فقدانه الوعي؟".

قلتُ لها: "لقد عدتُ للتو إلى المنزل من العمل منذ خمس عشرة أو عشرين دقيقة، ولقد وجدته بيلا وهو على هذه الحالة في الحمام في الطابق العلوي قبل بضع دقائق".

قالت بيلا باكيةً وهي تعطي تامزين المنشفة الملوخة بقيء القط: "لقد تقيأ هذه المواد الخضراء الغريبة"، ولقد أثرتُ بي سرعة بديحتها في إحضار المنشفة.

قالت تامزين وهي تشمها: "إن رائحتها غريبة، ويبدو أنه تناول نوعاً من الطعام الحلو المذاق، وهو مضاد تجميد، فأنا أستطيع التعرف إليه في أي مكان".

سألها مستغربةً: "أيمكن أن يكون مضاد تجميد؟".

قالت تامزين وهي تفتح علبة معقمة تحتوي على حقنة وإبرة: "إنه لا يُستخدم فقط لإيقاف تجميد الآليات والمحركات، بل قد يُستخدم أيضاً في سوائل الفرامل الهيدروليكية، والقطط عادةً تنجذب إلى هذه السوائل عندما تتسرب من محرك السيارة على الأرض، ويكون طعمها حلو المذاق في البداية، ولكن بعد ذلك يصبح طعمه رديئاً، ويكون تأثيره سيئاً ما إن يدخل إلى الفم، ولن يتطلب الأمر وقتاً طويلاً، حتى يتوَعك من يتناوله".

سأل تولي بخوف: "هل سيموت؟".

أجابت الطيبة: "لن يموت إن تمكنا من مساعدته، يا حبيبي".

نادت تامزين المساعد البيطري الشاب الموجود في غرفة العمليات: "جيمي، أريدك أن تحضر لي بعض الفودكا من متجر الكحول بأسرع ما يمكنك، ويُستحسن أن تكون الأعلى ثمناً، وخذ بعض المال من الصندوق، هيا بسرعة!"

صرخت مستغربةً: "أطلبت الفودكا؟".

الطيبة: "إنها حيلةٌ تعلّمتها عندما كنتُ أعمل في أستراليا، فإذا استطعنا إدخال الكحول النقية إلى دمه فستتقلب بدلاً من مادة مضاد التجميد، فالفودكا هي أنقى أنواع الكحول التي يمكننا الحصول عليها الآن".

سألها بيلا بقلق: "ولكن أَلن تجعله الفودكا يتوَعك؟".

أجابت تامزين: "ربما سيصيبه صداع ما بعد الكحول، وهذا كل ما في الأمر، وإذا استطاع جسده استقلاب الفودكا، سيسمح ذلك بمرور مضاد التجميد بجسده بأقل سميّة ممكنة، ولكن ستتعب كليته وكبده قليلاً".

قلتُ بارتباكٍ شديدٍ: "إنني حقاً لا أفهم كيف استطاع الوصول إلى مضاد التجمد، لأنني دائماً أركن السيارة في المرأب، وحتى لو كان محرك السيارة يسرّب هذه المادة، فلن يكون في مقدور باغبس الوصول إلى هذا السائل المتسرّب إلى الأرض".

ردّت تامزين وهي تربت على رأس باغبس بلطف: "يمكن أن تكون مادة أخرى قد تسببت في تسمّمه، ولا تفكّر فيهما، فهناك الكثير من كرات الثلج التي تحتوي عليها، والتي يمكن أن تتحطّم وفي داخلها المادة، وقد لعقها القط، فهناك سبب جوهري لتكون للقطط تسع أرواح.. لأنها حقاً بحاجة إلى كل هذه الأرواح".

علّقت بيلا قائلة: "أو ربما أحدهم فعلها عمداً".

احتججت قائلة: "من سيفعل ذلك؟".

تنهدت تامزين قائلة: "نحن نقرأ عن هذه الحوادث طوال الوقت، فهناك الكثير من الناس المرضى والمؤذنين المنتشرين حولنا".

قالت بيلا: "إنه ذلك المزارع المجنون، فهو من أرادك أن تباعي الحقل، ويعتبر أحد الأشخاص الذي يمكننا الشك فيهم".

عاد جيمي يلوّح بزجاجة الفودكا، وهو يلهثُ قائلاً: "لقد جلبت أنقى فودكا روسية، هل ستكون كافية؟".

أجابت تامزين قائلة: أمل ذلك".

تجمّعنا حول الطيبة بينما كانت تخفّف الفودكا، ثم تضع القليل منها لباغبس، وقد فتح عينيه لفترةٍ قصيرة، ونظر إلينا بتمعّن. رأيتُ الألم والتعب يشعان من عينيه، فشعرتُ بالقليل من الذنب لأن مشاعر القلق طغت على مشاعر الألم التي يعاني منها، فهمستُ إلى تامزين: "هل هذا عادلٌ بالنسبة إليه؟".

أجابت: "لقد أعطيته مسكناتٍ للألم، ولن أتركه يعاني، أعدك بذلك".

وضع تولي رأسه على الطاولة إل جانب باغبس ولمس أذنيه بحنان، فأعتمر الألم والحزن قلبي، ثم سأل تولي: "هل سيكون بخير الآن؟". قالت الطيبة، وهي تمسّد وبر تولي بلطف: "أخشى أن كل ما يمكننا القيام به هو الانتظار، لقد فعلتم كل ما في وسعكم من خلال جلبه إلى العيادة بسرعة، كما أنك قد أحسنتِ يا بيلا بإحضارك المنشفة، وسنجري له تحليلاً للدم، ولكنني متأكدة تماماً من أن المادة التي تسببت في تسمّمه هي مضاد التجمد، الإيتيلين غليكول".

كان عليّ أن أمنع نفسي من أن أجهش بالبكاء، خاصةً وأنا أشاهد طفلي يضعان أيديهما على قطهما الحبيب، وعلى الرغم من جهود تامزين الجبارة في إنقاذه، كنتُ أعلم أن فرصته للنجاة ضئيلة.

لم أفهم كيف يمكن لشخص ما إلحاق الأذى عمداً بمثل هذا الحيوان البريء وجعله يعاني، ولكن إن كان هنالك بعض الأشخاص المرضى الذين يتجولون في الأرجاء لتسميم القطط عن عمدٍ بمادة مضاد التجمد، فلماذا سيأتون من مكان بعيد إلى المنزل النائي الذي نقيم فيه ليسمّموا القط؟

نحنُ نقيم بعيداً عن الناس في مكان ناءٍ، والشخص الوحيد الذي يسكن بالقرب منا هو المزارع غافين، ولا أتوقّع أن يكون شريراً وحاقداً إلى درجة أن يقتل قطنا، فذلك لا يبدو منطقياً أبداً.

بعدها تذكرتُ فجأةً قرط التوباز الموضوع في صحن الصابون في المنزل.

## أليس ماهوني الجزء الأول من المقابلة المسجلة

التاريخ: 2020 / 7 / 29

المدة: 36 دقيقة

المكان: 17 طريق فيلدن، لندن 6

أجرى المقابلة: شرطة ديفون وكورنوال  
(يتبع).

الشرطي : "حسناً، أنتِ تعيشين في المنزل الوحيد المجاور لمنزل السيد والسيدة بيچ، أليس كذلك؟".

أليس : "ألا ينبغي أن أقول شيئاً قبل ذلك؟ ألا يُفترض...؟ جُلّ ما في الأمر أنني لا أريد أن أوزط أحداً في تلك المسألة".

الشرطي : "لا تقلقي، يا سيدة ماهوني، ما تقولينه سيكون مفيداً تماماً، نحن...".

أليس : "إنها حادثة مروعة للغاية. لم نستطع تصديق الخبر عندما أُذيع في نشرة الأخبار، فقد كان رجلاً لطيفاً، ويُلقي التحية على الجميع في كل الأوقات مهما اختلفت الأمكنة والظروف، في زمن لا يلقي فيه معظم الناس التحية على الآخرين مهما كانت طبيعة العلاقة التي تجمع بينهم، إلا أن بعضهم قد يفعل ذلك، ولكن



ليس في لندن. وأياً يكن الأمر، فإن الجميع يكونون دائماً على عجلة من أمرهم، أما السيد بيچ فكان يتوقّف دائماً لإلقاء التحية عليّ والتحدث إليّ والدردشة قليلاً".

الشرطي : "سيدة ماهوني، هل يمكنك تذكّر ما حدث في تلك الليلة؟"  
أليس "هل كانت الزوجة التي ارتكبت تلك الجريمة؟ لأنه غالباً ما يكون الفاعل الزوج أو الزوجة، أليس كذلك؟".

الشرطي : "ربما يمكننا أن نبدأ بـ...".  
أليس "هؤلاء الأولاد المساكين... أيعقل أن يفقدوا والدهم، وهم لا يزالون صغار السن، إن وضعهم مؤثر للغاية".

الشرطي : "سيدة ماهوني، أيمكننا استرجاع أحداث ليلة العاشر من تموز؟ هل كنت في المنزل برفقة زوجك؟"  
أليس "في العاشر من تموز؟".

الشرطة "ليلة وقوع الشجار".  
أليس "أوه، آسفة جداً، إنني أعاني من ضعف في الذاكرة، فلا يمكنني

تذكر التواريخ، ولكنني أحفظ أرقام الهاتف، فعلى سبيل المثال إذا سألتني عن رقم هاتف أحد أعرفه، أستطيع أن أذكره لك على الفور، فيقول إنني إنه لا يحتاج أبداً إلى البحث عن أرقام الهاتف عبر غوغل، وإن كل ما عليه أن يفعله هو أن يسألني فقط: أليس، هل لديك رقم طبيب الأسنان؟ فأذكره فوراً، ولكن....".

الشرطي : "أعتذر عن المقاطعة، سيدة ماهوني، ولكنني أريد أن أتأكد من أمر. لقد قلت لأحد أفراد الشرطة عبر اتصال هاتفي إنك كنت في المنزل برفقة زوجك في تلك الليلة، وإنك شهدت الشجار الذي وقع بين لويز بيچ وكارولين بيچ، أليس كذلك؟".

أليس "أعلم أن ذلك قد يكون غير مهم، ولكنني اعتقدت أنه يتحتّم عليّ

إبلاغ الشرطة بما جرى، ما إن عرفت ما حصل للسيد بيح".  
الشرطي : "بل إنني ممتن لك، وأشكرك على اتصالك بنا، فذلك قد يساعدنا على تكوين صورة أولية حول أحداث تلك الليلة، هل تتذكرين كم كانت الساعة عندما سمعتِ الصراخ؟".

أليس "حسناً، كنا قد أوقفنا عمل التلفاز، وإلا لما تمكنا من سماع صوت الصراخ، فقد اعتدنا على السهر حتى موعد عرض نشرة أخبار العاشرة، وقد ضبطنا ساعتينا على ذلك الموعد منذ أن كانت تذيعها أليستر بيرنيت وساندي غال، وقد تكون أصغر من أن تتذكرهما، أليس كذلك؟".

الشرطي : "أعتذر للمرة الثانية عن...".  
أليس "كما كنا شديدي الإعجاب بتريفور ماكدونالد، فقد كان مثلاً يُحتذى بما يتحلى به من ثقافة ومعرفة".

الشرطي : "حسناً، أحصل ذلك بعد نشرة أخبار العاشرة، أي قرابة الساعة العاشرة والنصف؟".

أليس "أوه لا، لقد أخبرتُك بأننا لم نعد نتابع نشرة الساعة العاشرة، بعد أن تغيرت المواعيد وتعددت أوقات عرضها، فيمكن أن تُعرض في العاشرة والنصف أو التاسعة، ويمكن أن تعرض في الحادية عشرة. جَرَبنا مشاهدة أخبار البي بي سي، ولكنها كانت تعرض أخباراً وقعها ثقیل علينا، فلا يمكننا أن نستمع إلى كل تلك الأخبار السيئة قبل الخلود للنوم، لأنها كانت تسلط الكوابيس على إرني، لذلك لم نعد نشاهدها مطلقاً".

الشرطي : "ماذا كنتما تفعلان؟".

أليس "نشاهد الأخبار".

الشرطي : "أوه فهمت، أنا آسف، لقد شعرت بالضياع قليلاً.. فلنكمل كلامنا

من حيث وصلنا".

أليس "أوه نعم، عذراً، يقول لي إرني: إني سأمضي قُدماً، وهكذا نصعد إلى الطابق العلوي عادةً، أي أننا نخلد للنوم عند الساعة الحادية عشرة، ولكن لا يمكنني أن أغفو إذا استلقيت على الفراش في وقت أبكر من ذلك".

الشرطي : "أهو الوقت الذي سمعت فيه الصراخ؟".

أليس "لقد كانت تلك المرأة، لويز، زوجة السيد بيچ الأولى، تصرخ بشكل أساسي، وقد رأيتها سابقاً عدة مرات، عندما كانت توصل طفلها في نهاية كل أسبوع، وكانت تصرخ أمام باب المنزل كالمجنونة، ما أثار غضب السيدة بيچ الشابة، فبدأت تصرخ فيها أيضاً، وكانت تتشاجران بعنفٍ، ولم نعرف ما الذي كان علينا القيام به. قال لي إرني إنها بمفردها، وعلينا بأن نقدّم إليها يد المساعدة.. وكان يقصد السيدة بيچ الشابة، ولكننا لم نرغب في التدخل، وقد هدّدتها تلك المرأة تهديدات فظيعة".

الشرطي : "أي نوع من التهديدات؟".

أليس "في الواقع، كانت تهديداتها فظيعة نوعاً ما".

الشرطي : "أدرِكُ أن هذا الأمر مزعج، سيدة ماهوني، ولكن كل ما يمكنك إخبارنا به قد يكون مفيداً".

أليس "حسناً، لقد خرجنا من المنزل، كما تعلم... لنرى إذا كان في إمكاننا تقديم المساعدة، فرأينا السيدة بيچ، لويز بيچ، تحضّر شيئاً ما من السيارة".

الشرطي : "هل رأيتِ ما هو؟".

أليس "لا، فقد كان ملفوفاً ببطانية سوداء، وقد دفعته بقوة إلى السيدة الشابة قائلةً: لَرّ كيف ستشعرين عندما تفقدين شخصاً تحبّينه".

الشرطي : "لنرَ كيف ستشعرين عندما تفقدين شخصاً تحبينه، أهذا ما قالته حرفياً؟".

أليس "أجل، لقد قالت شيئاً من هذا القبيل، وقد دلّت كلماتها على هذا المعنى، ثم تراجعَت السيدة بيج الشابة، وعادت إلى المنزل، وبعد وقتٍ قصيرٍ حضرت الشرطة".

الشرطي : "لدينا تقرير عن الحادث الذي أبلغت كارولين بيج به، ولكنها لم تذكر فيه نوع التهديدات التي وجهتها إليها".

أليس "كانت مستاءةً جداً، لذا ربما لم تتذكر بما هددتها بالضبط، ولكن تلك التهديدات علفت بذهني، لأنها كانت رهيبة ويصعب تحمّلها، فأنا وإرني قد خسرنا ابنا منذ أربع عشرة سنة مضت في حادث دراجة نارية، ولا أتمنى حدوث ذلك لأحد، أقصد خسارة من تحبه، حتى لألد أعدائي".

الشرطي : "أنا آسف جداً لخسارتك".

أليس "شكراً لك".

الشرطي : "إذاً فقد اعتبرت أن ما قالته تهديداً بالقتل، ماذا قالت لويز بيج بعد ذلك؟".

أليس "في الواقع لم أعتقد أنها ستنفذ تهديداتها في ذلك الوقت، ولكن بعد أن قُتل السيد بيج المسكين، أعتقد أنه قد تحققت تلك التهديدات، فتلك الفتاة الجميلة فقدت شخصاً تحبه، أليس كذلك؟".

## الفصل 25

### كاز

أسندتُ ظهري إلى الباب الأمامي، وأنا أتمنى أن يتوقف الزمن، واجتاحني الرعب لمجرد التفكير في احتمال دخول لويز البيت خلال لحظات، فتعثرتُ وأنا أسحب سلسلة الأمان المثبتة على الباب، ثم أحسنتُ بوخزٍ حاد في ظهري، فلم أكن لأتوقع أن تطعنني في الظهر، كما لم يسبق لي أن رأيتها تشتعل غضباً على هذا النحو. بدت ممسوسة، خاصة أنني أعرفُ ماضيها وما تقدر على ارتكابه، ولكن حتى الآن لم أفهم أسباب ثورتها.

عندما فتَحَ صندوق بريد الباب، استطعتُ أن أرى أصابع لويز وهي تلوح في الهواء عبره، وتصيح غاضبةً: "أنتِ القاتلة اللعينة، تعالي وواجهيني!".

أخرجتُ هاتفي من جيبي، واتصلت بالشرطة، ولا بد أن يصل بعض عناصرها في أي لحظة، ولكنني كنت خائفة من أن تقتحم لويز المنزل قبل وصولهم، فهي تعرف بالطبع أن أندي لن يكون في المنزل، لأنه يقدم النشرة المتأخرة في هذه الأيام، ولن يعود قبل الحادية عشرة مساءً.

قلتُ لها، وأنا أرتجف من الخوف: "عودي إلى المنزل، يا لويز، فأنا لم ألمس قطك، ولم أقرب منه أبداً".

لويز: "أنتِ كاذبة".

قلتُ لها باكيةً: "لقد اتصلتُ برجال الشرطة، عودي إلى المنزل قبل أن يصلوا ويعتقلوك!".

صرختُ لويز بصوت مرعب: "وكأنني أهتمّ بتهديداتك!! فأنت من

ستدخلين السجن عندما يكتشفون ما اقترفته!".

ظهر كيت فجأة في أعلى الدرج، وبدا أنه استيقظ للتو، وقد سألني قائلاً:  
"أمي.. ما هذه الضوضاء؟".

ابتسمت وقلت له: "اششش... لا بأس، إنهم بعض الأشخاص المزعجين الذين يصرخون في الشارع، عد إلى سريرك، يا عزيزي، وأمك ستكون إلى جانبك خلال دقائق".

كيت: "هل أستطيع أن أشرب الماء؟".

كاز: "عد إلى غرفتك، وسأجلب لك الماء، وألحق بك خلال دقائق".  
هدأت الضوضاء فجأة، فذهبتُ إلى غرفة الجلوس، واختلستُ النظر عبر الستائر لأرى ما الذي تفعله، وأنا أدرك أن لا وسيلة لديها تمكّنها من الدخول إلى المنزل من الجهة الخلفية، لأن تراسات المنازل متراسة وملتصقة ببعضها، ولكنني لن أستطيع منعها، إن أرادتُ أن تسكب البنزين عبر فتحة بريد الباب وتشعل المنزل بأكمله.

تراجعتُ إلى الخلف، وجلستُ على بعد درجتين عن الطابق الأرضي لحماية ابني، وقد استعدت كلام لويز: لنرَ كيف ستشعرين عندما تفقدين شخصاً تحبينه، أيمن أن تحاول قتل كيت؟ إنها مجنونة بما يكفي للقيام بذلك.

أغلقتُ فمي بيدي لكي لا يسمع ابني صوت بكائي، لقد كان هذا اليوم الأسوأ في حياتي، فقد تلقّيت التحذير الأخير من باتريك، كما بدأ التحقيق في الكارثة التي ألمت بفاين، والآن أتعرّض للهجوم العنيف الذي تشنه لويز. كيف تظنّ لويز أنني قد أقتل قطها؟ أدرك أنها تكرهني، ولكن أي نوع من الأشخاص تظنّني؟

بدا البيت هادئاً إلى درجةٍ مخيفةٍ، ما جعلني أشعر بالتوتر من احتمال انكسار الزجاج، واقتحام لويز المنزل، فكم سيستغرق وصول رجال الشرطة؟

لقد مضى وقت طويل على اتصالي بهم، لا بد أن شخصاً آخر قد اتصل بهم أيضاً بعد أن سمع الضجيج الذي أحدثته لويز في الحي بأكمله، وبالتأكيد لن يستغرق وصولهم وقتاً أطول.

رنّ جرس الباب، فسمعتُ صوت رجلٍ يقول: "إنني من عناصر الشرطة، هل كل شيء بخير؟".

عندما أخبرت الشرطيين بما حدث، فتشا المنطقة بأكملها بحثاً عن لويز، ولكنهما لم يجدا أثراً لها، ولا لسيارتها في المنطقة، كما أختفى الصندوق الأسود والبطانية السوداء التي كانت على السور، ولوهلة ظننتُ أن ما حصل كله كان مجرد تخيلات، كما أستطيع أن ألاحظ أن الشرطيين يظنان ذلك أيضاً، فقد كان أحدهما في منتصف الثلاثينات من عمره، بينما يكبره الثاني بعشر سنوات تقريباً، وأنا متأكدة من أنهما اعتقدا أنني أهلوس، ولكن مازال في إمكاني تذكر لويز، وهي تدفع القط الميت في اتجاهي، ورأسه يتدلى من البطانية بشكل مقزز، ما جعلني أصاب بالغثيان.

دون الشرطيان بعض الملاحظات، ولكنهما لا يمكن أن يتخذا أي إجراء حتى لو صدقاني، فلم أكن أتوقع أن يعتقلاها، ولكن على الأقل دفع حضورهما لويز إلى المغادرة، كما أن الحادثة دُوّنت في سجلهما، وقد أخبرني أحد الشرطيين بأنه ستمّ ملاحقتها بتهمة الاعتداء عليك والتسبب في الإزعاج إن استمرت بالتهجم عليك.

وصل أندي إلى المنزل عند منتصف الليل، وقد كان الشرطيان على وشك المغادرة، فصاح مصدوماً لرؤيتهما: "ما الذي يجري هنا؟ هل كل شيء على ما يرام؟ هل أصاب كيت أي مكروه؟".

أجاب الشرطي الأكبر سناً: "تلقينا شكوى قدمتها زوجتك بحق طليقتك التي تهجمت عليها أمام المنزل، وأحدثت ضجيجاً صاخباً، ما تسبب في إزعاج سكان الحي، وأثار توتر زوجتك، ولا سيما أنها أحضرت معها قطعاً

ميتاً، ودفعته نحوها بعنف".

ضحك أندي قائلاً: "أهذا سبب وجودكما؟ لقد ظننتُ أن شيئاً فظيماً قد حدث!".

أدهشني ردُّ فعله، وقد تابع كلامه متجاهلاً وجودي: "أنا حقاً أعتذر إليكما، لأنه حصل سوء تفاهم، فلقد تحدّثتُ للتو إلى زوجتي، وكانت مستاءةً للغاية بسبب موت حيواننا الأليف، وهي أحضرتهُ إلى هنا لأتمكّن من توديعه، وأظنّ أن كاز بالغت في ردِّ فعلها، لأنها فهمت الأمر بشكلٍ خاطئ".

لم أستطع منع نفسي من تصحيح كلامه، وأنا أشتعل غيظاً: "إنها طليقتك".

تبادل الشريان وأندي النظرات، فقلتُ باستياء: "لم تكن موجوداً عندما تهجّمت عليّ، فقد فقدت صوابها، وبدأت تهدّدي بتهديدات مرعبة أيضاً".

تغيّرت تعابير وجه الشرطي الأكبر سنّاً، وقال: "بمّ هدّدتك، يا سيدتي؟".

أجبتُ قائلة: "قلت لي حرفياً: لنر كيف تشعرين عندما تفقدين شخصاً تحبينه، لقد قالت تلك العبارة بهذه اللهجة، يا أندي، وكأنها تعني ذلك حقاً، وقد أصابني تهديدها بالقشعريرة، ثم ألقّت بالقط الميت نحوي، وكان الأمر مريعاً!".

قال أندي باقتضاب: "لقد كانت مستاءة وحزينة".

صرختُ قائلةً: "قطعْ مسافة ستين ميلاً وإلى جانبها قط ميت، فهذا السلوك ليس سلوكاً طبيعياً، يا أندي، بغض النظر عن شدة استيائها وحزنها، فقد كانت تصرخ وتصيح في الشارع لمدة ساعةٍ كاملة كالمجانين".

قال أندي للشرطين بحزم: "اسمعا.. أنا آسفٌ لإهدار وقتكما، يبدو أن هذا النزاع داخلي وشخصي، ولا ينبغي أن نزعجكما به أبداً، أكرّر اعتذاري إليكما".

قال أحدهما: "لا داعي للاعتذار، فتوفير الأمان أفضل من الأسف والندم



بعد فوات الأوان".

عاد الشرطيان إلى سيارتهما ضاحكين، وأنا أشك في أنهما سيقدمان تقريراً بالحادثة إلى المركز، لقد أفلتت لوزير مرةً أخرى من العقاب. ما إن دخلنا إلى المنزل، وأغلقتنا الباب خلفنا، حتى عاتبني أندي قائلاً: "بم كنت تفكرين عندما استدعيت الشرطة؟ لقد أحبّ الطفلان ولوزير ذلك القبط كثيراً، كما أحببته أيضاً، وقد أرادت أن أودعه، وأنتِ جلبتِ لها الشرطة!". قلتُ له بغضبٍ: "أنتَ لم تكن موجوداً، فقد كانت تفرغُ الباب مثل المجنونة، وقد أخافتني حقاً، يا أندي".

سكب أندي كأساً كبيرة من الويسكي، وقال: "إنك تهوّلين الأمور كثيراً، ما الذي تظنّين أنها تهدّد بفعله؟ أتظنّين أنها قد تحاول إيذاء كيت أو إيذايني؟". كاز: "ولكن ذلك يبدو سخيفاً، لقد رأيتُ ملامح وجهها عندما ألقْتُ بالقط نحوي، ولن أسمح لها بأن تلحق أي أذي بمن أحبهم من أجل أن تنتقم مني فقط".

قال أندي بأسلوبٍ فظ: "احتدمت الخلافات بينكما، وزادت عن حدها، وما كان يجب أن أستمع إليك أبداً بشأن رفع الدعوى إلى المحكمة، وسأتصل صباحاً بالمحامي، وأطلب منه التراجع عنها".

نظرَ إليّ بحدة، وأضاف قائلاً بغضب: "من غير الطبيعي أن تقبل لوزير بالعمل في وايتفيش، ولقد أخبرتها بذلك، ولكن اتهامها بمهاجمتك، ورمي قط ميت نحوك، واتصالك بالشرطة، اعتبره تصرفاً غير مسؤول، لذا عليكما أن تدفنا الأحقاد التي تكنها كل منكما للأخرى، وأن تتخليا عن الانتقام نهائياً". كاز: "أندي...".

أندي: "يكفي، يا كاز، لقد كان يوماً طويلاً وشاقاً، ولا أريد سماع المزيد". أنهى أندي النقاش، واستلقى على الأريكة مسنداً رأسه إلى الوسائد الوثيرة، وأغمض عينيه في الحال، فلا فائدة من محاولة التحدث إليه لكي

أوضح له الأمر، لأنه يعلم تماماً بما تستطيع لويز أن تفعله، ولكنه ببساطة يرفض تقبل الأمر والاعتراف به.

فجأة أحسست بقشعريرة، وقد تملكنتني غضب شديد، فأندي ضعيف جداً، ولطالما اعتقدته قوي الشخصية، ولكنني وأنا أنظر إليه الآن، أدرك أنه ليس أكثر من حرباء ماهرة، فهو متقلب المزاج ولا يثبت على رأي، ويناسبه تماماً العمل في الوسط التلفزيوني الذي يغص بأشخاص ذوي تفكير ضحل، إلا أن القول إن كل الرجال لكل الناس، ليس صحيحاً".

كيف استطعتُ العيش مع هذا الرجل أكثر من أربع سنواتٍ من دون أن أدرك حقيقته؟ كان عليه أن يقف إلى جانبي ضد لويز، وبدلاً من ذلك يتجنب الوقوف إلى جانب أي واحدة منا، لأنه لا يزال راغباً في أن تمنحه الحب، سواء أحبها أم لم يحبها.

بدا لي فجأة أنه حقير الشأن، وليس أكثر من رجل ساذجٍ لا قيمة له، فهو لن يتمكن من مساندتي، وأنا أخوض معركتي ضد لويز، كانت أمي محقة في أن أندي رجل تافه وسطحي، وسواء أحب ذلك أم لم يحب، فسنخوض هذا الصراع القاتل، لأن العلاقة التي تربطنا أنا ولويز، أعمق من ارتباطنا بأندي، إنه نزاعٌ حتى الموت كما أسمته أمي، والآن بدأتُ أقتنع بأنها كانت على حق.

إنني صحفية، والعثور على الناس يندرج في إطار عملي. أطلّ عبر الزجاج الأمامي المرقط بقطرات المطر في المبنى المشيد من الطوب الأحمر على الطريق، فليس من الصعب تعقّب أثر معظم الناس بمجرد أن تبدأ بالبحث عن معلومات حول حياتهم. وفي هذه الأيام يكاد أن يكون مستحيلاً عدم ترك مسار افتراضي، ما لم تبذل جهداً جباراً للخروج عن خط ذلك المسار. إن وسائل التواصل الاجتماعي والسجلات العامة كلها توفّر ما تحتاج إليه من خلال نقرة واحدة فقط، وعادة يكون من السهل اكتشاف ما لا يمكنك العثور عليه عبر الإنترنت عبر إجراء بضع مكالمات هاتفية، ولكنني لا أقصد أبداً مكتب صحفي، لأنهم دائماً حذرون جداً، أما إذا تحدّثت إلى حراس البوابة الحقيقيين والإداريين والسكرتيرات ومشغلي لوحة المفاتيح، فسيثير دهشتك إلى أي مدى يمكن أن توصلك الأخلاق الحميدة، فأحياناً أضطرّ إلى تعميم الحقيقة قليلاً من خلال الإغفال عن الافتراضات التي قد يضعها الناس، إلا أنني لا أزعج نفسي بأن أصحّحها، كما أنني لست مضطرة حتى إلى أن أكذب كذبة بيضاء للعثور على والدّة كاز، فقد أعطتني مديرة التوظيف في دار الرعاية جميع المعلومات التي أحتاج إليها عبر الهاتف، حتى من دون أن تسأل عن هويتي.

أخذت حقيبتي من مقعد الراكب، وترجّلت من السيارة، فقد اكتفيت من الجلوس في المنزل في انتظار ضربة كاز التالية، ولو بادلتها النار بالنار في

المرة السابقة، ربما ما كان باغبس ميتاً الآن.

إن قتل قط بريء، واصطحاب ابنتي لتثقب لسانها، والتسبب في طردي من العمل، ليست تصرفات تنم عن انتقام امرأة غيورة، بل إنها تدلّ على حقد كبير، وكره دفين في داخلها، وهذا النوع من التصرفات لا يمكن أن تقوم به معظم النساء اللواتي يتعرّضن للاستفزاز، ولكن ما فعلته كاز لباغبس ينم عن اختلال عقلي، وأنا مرعوبة مما قد تلحقه لاحقاً بالطفلين أو بي من أذى، وأريد أن أتعرّف بالضبط إلى المرأة التي أتعامل معها، ولا أتوقّع أن أحصل على سلاح فتاك، ولكنني كنت مراسلة لفترة طويلة، وأعلم أن هناك شيئاً آخر يتعلّق بكاز، وله علاقة بماضيها، وأحتاج إلى اكتشافه.

إن تعلّق بيلا بكاز كان أكثر ما يخيفني، وقد توقّعت أنها لن ترغب في أن يكون لها أي علاقة بها بعد موت باغبس، ولكنها ببساطة ترفض تصديق تورطها في موته، وربما لم أستطع أن أوضح مقصدي، فقد سارعت إلى لندن لمواجهة كاز الأسبوع الماضي، ولكنني كنت غاضبةً للغاية ومنزعجةً إلى درجة أنني لم أخطط للقيام بهجوم ناجح، كما لم أفكر في اختيار الموقع الاستراتيجي.

صرخت فيها عندما نعتني بيلا بالمجنونة: "بالطبع هي التي سمّمت! ومن غيرها قد يفعل ذلك؟".

ردّت بيلا غاضبة: "يمكن أن يقوم بذلك أي شخص! قد يكون ذاك المزارع المجنون، أو أحد الأطفال المشاغبين، من يعلم! إلا أن كاز ليست مختلة، ولن تقترف جريمة بشعة من هذا القبيل".

رमित حلق التوباز على طاولة المطبخ بيننا، وقلت لها: "لقد عثرت بنفسك على هذا القرط ملقى في الممر بجوار المرأب، أخبريني كيف وصل إلى هناك، طالما أن كاز لم تأتِ إلى منزلنا أبداً!".

صرخت بيلا قائلة: "لقد أخبرتك سابقاً، قد يكون القرط سقط من السيارة!

فقد كانت تقودها على مدار السنوات الأربع الماضية، ألا تتذكرين ذلك؟".  
ما هوّن عليّ تلك الليالي الطويلة والمظلمة التي خيم عليها الحزن  
والأس بعد رحيل أندرو، كان الشعور بأنني ما زلت أملك أجمل ما في تلك  
العلاقة، فقد تسرق كاز زوجي، ولكنها لا تستطيع أبداً أن تسلبني أمومي  
وتستولي على مشاعر ولديّ.. إلا أن الاستماع إلى ابنتي، وهي تدافع عن  
كاز، يؤلمني أكثر من أي اختبار اختبرته منذ وفاة نيكى.

اشتدّ تساقط المطر وأنا أففل باب سيارتي، ثم اجتزت الطريق في اتجاه  
دار الرعاية، وللوهلة الأولى يبدو أنه من السهل أن نفترض أن كاز كان تطمع  
في الحصول على المال، وقد ساعدتها بشرتها الإنكليزية الوردية ولهجة  
المقاطعات المثالية، ولكنني كنت أشكّ دائماً في أنها تخفي سرّاً، فحتى أفراد  
العائلة المالكة الأصغر سناً لا يتحدثون بتلك اللهجة هذه الأيام.

يبدو واضحاً أن أندرو قد اقتنع بادعائها، فهو رجل متعجرف وأنا،  
وينحدر من الطبقة العاملة في مجلس بلدية مانشستر، وقد حقّق إنجازات  
كثيرة، ولكنه لم يثق في نجاحه أبداً، ولطالما كان ينجذب إلى الفتيات  
المتعجرفات. نفدت أموال عائلتي بعد ولادتي، ولكن والديّ لا يزالان  
يحفظان بصحن فضي أثري في مكان ما، وكان أندرو يتغذى بحقيقة أن عرابي  
هو أحد البارونات، وأراهن على أنه لا يملك أدنى فكرة حول إقامة حماته  
الحالية في دار رعاية تابعة للمجلس في داغينهام.

دفعت باب الردهة، وشممت فور دخولي رائحة أقلام التحديد والملفوف  
المسلوق، إنها عطلة نهاية الأسبوع، ولا أحد خلف مكتب الاستقبال المصنوع  
من الفورميكا الرخيصة، والذي تنتشر على سطحه أكواب القهوة الباردة نصف  
المشروبة، وكأنها تُركت فجأة في منتصف وريدة العمل. وبينما كنت أتكئ  
على المكتب، أبحث عن جرس لاستدعاء موظف ما، لفت نظري الحاسوب  
القديم الموجود على سطح المكتب، والذي يعود إلى القرن الماضي،

وملفات المانيلا التي تعود إلى المرضى مرمية على جانبه، إن المكان بأكمله يبرز مدى الإهمال وشُخّ الأموال، وأنا ما زلت أمام مدخل الدار، ويعلم الله ما سيكون عليه حال باقي المكان، إن كانت واجهته التي تنكشف للعالم تبدو بهذا المستوى الوضيع.

فجأة ظهرت امرأة من مكتب صغير يقع في الجانب الآخر من الردهة، وهي تمسح المايونيز عن شفيتها، بعد أن تناولت شطيرة روبيان، وفقاً للفتات التي علقت على قميصها الأزرق اللامع، وقد سألتني بريية: "هل يمكنني مساعدتك؟".

قلت: "جئت لرؤية روث كلارك".

ردّت قائلة: "هل أنت صديقتها أم أحد أفراد العائلة؟".

تردّدت قليلاً وقلت: "إنني أودّ رؤيتها من أجل مسألة شخصية".

قالت المرأة متململة: "الغرفة 243، الطابق الثاني، وسيتوجب عليك صعود الدرج، لأن المصعد معطل".

عقب الدرج برائحة البول والسجائر، ومن الواضح أن السجاد البرتقالي الرخيص لم يتغيّر منذ أن بُنيت الدار في الستينات، بحق الجحيم، ما الذي يدفع كاز إلى ترك والدتها في مكان حقير مثل هذا المكان؟ فهي وأندرو يملكان ما يكفي من الأموال لتحمل تكاليف وضعها في دار أفضل، فلا بد أنها تُخفي قصة مريبة.

كان باب الغرفة 243 مفتوحاً على مصراعيه مثل أي غرفة أخرى مررت بها، وكان المقيمون في الغرف الممتدة على طول الممر يخضعون لتغيير القسطرة البولية على مرأى ومسمع من جميع من يمرّ بالمكان. طرقت بإصبعي على باب غرفة روث كلارك قبل أن أدخل، ولكن المرأة الجالسة على الكرسي المتحرك بجوار النافذة لم تنظر إليّ لتتعرّف إلى الزائر.

قلت لها: "سيدة كلارك، هل تمانعين دخولي؟".

اعتقدت للحظة أنها لم تسمعي، ثم التفتت إليّ، وفجأة تخيلت الشكل الذي ستكون عليه كاز بعد ثلاثين سنة، إن تلك المرأة تتمتع بالملامح الجميلة وعظام الوجنتين المرتفعة نفسها التي تتمتع بها كاز، ولكن لون بشرتها بدا باهتاً بسبب ضآلة ضوء الشمس الذي تعرّض له، كما تتشارك وابنتها لون العينين الزرقاوين الغامقتين نفسه، على الرغم من أن شعرها المنسدل قد رُبط بعقدة غير مزعجة في مؤخرة رقبتها، ولكنها لا تزال جميلة بملامحها الخاصة. سألتني مستغربة: "من أنت؟".

أجبتها من دون تردد: "أنا طليقة زوج ابنتك"، فنظرت إليّ بحدة، وأومات برأسها عدة مرات، ثم حرّكت كرسيها المتحرك بعيداً عن النافذة، وسألتني قائلة: "ماذا تريدني مني؟".

قلت لها: "أودّ التحدث إليك لبضع دقائق، إن سمحت بذلك".  
قالت ساخرة: "وكأن لديّ خياراً آخر".

ألقيت نظرة سريعة على الغرفة، وأنا أجلس على الكرسي الوحيد المتاح قبالتها، فلم أجد صوراً شخصية في أي مكان، فلا صور لروث وهي تحمل كاز وهي طفلة، أو لروث نفسها في يوم زفافها.

كان جو الغرفة مريحاً، وبدت نظيفة ومعقمة، كما لو أنها انتقلت إليها للتو هذا الصباح، على الرغم من أنني أعلم أنها تبوّلت فيها أكثر من سبع سنوات، فلا يتطلّب الأمر اختصاصياً نفسياً متديرباً لمعرفة أن ترك والدتك تتعفن في زنازاة وضعيفة مثل هذه، يدلّ على توتر العلاقة بينكما، والتي لا تقوم على المحبة والود.

سألتني روث قائلة: "حسناً، ما الذي تريدني معرفته؟".  
قلت لها: "أريد معرفة كل التفاصيل".

## الفصل 27

### كاز

انحنى أندي عبر مائدة المطبخ لتقبيل كيت، وهو يُمسك بيده ربطة عنقه حتى لا تنغمس في طبق فطوره المكوّن من الحبوب والحليب، فحاولت ألا أعلّق على أنه قبل أسابيع قليلة فقط، كان ينحني ليقبّلني أيضاً. نظر إلى الأعلى، وقال: "لا تنسي أن الولدين سيكونان هنا في نهاية هذا الأسبوع. عليك بتنظيف غرفة بيلا، فلا يمكنك استخدام سريرها لرمي أغراضك الشخصية، فغرفتها ليست مكباً للنفايات.

أردت أن أقول له إنه قبل أسبوع كانت هذه الغرفة مكتبي الخاص، ولكن بعد أن أصبح الولدان يأتيان إلى لندن لقضاء عطلات نهاية الأسبوع، قرّر أندي أن يحوّله إلى غرفة نوم إضافية لبيلا، لأنها تحتاج إلى أن تشعر بالراحة في غرفتها الخاصة بها، حتى تتمكن من استضافة أصدقائها.

إلا أن الأمر لم يكن سيئاً، فقد أكسبني التخلي عن هذا المكتب الكثير من النقاط الإضافية التي عززت مكاتي لدى بيلا، ما جعل لويز تفقد صوابها. صرخ أندي، وهو يفتح الباب الأمامي: "بالمناسبة سنذهب إلى ديفون صباح الجمعة لا السبت، لذا ستحتاجين إلى أخذ إجازة من العمل، لأن سيليا دعتنا لتناول عشاء عائلي في الفندق ليلة الجمعة، ومن المنطقي أن نكون هناك في اليوم الذي يسبق الحفل، كي لا نضطرّ إلى التأخر عن الموعد".

لحقت به إلى الردهة، وسألته مندهشة: "هل سنحضر الحفل بعد كل ما فعلته لويز؟".



أجابني قائلاً: "بالطبع سنحضره، فلم يتغير أي شيء، ولن أفسد يوم سيليا الكبير لأنك ولويس لا تتفقان معاً".  
سألته مستغربة: "لا تتفق؟".

نظر إلى مرآة الردهة، وعدّل ربطة عنقه، وقال: "كاز، لا أعلم ما الذي يجري بينكما، ولكن عليكما بتسوية خلافاتكما، وستكون عطلة نهاية الأسبوع فرصة لكما لوضع حد لتلك الخلافات والتصالح. يجب أن أغانر الآن، وإلا سأتأخر عن الاجتماع الصباحي، ويمكننا مناقشة هذه المسألة في وقت لاحق".

أمسكت بذراعه وصرخت فيه: "لقد حضرت إلى منزلنا ومعها قط ميت، لذا لن أسمح ببقاء ابني على مقربة منها ولو لمسافة نصف ميل!".  
قاطعني بحدة قائلاً: "سأحضر الحفل، وسيرافقني كيت، والأمر متروك لك إذا كنت تريد البقاء في المنزل وحدك"، ثم أكمل كلامه وقد احتدم غضباً: "إنه ابني أيضاً، فتذكّري ذلك".  
قلت له: "أندي...".

لكنه رحل وتركني وحيدة، فعدت إلى المطبخ، وأنا أرتجف من قمة رأسي حتى أحمص قدمي، وقد انتابني شعور بالغثيان والدوار. لا أعرف ماذا يحصل لنا، فلم يسبق أن خاطبني أندي بهذه اللهجة القاسية، ولقد بدأ يعاملني باستخفاف وكأن أمري لم يعد يهمه، فلم يسبق له أن نظر إليّ بهذه النظرة الحادة، كما كان يقف بعيداً عني بحيث لا أستطيع بلوغه، ولطالما كان يجمع بيننا شغفٌ وحميميةً طوال السنوات التي عشنا فيها معاً، حتى عندما كنا نتشاجر لم يتخلّ عن شغفه بي، ولكن منذ أن التقى برجلي الشرطة، أصبح شديد البرود ولئيماً وينفعل بسرعة، ويكاد يبدو واضحاً ما يكته لي من كراهية ونفور على مدار الأسبوع الماضي.

تساءلت إن عامل لويز بهذه الطريقة في الأيام الأخيرة من زواجهما،

قبل أن يتركها منذ أربع سنوات، وقد شعرت خلالها بأنني أودّ أن أضربها. لكنني أدركت منذ البداية أن انتصاري كان باهظ الثمن، وأن أندي لن يترك صراع لويز لي، بل إنني فزت به بمجهودي الخاص، بعد أن أتى إلى منزلي، وشرارات الغضب تتوهج في عينه، ليس لأنه أدرك أخيراً أنه لا يستطيع العيش من دوني، ولكن لأنه اكتشف أن لويز قد خدعته.

كانت كمرض السرطان الذي يتسلل ببطء، ثم يتغلغل في الأعماق، كما تغلغلت في صميم علاقتنا، ولم يفارقنا تأثيرها السلبي قط، كما أنه لم يختر حبي، بل إنه لم يخترني بتاتاً.

جلست على الدرج، وهو المكان نفسه الذي جلست عليه الأسبوع الماضي لحماية ابنا من جنون طليقة والده، ووضعت وجهي بين كفيّ، وأنا أفكر في أن معظم الأزواج يبدأون علاقاتهم داخل الشرنقة التي تعزز تلك العلاقة الحميمة، ولكن بالنسبة إليّ وإلى أندي، فإن هذا الوقت الثمين الذي لا يمكن استرداده، شابته معارك عنيفة دارت بيني وبين لويز على مدار السنوات الماضية، وبطريقة ما نجونا وتوصلنا إلى حل سلمي، ولكنها لم تستسلم أبداً، بل ظلّت دائماً شوكة مغروزة في خاصرتي، وكثيراً ما اختلفنا أنا وأندي بسببها، ولكنها لم تفرّق بيننا حتى الآن، وقبل شهر ما كنت أتصوّر أن ينتهي بنا المطاف إلى هذه الحالة، فقد أصبحنا أكثر تباعداً مما كنا عليه في أي وقت مضى، وبدأنا نترجح على شفا الهاوية، ولست متأكدةً من أننا سنكون قادرين على النجاة من السقوط فيها.

بطريقة ما تماكنت نفسي، وتابعت الاستعداد للذهاب إلى العمل، فأوصلت كيت إلى الحضانة، واتّجهت إلى النفق، وأنا أحمل كوب قهوة بالحليب في إحدى يديّ، ثم حاولت تصفية ذهني حتى أتمكن من التركيز على أداء عملي في هذا اليوم، فقد نجح باتريك في الحد من استياء العملاء بعد وقوع كارثة فاين، ولكنني أدرك جيداً أن لديّ الكثير من الأمور التي ينبغي

لي تعويضها، فلا أستطيع أن أخطو أي خطوة ناقصة بعد الآن.  
في أثناء صعودي السلالم في بارسونز غرين، رنّ هاتفي، إنها رسالة واردة  
من أي.جي:

يود باتريك أن يراني قبل القيام بأي عمل آخر، فشقت طريقي بين حشود  
المارة، ووضعت فنجان قهوتي بين قدمي على الأرض حتى أتمكن من إرسال  
رسالة نصية إليه، هل ذكر السبب؟  
كلا، لكن شيلا ستكون في الاجتماع.

اللعنة، السبب الوحيد الذي يجعل باتريك يدعو شخصاً من قسم  
الموارد البشرية إلى أي اجتماع يعقده، هو أنه سوف يعطي أي.جي محاضرة،  
وسيحمي نفسه حتى لا يتمكن من أن يلعب بطاقة رهاب المثليين إذا سارت  
الأمر بشكل خاطئ فجأة، ثم أرسلت إليه رسالة: لا داعي للذعر، سأكون  
هناك بأسرع ما يمكن، أيقني على اطلاع بالمستجدات.

أمل في ألا يُخرج باتريك أي.جي من حساب يونيفيست، لأن ذلك  
سيتركني وحدي في مواجهة تينا ماردوخ، ولكنه يعاقب جميع المتورطين  
في كارثة فاين، وهو يخرجنا من الحسابات المسيطرة عليها، كما أنه يقلل من  
امتيازات السفر، وأي.جي هو مساعدني الوحيد في الوكالة، وكان على وشك  
أن يحصل على ترقية قبل وقوع كارثة فاين، ولكن باتريك قادرٌ على إعادته  
إلى ما كان عليه في السابق بصفته مساعداً شخصياً.

أسرعت الخطى في اتجاه النفق، وأنا أحاول ألا أسكب اللاتيه، بينما  
كان يتهافت الحشد خلفي، إن أي.جي يُعدّ أكثر من يدي اليمنى، إنه عيني  
وأذني في وايتفיש، وعلى الرغم من أنه قد يبدو متعصباً وسخيفاً أحياناً،  
ولكنه مخلص بشدة، ويعمل بجهد، لذلك يبدو فريداً من نوعه، كما أنه ثرثار،  
ولكنه يعرف متى يبقى فمه مغلقاً، وإخراجه من حساب يونيفيست سيجعلني  
أعاني من خسارة كبيرة ونقص في الكادر، إنه فعلاً الشخص الوحيد الذي

أثق به في حياتي، ولأسباب كثيرة، يعتبر صديقاً وانياً، ويكنّ الخير لي أكثر من أندي نفسه.

غيرت طريقي إلى إيرل كورت، فأضاء هاتفني المحمول مشيراً إلى ورود سيل من رسائل البريد الإلكتروني، وبينما كنت أخرج من النفق، تصفّحت الرسائل بسرعة، وأنا أسير في اتجاه المنصة، فقد وردت أربع رسائل من تينا، وعدة رسائل من باتريك وشيلا، وهي علامة مشؤومة، وأخرى من نولان، بالإضافة إلى تذكير مقتضب من أندي بأن أجلب تولي وبيلا من المحطة غداً، ولم تكن الساعة قد بلغت الثامنة والنصف صباحاً بعد.

تجمّدت في مكاني في وسط المنصة، وأنا أفكر في أن لويز يمكنها أن تفسد علاقاتي في العمل وفي المنزل، ولكن علاقة واحدة فقط يمكنني إنقاذها والحفاظ عليها.

لا بد أن أعالج مشاكلني مع أندي، فهو سيكون متعباً عندما يعود إلى المنزل الليلة، ولأن الأمر أسهل من التساؤل حول ما يحدث بيننا، فستجاوز ما حدث هذا الصباح، وسنعتبر ما جرى، وكأن شيئاً لم يكن، فأندي ليس كاملاً، والله أعلم، كما يمكن أن يكون نرجسياً وضحل التفكير ولا عمق فيه، وهو ضعيف تجاه لويز بشكل يدعو إلى السخرية، وفي المقابل يتصرّف بوقاحة دائماً معي، ولكنه والد كيت، وكما تقول الفتاة الصغيرة في أغاني الأطفال، عندما يكون جيداً، يكون جيداً جداً، على الرغم من أنه عندما يكون سيئاً، يكون مروعاً، وأنا أرفض الاعتراف بالهزيمة، وأعلم أنني قادرة على إعادة الأمور بيننا إلى مجراها الطبيعي، وإن كان في إمكاني إنقاذ علاقتنا من الدمار، فلا أريد قضاء أسبوع آخر كالأسبوع الذي مضى، فأنام إلى جانب شخصي غريب جامد التعابير، ويدير ظهره لي قبل أن يغفو، بل أريد أن أضع كل تلك المشاكل خلفنا، وإن اقتضى الأمر الاعتذار إلى لويز، مع أنني أعتقد أنني سأضطرّ إلى التملص من الاعتذار.

وضعت هاتفي في حقيبتني، وانخرطت في حشود المارة، ثم توجهت نحو خط بيكاديللي، وإذا توجهت إلى أي.إن.إن الآن، فيمكنني اللحاق به قبل أن يبدأ بإذاعة موجز أخبار الساعة العاشرة.

دخلت بعد نصف ساعة إلى ردهة استقبال أي.إن.إن، والتي سبق أن زرتها مرة واحدة خلال السنوات الأربع الماضية، وكانت قد زوّجت بعض الأخبار المغرضة ودعايات تشهّر بعلاقتي بأندي بعد أن ترك زوجته التي كان يحبها زملاؤه في أي.إن.إن، فكان طعم عدائهم مريراً بالنسبة إليّ. لقد كانت الإضاءة في الردهة متوهجة، وحسنة التهوية، كما أن مساحتها بدت شاسعة ومحاطة بالكروم والزجاج، بالإضافة إلى صور ضخمة تعود إلى مقدمي الشبكة الرئيسيين، ومن بينهم صورة أندي معلقة بأسلاك غير مرئية في سقف مزدوج الارتفاع مثل أعلام الأمم المتحدة، ربما يتحتم عليّ التوقف عن الاختباء، وألا أشعرهم بوجودي إلا قليلاً، فلست مضطراً إلى الاعتذار لكوني زوجة أندي، بل أنا بحاجة إلى التوقف عن التصرف كما لو أنني مذنبه. قلت للفتاة الجالسة إلى مكتب الاستقبال: "أودّ مقابلة أندرو بيج، فأنا زوجته".

استدارت إلى حاسوبها، وقالت: "لحظة واحدة، سيده بيج، سأخبره بمجيئك".

رَنّ هاتفي، وعندما نظرت إلى الشاشة رأيت رقم أي.جي، اللعنة، لا بد أنه أنهى اجتماعه بباتريك، ولكن لا يمكنني التحدث إليه الآن، فرفضت تلقي المكالمة، إلا أنني شعرت بالذنب، ولكن أحد أسباب الخلافات التي تقع بيننا يعود إلى أنني أضعت الكثير من الوقت والطاقة في التفكير في العمل بدلاً من الاهتمام به، ولا بد من وضع زواجي في المرتبة الأولى إذا أردت الحفاظ عليه.

قالت الفتاة: "سيده بيج، السيد بيج لا يردّ على هاتفه، هل تريدني مني

أن أوصلك إلى سكرتيرته؟".

قلت لها: "سيكون ذلك رائعاً، شكراً لك".

أشارت إلى هاتف في مكتب الاستقبال، فأمسكت بالسماعة، وقلت: "مرحباً جيسিকা، هل أندي في الجوار؟".

قالت سكرتيرته بدهشة: "إنه خارج المحطة اليوم".

بصفته مقدم نشرة الأخبار من غير المألوف أن يخرج إلى الميدان، ولكن ربما يقدم نشرة الأخبار من مكان بعيد عن المحطة، أو ربما يجري مقابلة مهمة، فسألته: "هل تعلمين متى سيعود؟".

سألني جيسিকা: "هل كان يُفترض أن ينتظر حضورك؟".

قلت لها: "كلا، كنت مارة بالقرب من المحطة وحسب، هل خرج من أجل إجراء مقابلة ما؟".

قالت: "لا أعلم".

يبدو جلياً أنها تراوغ عمداً، فاقشعرّ بدني، وسألته: "هل تعلمين متى سيعود إلى المكتب؟".

قالت على مضض: "في الواقع إنه لم يحضر اليوم على الإطلاق، فقد أخذ إجازة شخصية، ويقدم ديكلان نشرة الليلة بدلاً منه".

للحظة، تساءلت إن كان قد استغفني، ثم تذكرت لهجته الحادة عندما أخبرني بأنه سيتأخر عن الاجتماع الصباحي.

## الفصل 28

### مين

خلعت رداء المستشفى، وحصلت على شوكولا سنيكرز من آلة البيع، وأنا في طريقي إلى مرأب السيارات،

إن وردية الطوارئ غير ممتعة البتة، ولكن في بعض الأحيان يمكنني النوم لبضع ساعات في غرفة الاتصال، فإما أقوم بذلك أو يؤدّي تراكم السيارات المتعددة أو الانفجار الكيميائي إلى ضخ الأدرينالين، ما يجعلك تنسى أنك لم تنم لمدة اثنتين وعشرين ساعة، ولكن الليلة الماضية كانت أسوأ ما في العالمين، فقد توافد عدد هائل من الطفرات الطفيفة والطفح الجلدي الغامض ما جعلني أنهمك في العمل.

كان لدينا عدد كافٍ من مدّعي المرض خلال مناوبتي، بالإضافة إلى مجموعة من القلقين الذين لا يحبّون أكثر من المجيء إلى قسم الطوارئ في الرابعة صباحاً، وهم مقتنعون بأنهم مصابون بفيروس إيولا.

ربطت حزام الأمان، وشغلت الراديو على القناة الرابعة، فكان الوقت لا يزال ظهراً تقريباً، ويمكنني الحصول على بضع ساعات من النوم قبل حلول وقت اصطحاب آرثشي وسيدني من المدرسة، ولكن لا يبدو أن الأمر يستحقّ ذلك، فأنا قلقة على لويز أكثر مما أشعر بالنعاس حقاً.

فككت حزام الأمان بدافع مفاجئ، وتناولت حقيبتني من المقعد الأمامي، فما أحتاج إليه هو القيام بنزهة سريعة وتنشّق بعض هواء البحر، فلم يستغرق إيجاد طريقي من رويل ساسكس إلى الواجهة البحرية سوى دقائق معدودة،

وقد تميّزت تلك الواجهة بالهدوء والسكينة بشكل مذهش نظراً لكوننا في منتصف الصيف، وعندما وصلت إلى الكورنيش، أدركت السبب، فكان النسيم المنعش قادماً من البحر، وعلى الرغم من أشعة الشمس الساطعة، فقد بدا المكان أشبه بتشرين الأول مما هو عليه في تموز، وهو مشهد ساحر يبعث الراحة في النفس، فكنت بحاجة ماسة إلى تصفية ذهني حتى أفكر بتمعن في هذا المكان الرائع.

تدحرجت الحصى تحت قدمي، وأنا أتجه إلى الشاطئ، فلا فكرة لدي عما يمكن أن أفعله من أجل مساعدة لو، كما كنت قلقة من انتقالها إلى منزل أندرو، وتوليها لاحقاً تلك الوظيفة في المكان الذي تعمل فيه زوجته، ولكن ما حدث مع باغبس هو نوع آخر من الجنون، وهو الشيء الوحيد الذي تمنيت لو أنني لم أعلم به حقاً.

بصفتي طبيبة في قسم الطوارئ، عاينت حالات تعاني من متلازمة مونشاوزن عدة مرات على مرّ السنوات، وهذه المتلازمة تعدّ من أصعب الأمراض العقلية التي قد شُخصت، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن الأشخاص يتعمّدون تزييف الوقائع أو المبالغة في عرضها، ولكن بشكل أساسي يتعيّن عليهم استبعاد كل حدث آخر. والأسوأ من ذلك أن المريض يجعل شخصاً آخر مريضاً، وعادةً قد يكون طفلاً صغيراً تحت رعايته، وأحياناً قد يكون قريباً مسناً، إنه أمر مروّع بالطبع، ولكنه لا يفعل ذلك عادة لتحقيق فائدة ملموسة، مثل الحصول على المال، بل إنه يسعى لنيل التعاطف واهتمام عائلته به بشكل خاص، والأشخاص المصابون بهذه الحالة ليسوا أشراراً، بل يعانون من أمراض عقلية.

ربما يكون تضمين قط في التشخيص مبالغاً فيه، ولكن من المؤكد أنه لو حصلت على التعاطف والاهتمام الذي ترغب في الحصول عليه الآن لما وصلت إلى تلك المرحلة، ولا سيما تعاطف أندرو واهتمامه بها، وهي ليست



المرّة الأولى التي تمرّ فيها بهذا المنحنى السيء.

اندفعت الأمواج المتلاطمة نحو قدمي، فجعلتني أقفز، ثم استدرت وجلت بعينيّ على طول الشاطئ، في الحقيقة لا أريد أن أصدّق أن لو قد تقوم بعمل فظيع مثل تسميم قطها، وبالكدّ أستطيع تحمل التفكير في الأمر. ولكنني أخشى أن يكون هذا ما فعلته، فلم يرد أحد تصديق ما قالته في المرّة الماضية، عندما وقعت الحادثة المتعلقة بروجر لويسون وزوجته.

اتّضح أن الجميع كانوا محقين، وإذا كان تكرار ذلك محتملاً، فمن الأفضل معالجة المشكلة الآن ومن دون تأخير، قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة، لقد مات باغبس العجوز المسكين الأسبوع الماضي، ولكن ماذا لو - لا سمح الله - كان تولي أو بيلا الضحية التالية في المرّة القادمة؟

كلا، لن تقوم لويز بأي عمل قد يؤذي ولديها، إنها صديقتي، وأنا أحبّها، وإذا حدّرت الجميع منها الآن، فسأشعر حرباً عليها، لا يمكن إيقافها، كما لا يجب استبعاد أن أكون مخطئة، وأن من قتل باغبس قد يكون المزارع، كما افترضت بيلا، أو ربما زوجة أندرو الغيورة، إلا أنني أحتاج إلى التحدّث إلى لو، واستيعاب ما يدور في خلدّها، قبل أن أفعل ما يمكن أن أندم عليه، أو أتفوّه بكلام متسرع قد تكون عواقبه وخيمة.

قررت العودة إلى المنتزه والوثوق أكثر بلو، وإذا قالت إن المرأة الغيورة قد سمّمت باغبس، فيجب أن أصدّق كلامها، بل يجب علينا جميعاً تصديقها، وعلى سيليا التوقف عن القيام بتلك الألاعيب وأهمها الدعوة إلى الحفلة اللعينة، وإبلاغها بأننا جميعاً نساند لو.

أسرعت خطواتي وأنا عائدةً إلى مرأب سيارات المستشفى، وكانت قطرات المطر الثقيلة الأولى قد بدأت تتهاطل على الرصيف، ثم رصدت فجأةً أندرو وبيلا يخرجان من جينجر دوج، وكانا يبعدان عني حوالة مئة قدم، فبدا لي الأمر غريباً، لأن اليوم هو الجمعة، وهو يوم دراسي، ويفترض ببيلا أن

تكون في المدرسة، لا أن تكون برفقة والدها يتناولان الطعام في إحدى حانات برايتون، كما أنها ترتدي زي المدرسة، لذلك يبدو واضحاً أن اليوم ليس يوم عطلة أيضاً، ولكنني ما زلت بعيدة جداً عنهما، وهما يولياني ظهريهما، لذلك لم يلاحظني أي منهما، وكان أندرو يطوق ابنته بذراعه باهتمام، وهو يشدها إليه، ويمسح شعرها برقة.

شعرت وأنا أراقب هذا المشهد بشعور غريب وغير عادي، ولكنني لم أستطع تحديد حقيقة ما يعنيه، كما أنني لم أشعر بالراحة، وهما في مرمى بصري إلى أن تواریا عن الأنظار عند الناصية، إن ما يحدث لهذه العائلة غريب، ولا بد أن أفرادها يعانون من خطب ما، وهو خطير وغير مفهوم، وأنا أشعر بأن الوقت يوشك أن ينفد قبل وضع حد له.

## أسبوع قبل الحفل



## الفصل 29

### لويز

نقص بعض المال من حسابي، ولكنني لم أرتكب أي خطأ ولم أسئ تقدير المبلغ الذي أنفقته لملء خزان الوقود بالبنزين أو شراء بعض الحاجيات من محلات البقالة خلال الشهر الماضي، وقد سُحب من حسابي ثلاثمئة جنيه نقداً عبر بطاقة الائتمان الخاصة بي يوم الخميس الماضي، وبما أن البطاقة عادت إلى محفظتي بأمان، فالشخص الوحيد الذي يمكنه أن يفعل ذلك هو بيلا.

ليست المرة الأولى التي تقترض فيها المال مني، إلا أنه كان ينقص من حسابي عادة خمسة أو عشرة جنيهات فقط، وربما كانت تسحب تلك النقود لشراء القهوة من ستاربكس عندما تكون برفقة أصدقائها، أو لتشتري قميصاً جديداً أسود اللون كعادتها من بريمارك، ولكن لم يسبق لها أن سحبت مبلغاً كبيراً كهذا. لقد وضعتني في حالة السحب الزائد، وتسببت في إرسال تنبيه نصي إلي من البنك الذي أتعامل معه، ولكنني لا أهتم فعلاً بنقص أموالني بقدر اهتمامي بمعرفة الغاية التي سحب من أجلها هذا المبلغ. تحققت مرة أخرى من معاملاتي السابقة عبر تطبيقي المصرفي، وعندما خطر في بالي أنها قد تكون تتعاطى المخدرات شعرت بالقلق الشديد، لأن ذلك من شأنه تفسير تقلبات مزاجها؛ إنها تبلغ ستة عشر عاماً، وأعتقد أن لا مفر من تجربة المخدرات في مرحلة ما، ولكن ثلاثمئة جنيه، تعني شراء كمية هائلة من المخدرات. بينما كنت ألقى نظرة سريعة على التطبيق المصرفي، كان أخي،

لوك، يناديني في رواق منزل والدينا، وهو يقول: "هل أنتِ قادمة؟ الغداء أصبح جاهزاً على الطاولة".

قلت له: "حسناً، سأتي على الفور".

ألقيت نظرة على قائمة سحوباتي، فليس هناك أي سحوبات أخرى غير مبررة، لذلك أفترض أن هذا الأمر مهم، فلطالما كان الآباء آخر من يعلم بمثل تلك الأمور. ولكنني لا أستطيع تخيل بيلا وهي تتعاطى المخدرات، فهي متعصبة بشأن الحياة النقية ولا تتناول حتى الباراسيتامول إذا كانت تعاني من الصداع، وقد عانينا كثيراً حتى جعلناها تتناول جرعة معززة ضد التيتانوس قبل بضع سنوات. ولكن إذا لم تكن تتعاطى المخدرات، فلماذا تحتاج إلى المال؟ نادتني والدتي: "لويز!".

أسرعت إلى غرفة الطعام، فكان والدي يخرج من المطبخ وهو يحمل طبق اللحم المشوي الذي يعدّه يوم الأحد بفخر، وكأنه صياد ماهر قد طارد فريسته، فتمكّن من اصطيادها بنفسه، فأفسحت أُمي مساحة في وسط الطاولة لكي يضع الطبق، ثم سألت والدي بطريقة مجازية، كما يفعل دائماً: "هل أنال شرف البدء بهذه الوليمة؟".

قطع شرائح وردية وطرية من اللحم المشوي، بينما مرّرت والدتي قدراً فضية تحتوي على براعم بروكسل عبر المائدة، فتعمّد سيدني وارتشي ولدا لوك ومين التظاهر بالقرف، وحين وصلت مين ضربتهما على يديهما بظهر الشوكة.

سألني ارتشي البالغ من العمر خمس سنوات فجأة: "هل صحيح أن قطعك مات؟".

قال سيدني البالغ من العمر سبع سنوات بكل ثقة: "بالطبع ذلك الخبر صحيح"، ثم أخفض صوته وقال بحزن شديد: "لقد تسمّم".  
شدّ ارتشي كمي، وسألني: "هل تسمّم حقاً، يا لو؟".

رفضت دوماً أن يُطلق عليّ لقب العمّة لويز، لأنه يجعلني أبدو مثل عانس إدواردية، فأجبتّه قائلة: "أخشى ذلك، يا آرثشي، لقد تناول طعاماً ساماً، ما كان ينبغي أن يتناوله".

نظر آرثشي إلى طبقه، فسكبت مین ملعقة من الخضار التي يكرهاها في الوقت الذي لم يكن منتبهاً فيه.

سألني باستياء: "هل كان ذلك بسبب تناول البراعم؟".

بعد تناول طعام الغداء، ذهب أبي إلى غرفة الجلوس لتصفّح جريدته، بينما اصطحب لوك الولدين إلى الخارج للعب الكرة، أما أنا وأمّي ومين فتوجّهنا إلى المطبخ حتى نغسل الأطباق، ثم خرجت أمّي لتعمل في الحديقة بدلاً من رفع قدميها كما طلبنا منها، فهي لا تستطيع الجلوس لمدة خمس دقائق، حتى إذا صارت الشمس تشرق من الغرب، وقد شاهدناها عبر نافذة المطبخ، وهي تمشي حاملة المذراة في اتجاه مصطبة الطماطم الجديدة، فقالت مین: "أتعلمين أن أندرو قد زرع تلك المصطبة من أجلها".

إنني أعرف بالضبط إلى أين يتّجه هذا الحديث، فقلت لها: "مين، من فضلك لا تبدئي من جديد".

إنها تبدو كمحاولة إيقاف قطار خارج عن السيطرة، قالت وهي تضغط على المقلاة بقوة أكثر من اللازم: "إن ما يحصل لا يفيد أحداً، فعليك بالتحدث إلى سيليا، ووضعها في صورة ما يجري. قد تستمع إليك، إذا حاولت بجديّة، لأن عليك أن تتعدي عن أندرو بأسرع وقت، ولا سيما أن حياتكما قد أصبحت متشابكة للغاية هذه الأيام، وأنا متأكدة من أن سيليا دعتّه إلى الحفل بنية حسنة، ولكن الأمور تغيّرت، وأظنّ أنه ينبغي أن تدرك ذلك".

تمتت قائلة: "أنا لست متأكدةً من نواياها".

قاطعتني مین قائلة: "لقد أثارت عش الدبابير اللعين من خلال توجيه تلك الدعوة التي تسببت في كل هذا الهراء".

قلت لها: "لن أناقش تلك المسألة".

وضعت صينية الشواء على المجفف، واستدارت نحوي، فتناثرت الفقاعات التي تشكّلت على يديها اللتين كانتا غارقتين في الماء والصابون على الأرض، وقالت: "لو، أنا قلقةٌ عليكِ، فهذا الحادث المروع الذي حصل لباغبس...".

قاطعتها قائلة: "مين، أنت تعلمين كم أقدر نصيحتك".

تنهّدت بعمق، ثم قالت: "نعم، ولكنك لا تستمعين إليها البتة".

إنها تريد مصلحتي، وأنا أعلم ذلك، وهي مهما كانت قلقة عليّ، وأنا واثقةٌ من أن قلقها بدافع الحب، على عكس أي شخص آخر، ومن بين هؤلاء والدتي، التي ليس لديها نوايا خفية، وأتمنى أن أستطيع الوثوق بها وأخبارها بما علمت به بعد زيارتي والدة كاز. ولكن الاعتراف بأنني تعقّبت المرأة العجوز، وذهبت لرؤيتها، سيؤجج قناعة مين بأنني مهووسة وحسب، كما أعلم أنها تشكّ في اتهامي كاز بموت باغبس، وأنا لا ألومها على ذلك، خصوصاً وأن تاريخي العقلي، يتيح لها أن تفكّر في أنني لن أتوانى عن ارتكاب أي خطيئة.

قالت والدتي من وراء الباب الخلفي وقد أربنا ظهورها المفاجئ:

"عزيزتي مين، هل ترغبين في الخروج والانضمام إلى لوك والولدين؟ بينما يمكنني مساعدة لويز في تنظيف المطبخ".

إن مين امرأة ذكية، فعندما لاحظت النبرة الحازمة في طلبها، أدركت أنها توجه إليها أمراً، ولا تطرح عليها مجرد سؤال، فقالت لي من دون تردد: "تحذّثي إليها!"، ثم غادرت المطبخ.

وضعت أمي سلة الطماطم الخاصة بها على المنضدة، والتقطت قفازاها المطاطي، ومدّت يدها إلى الصحون الغارقة في الصابون، ثم قالت بصراحة تامة، وهي تشطف وعاء التقديم تحت الصنبور: "أنت تتعاملين مع أندرو



بشكل خاطئ يا لوييز، لقد سبق لي أن قلت لك ذلك، فالذهاب إلى لندن مثل امرأة مجنونة...".

قلت لها بوضوح: "نعم، أعلم أنه ما كان يجدر بي الذهاب إلى لندن، ولكنني كنت مستاءة".

قالت أمي: "يحتاج إلى تذكيره قليلاً بما تخلّى عنه عندما ابتعد عنك، ولكنه لا يحتاج إلى أن يُضرب على رأسه، فأنت تعلمين كم تعني الأسرة بالنسبة إليه. هو لم يتركك وحسب عندما انفصلتما، بل تركنا جميعاً، وهو نادم على ما فعله منذ ذلك الحين".

التقطت الأواني وبدأت بتجفيفها، فلا أريد أن أجري هذه المحادثة معها. ليس هناك ما يردع والدتي عندما يعلق الحديث بحلقها، ولكنها محقة في أمر واحد، وهو أنه لطالما كانت الأسرة مهمة بالنسبة إلى أندرو؛ فوالداه ماتا وهو في أواسط عشريناته، وقد عاش وحيداً حتى تزوّجنا، ولم يكن لديه أقارب يتحدث عنهم، باستثناء بعض أبناء عمومته المقيمين في سالفورد حيث نشأ، وقد احتاج إلى عائلتي الكبيرة بقدر ما كنا بحاجة إليه لملء الفراغ الذي خلّفه موت نيكى.

قلت لها متتهدة: "أمي، إنه لم يندم قط على هجري، فقد كان في إمكانه أن يحاول العودة، ولكنه لم يُبدِ أدنى رغبة في ذلك خلال السنوات الأربع الماضية".

أضافت وقد نفذ صبرها متجاهلة اعتراضاتي: "نعم، إنه يحبك، يا لوييز، وربما يعتقد أنه يحبها أيضاً، ولا أشك في أنه يحب كيت، ولكن الزواج ليس مجرد علاقة حب، وستدركين ذلك كلما تقدّمت في السن، فأندرو يودّ أن يكون جزءاً من عالم أكبر من عالمه". ناولتني طبق تقديم آخر حتى أجفّفه، وتابعت قائلة: "هذا هو سبب وصول أشخاص مثله إلى العمل في محطات التلفزة، إنهم بحاجة إلى حب الجماهير، كما أنهم يحتاجون إلى الشعور

بالانتماء، وأنا أحاول مساعدتك يا لويز، ولكنك لا تجعلين الأمر سهلاً".

قلت لها: "علام تساعديني؟".

نظرت إليّ نظرة فاحصة، ولا تزال يداها في الحوض، وقالت: "أساعدك في الحصول على مبتغاك؛ أندرو هو من تريدينه، أليس كذلك؟".

للحظة تجزأ قلبي الأحمق على الأمل، وقد عرضت أفكارى المتزاحمة مسلسلًا رومنسياً سريعاً في رأسي، وأنا أستيقظ وأندرو بكرة وقد انتشر توهج الشمس المشرقة على السرير الذي نستلقي فيه معاً، ونضحك مع طفلينا إلى مائدة الفطور، ونتجوّل جنباً إلى جنب على الشاطئ، وشعرنا يتطاير مع الرياح، بينما تحلّق طيور النوارس فوق رؤوسنا... فشعرت بألم في الراس، وقلت لأمي: "هذا ليس خياراً، يا أمي".

مدّت يدها بحثاً عن وعاء المرق، وأفرغت محتوياته اللزجة في سلة المهملات، ثم قالت: "بل إنه كذلك، وهو بحاجة إلى سببٍ منطقي للعودة، ولكن عليك أن تكفي عن ملاحظته، كما يجب أن يأتي إليك من تلقاء نفسه". قلت لها: "إنني لا ألاحقه...".

سألني مستنكرة: "ماذا تسمين الانتقال إلى منزله، والعمل في مكان عمل زوجته؟".

أجبتها قائلة: "لقد أخبرت كريس بالفعل بأنني سأترك يونيفيست ووايتفيس، وأنني أحاول أن أكون المرأة العاقلة في هذه المسألة". سألتني: "وماذا عن القط؟".

قلت لها: "لم يتخذ رجال الشرطة أي إجراء حيال ذلك، وهم يقولون إنه لا يمكن إثبات أي شيء، لذا...".

قالت أمي: "ليست كاز من سمّ قطك، وأنت تعلمين ذلك".

أجبتها: "أعلم أنه يصعب تصديق ذلك، لكن...".

قاطعتني قائلة بحدة: "لويز روبرتس، يمكنك الكذب على الشرطة، كما

يمكنك الكذب على أندرو، حتى إنه يمكنك الكذب على نفسك، ولكن إياكِ والاعتقاد أنك قادرة على الكذب عليّ".

ازدردت لعابي، وقلت لها: "كان ذلك منذ وقت طويل، يا أمي".

التفتت إلى الحوض، وكأنها تودّ أن تغسل يديها من أفعالي، وقالت: "أنا لست عمياء يا لويز، وأستطيع أن أرى ما يحدث، لقد حذّرتك من ارتكاب الخطأ نفسه في المرة الأخيرة، ولكنك لم تستمعي إلى كلامي، وإذا ارتكبت الخطأ نفسه مع أندرو كما فعلت مع روجر لويسون، فسيتتهي الأمر بالطريقة نفسها، وستندمين على ذلك".

ليس من العدل أن تذكّرني بهذه الحادثة الآن، فقد كنت في التاسعة عشرة من عمري، وكنت صغيرة كما كانت المرة الأولى التي أغرم فيها.  
من لا يرتكب أخطاء؟

كان روجر لويسون أستاذاً في جامعة أكسفورد، وكان متزوجاً، ولكنه لم يخبرني بأمر زواجه، وعندما اكتشفت زوجته علاقتنا بعد مرور شهرين، اضطرّ روجر إلى تركي، وقد أخبرني بأنها هدّته بإخبار إدارة الكلية إذا لم ينه علاقته بي، ما يجعله معرضاً لفقدان وظيفته، وربما طردي من الكلية، ولكنني كنت مغرمةً به كثيراً، ولم أستطع تقبّل انفصالنا، واعتقدت أنني إذا تمكّنت من جعل زوجته تدرك مدى حبنا لبعضنا، فلن تعترض طريقنا.

كما اعتقدت أنها ستطلق سراحه، بمجرد أن تعلم بأن حبه لها مؤوس منه، فما من امرأة ترغب في أن يبقى معها الرجل بدافع الشفقة، وبالطبع كانت الخيانة مؤلمة للغاية بالنسبة إليها، ولكن كان من المفترض أن أكون وروجر معاً، لأنه كان توأم روحي.

لذلك حاولت التحدث إليها، لأشرح لها طبيعة العلاقة التي تجمعنا، ولكنها لم تعطني فرصة، فقد أنهت المكالمة عندما اتّصلت بها، ورفضت التحدث إليّ، فأرسلت رسالة أو رسالتين بخط اليد، ولكنها تجاهلتهما أيضاً،

وبدأت بالتردد إلى مكتبها، لأنها كانت أستاذة علم نفس في كلية أخرى، ولكنها رفضت رؤيتي، وفي النهاية طلبت من بواب الكلية منعي من دخول الحرم.

أردت التحدث إليها فقط، ولكنها لم تترك أمامي أي خيار، كان روجر يلقي محاضرة مسائية كل يوم أربعاء، لذلك كنت أدرك أنه لن يكون في المنزل. ما إن فتحت جينيفر الباب حتى بدت متفاجئة، فهي لم تتوقع رؤيتي أمام باب منزلها، وقد استفدت من ارتباكها لأتمكّن من الدخول والتحدّث إليها، فكانت تحضّر العشاء، وترتدي مئزراً قديماً مخططاً باللونين الأبيض والأزرق البحري، وكان خدها قد تلطّخ بالطحين، كما كانت تحمّل سكين تقشير فاكهة في يدها اليمنى أيضاً.

إن هذه المرأة، زوجة روجر، كان تعدّ له العشاء، وتنتظر عودته إلى المنزل، وذكريات حول تلك الليلة مشوشة وضبابية، كما أنها مخيفة وعنيفة، وأتذكر أنها اندفعت نحوي، ثم شعرت بألمٍ حادٍ مفاجئ في الجهة اليسرى أسفل بطني، وقد أخبرت جينيفر رجال الشرطة بأنني أخذت السكين من يدها، وطعنت نفسي عمداً، فحاولت أن أوضح لهم أنها من هاجمتني، ولكنهم صدّقوا كلامها، واتهموني بالكذب، فقد كانت أستاذة تحتلّ مكانة رفيعة في أكسفورد، بينما كنت الطالبة التي تقيم علاقة مع زوجها المفتونة به، ومن اقتحمت منزلها. فاستصدرت جينيفر لويسون أمراً تقييدياً ضدي، وقد كنت محظوظة لأنني لم أطرّد من الجامعة.

استغرقني العلاج لأتمكّن من الاعتراف بما حدث بالفعل عدة سنوات، وقد جعلني المعالج أدرك كم كنت أرغب في الحصول على تعاطف روجر، حتى يراني الفتاة التي تواجه محنة خطيرة، فيهب لإنقاذها.

قالت المستشار القابعة في ذهني إنني المراهقة المرتبكة والمتلهفة إلى الحب، وإنني سعت لكي أكون الضحية، وأن أظهر جينيفر بدور المعتدي

عليّ، كما أردتها أن تكون. وبقدر ما كنت أشعر بالقلق، إلا أنني لم أكن أكذب، فأنا فعلاً أذكر أنها اعتدت عليّ.

حدث ذلك منذ خمسةٍ وعشرين عاماً، ولكنني الآن في الثالثة والأربعين، وقد أصبحت صحفية ناجحة، وامرأة مطلقة، وأم صالحة، وأستطيع التمييز بين الخيال والواقع، وأنا لا أختلق حالياً أي حدث من تلك الأحداث. قلت بحزم: "لست من سمّم باغبس، إن كاز تكذب، ويمكنني إثبات ذلك".

ما كنت لأخبر أُمّي بأنني تعقبت والدّة كاز، وذلك للسبب نفسه الذي منعني من إخبار مين، ولكنني أريدها الآن أن تفهم مدى خطورة كاز، فقلت لها بسرعة: "لقد كذبت بشأن كل ما يتعلّق بحياتها، يا أُمّي، بشأن هويتها، وانتمائها، وهذا ليس أسوأ ما في الأمر، فليس لديك أدنى فكرة أي نوع من الأشخاص هي بالفعل، فهي ليست كما تبدو في الحقيقة". نظرت إليّ أُمّي بجديّة، وقالت: "من تكون؟".

## جينيفر ديفيت

### الجزء الأول من المقابلة المسجلة

التاريخ: 28 - / 07 / 2020

المدة: 31- دقيقة

المكان: - كلية ليفينغستون، أكسفورد

أجرى المقابلة: شرطة ديفون وكورنوال

(تابع)

الشرطي : "حسناً، هل أنتِ والسيد لويسون مطلقان الآن؟".

ج.د "إنه الأستاذ لويسون، والجواب نعم".

الشرطي "هل يمكنني أن أسأل عن الأسباب التي دفعتكما إلى الطلاق؟".

ج.د "هل لهذا الموضوع أي صلة بارتكاب الجريمة؟".

الشرطي : "هذا ما نحاول أن نفهمه، سيدة لويسون، أم أدعوك أستاذة

أيضاً؟".

ج.د "إنني في الواقع دكتورة، وقد استعدت اسم عائلتي بعد الطلاق،

دافيت".

الشرطي : "دكتورة دافيت، لقد أقام طليقتك علاقة جنسية في تشرين الثاني

سنة 1995 مع إحدى طالباته، الأنسة روبرتس، هل هذا صحيح؟".

- ج.د "نعم، إنه صحيح، ولم تكن إحدى طالباته وحسب، بل كان مستشارها الأكاديمي، ولكن، نعم، فقد جمعتهما علاقة جنسية".
- الشرطي : "وهل تعرفين كم استمرت علاقتهما؟".
- ج.د "لا أستطيع تسميتها بالعلاقة، فقد حدث ذلك لثلاث أو أربع مرات وحسب".
- الشرطي : "هل كنتِ على علم بشأنها؟".
- ج.د "لم أعلم بها قبل أن يحاول روجر إنهاءها".
- الشرطي "هل تعلمين ما الذي دفعه إلى فعل ذلك؟".
- ج.د "أظن أنه شعر بالملل، فالإخلاص لم يكن من شيمه، وقد اكتشفت ذلك بنفسي، على الرغم من أنني أعلم بأن هذا ما قاله لعشيقتة".
- الشرطي : "هل أنهى زوجك علاقته بالآنسة روبرتس في وقت ما من العام 1996؟".
- ج.د "نعم".
- الشرطي : "ما الذي حدث بعد ذلك؟"
- ج.د "اتصلت بي تلك الفتاة، وأخبرتني بأنهما كانا على علاقة، كما قالت إنهما مغرمان ببعضهما، وتوسلت إليّ أن أتركه وشأنه، وأن روجر أخبرها بأنني هدّدته بفضحه في الكلية إذا لم يعد إليّ، (تصمت لبرهة) فهو ليس شخصاً لطيفاً كما يبدو".
- الشرطي : "هل كانت تلك المرة الأولى التي تسمعين فيها بتلك العلاقة؟".
- ج.د "كنت أشكّ في إخلاص روجر، ولكنها كانت المرة الأولى التي أتأكد فيها من خيانتة".
- الشرطي : "ما كان رد فعلك؟".
- ج.د "أخبرت روجر بأن علاقته بها ينبغي أن تنتهي، وإلا سأفصل عنه، فقد كان الأمر مهيناً، كما كانت إحدى طالباته".

الشرطي : "وهل وضع حداً لتلك العلاقة؟".

ج.د "قال إنه حاول، ولكنها لم تتقبل قراره، وقد واصلت الاتصال بالمنزل، رغم أنني لم أرّد على مكالماتها بعد اتصالها للمرة الأولى، ثم بدأت بإرسال الرسائل المؤلفة من العديد من الصفحات، بل من العشرات منها، ولا بد أنها كانت ترسل إليّ رسالتين أو ثلاث في اليوم".

مكتبة

t.me/soramnqraa

الشرطي : "هل احتفظت بتلك الرسائل؟".

ج.د "كلا، بالطبع لا".

الشرطي : "ماذا ورد في تلك الرسائل؟".

ج.د "الكلام المعتاد، (تصمت للحظات) إنها وروجر توأم روح، ويُفترض أن يكونا معاً، إنه كلام يشبه ما يرد في برنامج أوبرا، حتى إنها تردّدت إلى محاضراتي في الجامعة، وكان على البواب أن يطلب منها المغادرة".

الشرطي : "هل أبلغت الشرطة؟".

ج.د "في تلك المرحلة، لم ترتكب أي تصرف غير قانوني، ومن الواضح أنها كانت مفتونة به، ولكنني لم أعتقد أنها قد تشكّل خطراً على أحد، وافترضت أن الأمر سينتهي مع مرور الوقت (تصمت لفترة وجيزة)"، ثم أردفت قائلة: "أخبرني، كم مرة ذهبت إلى حانة أو صالة ألعاب رياضية لأنك كنت مغرماً بفتاة تتردّد إليها؟ أو انضمت إلى نادٍ كانت منتسبةً إليه حتى تتمكن من التحدّث إليها والدردشة قليلاً؟".

الشرطي : " (بضحك) لقد قضيت شهرين أتعلّم كيف أرقص السالسا لأن زوجتي كانت تدرس في ذلك الفصل".

ج.د "لقد فعلنا ذلك جميعاً، فهناك خط رفيع جداً بين السلوك الطبيعي،



إذا أمكنك تسميته، لشخص واقع في الحب، والمطاردة العنيفة التي قد تقود إلى ارتكاب أفعال إجرامية. لم أفكر في الاتصال بالشرطة لأن الفتاة تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، وقد انفطر قلبها بسبب رجلٍ غير قادرٍ على الاعتراف بالحقيقة حتى وإن واجهته بها".

الشرطي : "حسناً، لقد قابلت لويز روبرتس شخصياً للمرة الأولى عندما زارتك في منزلك، ليلة 4 فبراير 1996؟".  
ج.د "نعم".

الشرطي : "هل يمكنك إخباري بما حدث؟".  
ج.د "أنا متأكدة من أنك اطلعت على تقرير الشرطة".

الشرطي : "إن قصتيكما تتعارضان، وأفضل أن أسمعها منك مباشرة".  
ج.د "كنت أطهو العشاء، وكان روجر يلقي محاضرةً في وقت متأخر، ولكن بمجرد أن فتحت الباب عرفت هويتها".

الشرطي : "هل سمحت لها بالدخول؟".  
ج.د "لقد فاجأني حضورها، وقد دخلت من دون أن أدعوها، ولكنني لم أطردها".

الشرطي : "هل أجريتما محادثة؟".  
ج.د "ليس تماماً، فقد قالت شيئاً عن إطلاقي سراحه، وهو الكلام نفسه الذي كانت تكتبه في رسائلها، ثم أخذت السكين من يدي".

الشرطي : "هل كنتِ تحمليين سكيناً؟".  
ج.د "كنت أحضر العشاء، وأقشّر التفاح للحصول على وصفة جديدة، وهي صلصة حلوة وحامضة، يا إلهي! كم تبدو مضحكة تلك الذكريات عندما تستعيدها!".

الشرطي "ماذا فعلت بعد أن استولت على السكين؟".

ج.د "لقد حدث كل شيء بسرعة، فقد أمسكت بالسكين وطعنت أسفل بطنها، أعني طعنت نفسها بقوة، ولم يكن مجرد جرح سطحي، فقد سال الدم في كل مكان".

الشرطي : "ماذا فعلت؟".

ج.د "حسناً، للحظة تجمّدت في مكاني من هول الصدمة، ثم أمسكت بمئزري وحاولت إيقاف النزيف، ثم اتّصلت بالرقم 999".

الشرطي : "لقد ادّعت في ذلك الوقت أنك من طعتها".

ج.د "إذا كانت لك دراية بذلك، فيجب أن تعرف أيضاً أن روايتها للأحداث لم تصمد أمام التدقيق، وقد حصلت لاحقاً على أمر تقييدي ضدها، وإذا كنت أتذكّر ما حدث بالفعل، فقد أمضت بعض الوقت في مركز داخلي للإصلاح".

الشرطي : "حسناً، هل كانت تكذب؟".

ج.د "الأمر ليس بهذه البساطة، فأنا متأكدة من أنك تعلم، أن الذاكرة راوية غير موثوق فيها مطلقاً، أيها المحقق، إننا نعتقد جميعاً أن الذكريات مخزّنة في أدمغتنا تماماً كما في الحواسيب بمجرد تسجيلها، فهي تخزّن البيانات وتحفظها، ثم يمكننا استعادتها في نهاية المطاف، فالحقائق لا تتغير، ولكن الحقيقة هي أننا في كل مرة نتذكّر فيها ذكرى ما، نعيد بناء الحدث، كما نعيد تجميعه من آثار ذكريات نعثر عليها في شتى أجزاء الدماغ، كما نقوم أيضاً بقمع الذكريات المؤلمة أو التي تلحق بنا الأذى عبر احترام الذات، ثم تعيد ذكرياتنا تشكيل نفسها لتلائم المواقف الجديدة التي نجد أنفسنا نواجهها، فالذاكرة عنصر مرّن".

الشرطي : "لست متأكداً من أنني فهمت ما شرحتة للتو".

ج.د "ببساطة، كانت لويز روبرتس طبيعية للغاية لأنها صدّقت كل ما

قالتة، وهذه هي الطريقة التي تذكّرت بها ما حدث بالفعل، ما

جعلها تجتاز اختبار كشف الكذب، وهذا يؤكّد كلامي".

الشرطي : "هل تقولين إنها لا تعرف الفرق بين الحقيقة والخيال؟".

ج.د "نعم، إن جاز التعبير".

الشرطي : "أنت طيبة في علم النفس، أليس كذلك؟ هل تعتقدن أنها كانت

مجنونة؟".

ج.د "أعتقد أنها كانت في حالة حب، والحب نوع من الجنون ألا

تعتقد ذلك؟".



## خمسة أيام قبل الحفل



## الفصل 30

### كاز

أعرف أن ذلك ليس سهلاً، ولكنني إذا لم أسأله، فلن أسامح نفسي أبداً. إن باتريك رجل يحسن اتخاذ القرارات العملية، ويعرف تماماً ما سينتج عنها في نهاية المطاف، كما أنه ذكي ولبق، ولو حضرت الاجتماع يوم الجمعة الماضي، بدلاً من أن أطارد أندي، ربما كان في إمكاني الدفاع عن أي. جي. والحيلولة دون حصول ما جرى في ذلك اليوم".

قلت قبل أن أجلس: "إذا تحتم علينا العثور على من يتحمل مسؤولية حادثة فاين، فيمكنك أن تلومني بشأنها، يا باتريك، فأنا مديرة الحساب والشخص الوحيد الذي عليك بأن تطرده، إذا أردت معاقبة المسؤول عن تلك الكارثة".

شعرت فجأة بالضيقة، وبجفاف في حلقي من شدة توتري واضطرابي، فحدق إليّ باتريك لبرهة، ثم مدّ يده إلى مكتبه، وهو لا يزال صامتاً، وأخرج علبة مناديل، فسحبت منديلاً وعطست فيه، وأنا أكبح نفسي عن أن أجهش بالبكاء".

إنني أحتقر النساء الضعيفات اللواتي يبكين في العمل، ولا أزال أستطيع سماع صوت أمي المرعب، كلما ارتجفت شفتاي، وأنا طفلة صغيرة: هل تعتقدين أن البكاء سيعيد إليك والدك؟

قال باتريك، وهو يُعيد علبة المناديل إلى مكانها، بينما كنت أحدق بثبات إلى حضني: "آسف حقاً بشأن أي. جي، إلا أنني لم أتخذ هذا القرار بتسرع،

لأننا نعلم جميعاً أن تفكيره قد تشتت لفترة من الوقت، وقد تغاضيت عنه أكثر من مرة، ولكن الأوضاع المادية سيئة في الوقت الراهن، بعد أن فقدنا الكثير من المشاريع بسبب حادثة فاين. كما أن أي. جي لم يعد يلتزم بالمواعيد، وبات يتخطى الحدود، وأصبح يشكّل عبئاً ثقيلاً على الوكالة، لن نستطيع أن نتحمّله".

إن باتريك مخطئ في رأيه، فأَي. جي لا يزال ملتزماً بمواعيده بدقة، ولكنه يلتزم بها في مكان آخر، وأنا الملامة على ذلك، فقد أضاع وقته في إصلاح أخطائي على حساب مصلحته، كما أنني لست مشهورة بالإبداع، ولا أتحمّل بالصبر والاندفاع إلى تشجيع أفراد فريقَي على إتقان عملهم الذي يتقاضون رواتبهم مقابل القيام بها، ولكن أي. جي قد قام بعمل رائع من خلال تحفيز فريق التصميم على العمل بلهفة وحماسة، وجعلهم يشعرون بالبهجة في أثناء أداء عملهم، ولكن الالتزام بسياسة المكتب لم تكن أبداً من أولوياته، لذا لا يمكنني السماح له بتحمل عواقب أخطائي بعد أن امتنع عن أن يدافع عن نفسه: "إنه جرو لابرادور في عالم من فصيلة روتويلر".

قلت له: "باتريك، إنني أحتاج إلى أي. جي في يونيفيست، فأنا مثقلة بأعباء العمل، ولن أستطيع تحمل خسارته، وبما أن تينا تحبّه، يمكننا تعديل بعض المهام، وجعله حصرياً على حساب يونيفيست...".

قال باتريك بحزم: "إن هذا القرار يعود إلى يونيفيست".

فجأة انقلبت عليّ المعايير، فيونيفيست تعني تينا، وتينا تعني لويز، ما جعلني أكفّ عن القتال، والافتناع بأنني خسرت المعركة، فلن يخاطر باتريك أبداً بإغضاب تينا، وهي ولويز صديقتان مقربتان أكثر من تقارب طبقتين من الطلاب، وقد أشعرني ذلك، وكأنني قد بترت للتو ساقِي، فكان أي. جي إلى جانبي طوال فترة عملي في وايتفيس، ولا أستطيع تخيل العمل من دونه، كما لا أعتقد أنني كرهت لويز أكثر مما كرهتها في هذه اللحظة.



غادرت مكتب باتريك، واتجهت مباشرة إلى الحمام، وحبست نفسي في إحدى الحجرات حتى أتمكن من البكاء بسلام؛ فلا يقتصر الأمر على خسارة أي. جي فقط، بل على خسارة كل ما بنيت في حياتي. لم يعد باتريك يثق بي، وإلا لكان طلب حضوري عندما طرد أي. جي الأسبوع الماضي، ووظيفتي أصبحت على المحك، مع أنني لم أعد متأكدة من أنني أود الاستمرار بالعمل في الوكالة بعد الآن، كما أنني لا أزال أجهل حتى الآن المكان الذي قضاه أندي يوم الجمعة، مع أنه عندما عاد إلى المنزل، وسألته عن سير العمل، نظر إلي من دون أن يرف له جفن، وقال وهو يكذب إنه كان في الاستوديو طوال اليوم، ولكنني كنت أتبع هاتفه المحمول، وأنا أعلم مسبقاً أنه قضى اليوم في برايتون برفقتها.

إذا علم أندي أنني ثبتت برنامج تجسس خفي في هاتفه، فسُجِنَ جنونه، ولكنني لست حمقاء، فالطبع قد غلب التطبع، وعندما رنّ هاتفني المحمول، شعرت بالدهشة، فتنفّست بعمق، وحبست دموعي، ثم ضحكت غير مصدقة الاسم الذي ظهر على الشاشة. إن وقاحة هذه المرأة مطلقة، ولا يتقبلها العقل، ولو كانت لويز قريبة مني الآن، لكنت سأجعلها تبتلع الهاتف حتى تختنق به.

بعد ثوانٍ رنّ الهاتف مشيراً إلى ورود رسالة:

أين أندرو؟

تجاهلتها، ثم وصلتني رسالة نصية أخرى، إنني في قسم الطوارئ برفقة بيلا، وهو لم يذهب إلى العمل، كما أنه لا يجيب على هاتفه. لقد أقلقني رسالتها قليلاً، ماذا تفعل في قسم الطوارئ؟ إنني أحب تلك الفتاة على الرغم من أنها صعبة المراس أحياناً.

بعثت إليها رسالة: هل هي بخير؟ ماذا حصل لها؟

\*\*\*

ظللت أنظر إلى النقاط الرمادية الثلاث، وأنا أنتظر الرد، ولكن النقاط اختفت فجأة، دون أن تجيب عن رسالتي، فأعدت إرسال رسالتي من جديد، وعندما لم ترد أي إجابة منها، اتصلت بها، فحولني هاتفها المحمول إلى البريد الصوتي مباشرة، ثم حاولت الاتصال بأندي، ولكنه لم يرد علي أيضاً. أرسلت إلى لويز رسالة أخرى، وقد بدأت أشعر بالتوتر: في أي مستشفى؟ هل بيلا على ما يرام؟

لا إجابة، ولكن إن كانت هذه إحدى خدعها فسوف....

إن عيوب لويز عديدة، ولكنها بالتأكيد لن تخترع وقوع حادثة طائرة لابتها لكي تعبث بي، فربما اضطرت إلى إغلاق هاتفها داخل المستشفى، أوه، يا إلهي، إذا أصاب بيلا أي مكروه، فسيفطر قلب أندي، بل سيفطر قلبي أيضاً، لا يمكنني الجلوس مكتوفة اليدين، وأنا أنتظر مكالمة أخرى من لويز. سأضطر إلى الذهاب إليهما، فلا بد أنهما في مستشفى رويل ساسكس في برايتون، لأنه الأقرب إلى مدرسة بيلا.

خرجت من حجرة الحمام، وسرعان ما عدلت مكياجتي، ولكنني لن أكلف نفسي عناء إخبار أي شخص بأنني سأغادر المكتب، وبصراحة لم يعد يهمني إن طردني باتريك، فمن دون أي جي، لن أبقى في وايتفיש بعد اليوم، فلديّ خبرة كافية تمكّني من العثور على وظيفة أخرى في إحدى كبرى الوكالات، كما يمكنني تدبير فرصة عمل لأي جي أيضاً، ليعمل معي. حاولت مراراً الاتصال بلويز وأندي، وأنا أستقلّ القطار من فيكتوريا إلى برايتون، فأخبرتني سكرتيرة أندي بأنه ليس في العمل اليوم أيضاً، ولكنني هذه المرة لا يمكنني أن أهتم بمعرفة مكانه، فمن الواضح أنه ليس برفقة لويز على الأقل، وإلا ما كانت لتكلف نفسها عناء الاتصال بي، ولكن هاتفه لا يزال مغلقاً، لذا لا يمكنني أن أقتفي أثره. أسندت رأسي إلى زجاج نافذة القطار البارد، وأغمضت عيني، فقد تعبت من كل هذه الأكاذيب، ولا أعرف ما الذي أقاتل

من أجله بعد الآن.

ما زالت لويز لا تردّ على رسائلي رغم انقضاء ساعة، فأقلتني سيارة أجرة من المحطة إلى المستشفى، وركضت إلى قسم الطوارئ، وأنا محمومة للحصول على معلومات حول حالة بيلا. ابتسمت لي عاملة الاستقبال ابتسامة تنمّ عن التعب والإرهاق، كما بدا واضحاً أنها تبتسم هذه الابتسامة الباردة للأقارب واليائسين الذين يبحثون عن آخر الأخبار، فالتفتت إلى حاسوبها من دون أي تعليق، عندما أعطيتها اسم بيلا، نقرت بهدوء على لوحة مفاتيحها، بينما كنت أمسك بحافة المنضدة، وقد ابيضت براجم أصابعي، وسألتها: "هل هي بخير؟".

قالت المرأة بجفاء: "أخشى أنني لا أستطيع إخبارك بحالتها، هل أنت أحد أفراد عائلتها؟".

قلت لها: "نعم، فأنا زوجة والدها".

رقت ملامحها، وهي تقول: "حسناً، إنك لا تعتبرين من أفراد عائلتها المقربين"، فكبحت نفسي عن لقمها على أنفها، وقلت لها بإيجاز: "إنها بمثابة ابنتي".

ردت قائلة: "هل يمكنك الجلوس قليلاً، وسيأتي شخص لمقابلتك بعد قليل".

نظرت إلى الأبواب المزدوجة الواقعة إلى يمين مكتب الاستقبال، وأنا أفكر في الجري واجتيازها للبحث عن مكان بيلا بنفسي، ولكنني حاولت أن أهدئ من روعي، وأعود إلى منطقة الانتظار، فاتجهت إلى آلة البيع، وضغطت على بعض الأرقام للحصول على قهوة سوداء، ثم تذكرت أنني لم أتناول الطعام طوال اليوم، فأضفت إليها علبة صغيرة من البسكويت، وعندما وصلت إلى صندوق البيع، فجأة ظهرت بيلا وهي جالسة على سرير صغير في الممر من جهة اليسار، وقد غطت الضمادات رأسها، ولكنها كانت تتصفح هاتفها،

وبحسب ما يظهر تبدو وحدها.

تخلّيت عن قهوتي وعلبة البسكويت، وأسّرت نحوها، فصرخت قائلة:  
"بيلا! هل أنت بخير؟ ماذا حدث؟ لقد أقلقني ما أصابك!"  
نظرت إلى الأعلى، مندهشة، وقالت: "ما الذي أتى بك إلى المستشفى؟"  
قلت وأنا أتلقّف حولي: "لقد راسلتي والدتك، وقالت إنها تحاول  
الوصول إلى والدك، ولكن أين هي؟".

قالت: "لقد ذهبت لكي تجلب السيارة، فقال الطبيب إنه يمكننا العودة  
إلى المنزل، ولكنه حذّرني من أن أمشي في أي مكان لفترة قصيرة، وبما أن  
أمي قد ركنت السيارة على بعد أميال، فقد ذهبت لإحضارها".  
جلست على كرسي بلاستيكي صلب بجانب سريرها، وسألتها: "ما الذي  
أصابك؟".

قالت بسخرية: "لا شيء، فقد أصابت رأسي كرة مرتدة، ولا داعي للقلق،  
فلم أكن ألعب، بل كان لدي وقت فراغ، ولم أشعر بالرغبة في الدراسة، لذلك  
ذهبت لمشاهدة المباراة، وكل ما في الأمر أنني لم أكن محظوظة".  
سألتها: "هل أغمي عليك؟".

أجابتنى: "نعم، وكما تعلمين، فإن كل ما يقولونه حول الإغماء صحيح،  
فقد رأيت النجوم تدور فوق رأسي بالفعل، كما تقيأت أيضاً، وقد اتّصلت  
إدارة المدرسة بسيارة إسعاف، ما أفزع أُمي تماماً، وجعلها تتّصل بالجميع،  
وأنا آسفة حقاً لأنك أتيت مسرعة إلى المستشفى من أجل لا شيء".

قلت وأنا أشدّ على يدها: "إنها والدتك، ومن الطبيعي أن تفزع، وأنا لم  
أحضر من أجل لا شيء، فقد حضرت لأطمئن إلى سلامتك، فقد تعرّضتُ  
لحادث مماثل عندما كنت في الكلية، وقد أصابتنى كرة كريكت، وقد شعرتين  
ببعض الصداع لبضعة أيام، ولكن عليك بالاسترخاء قليلاً فقط، وستكونين  
بخير".

قالت لي: "يمكنني الاسترخاء إذا لم تدفعني أُمي إلى الجنون أولاً". سألتها، محاولةً المحافظة على نبرة صوتي عادية: "هل اتصلت بوالدك أيضاً؟".

أجابني: "لا أعتقد، فهو لا يزال في العمل، أليس كذلك؟ وإن كان يجري مقابلة فلا يردّ على الاتصالات الهاتفية أبداً".

انضمّ إلينا أحد الممرضين وسحب ستارة الخصوصية، وابتسم ليلاً، وسألها: "أيمكنني أن أجري لك فحصاً سريعاً لضغط دمك قبل أن تغادري المستشفى؟".

ربط كفاً حول ذراعها، ورفع كم قميصها، ثم قاس نبضها، فسحبت بيلاً كمها بسرعة إلى الأسفل، ولكن سرعتها لم تكن كافية، وقد تطلّب منع ظهور الصدمة على تعابير وجهي جهداً كبيراً.

قال الممرض وهو يفكّ الكف: "إن كل شيء على ما يرام، ولكن لا مزيد من صد الكرات برأسك، اتفقنا؟".

أومأت إلى بيلاً بوهن، وبمجرد أن رحل، أمسكتُ بذراعها، ولكنها انتزعتها بقوة، فقلت لها بهدوء: "بيلاً، ما الذي أصابك؟". همست قائلة: "لا شيء".

تردّدت للحظة، ثم رفعت تنورتي بما يكفي لترى الجزء العلوي من فخذتي، وقلت لها: "هذا ليس لا شيء".

حدّقت إلى الندوب المتقاطعة والشاحبة، والتي تظهر على ساقتي، إنها غير مرئية الآن تقريباً، ولكنني أعلم بأن آثارها لن تزول، كما أعلم أنها لطالما كانت واضحة وجليّة.

لقد مرّت سنوات منذ أن ألحقت الأذى بجسدي، ولكنني لا أزال أذكر ما كنت أشعر به من إحساس يشبه اللدغة التي تسبق النزيف تماماً، ويتبعها الإفراج المفاجئ عن كل مشاعر الخوف والغضب والألم المكبوتة في داخل

جسدي، وهي المشاعر التي كنت عاجزةً عن التعبير عنها. وبعد استرجاع ذكريات الماضي، لا يمكنني أن أتذكر يوماً واحداً من أيام طفولتي لم أشعر فيه بالحزن والألم، فكنت أستلقي على أرضية غرفة نومي، وأنا بالكاد أستطيع التنفس، لذلك كنت دوماً فتاة غاضبةً وبائسة، كما كنت أبكي لساعات طويلة، وقد كرهت نفسي لكل ما لا أستطيع السيطرة عليه. ولم يكن ذلك خطئي، فقد كنت مكتئبة وأكاد أن أفقد عقلي نتيجة الظروف القاسية المحيطة بي، والطريقة الوحيدة التي استطعت التغلب بها على الألم كانت عبر الانغلاق العاطفي، والانكماش على نفسي، لكي تتلاشى كل المشاعر والأحاسيس.

كنت فتاة صغيرة، ولكن بغض النظر عن مدى شعوري بالإحباط، وبأنني فتاة ميتة من الداخل، ولا روح فيها، فإن التوق إلى الحياة كان مثل الماء الجاري، الذي يشق طريقه عبر الصخور الصماء، وأنا كنت أرغب بشدة في الشعور بالحياة مرة أخرى، فقد مرّ وقت كان فيه الجرح الوسيلة الوحيدة التي تشعرني بأنني على قيد الحياة، وعندما كنت أجرح نفسي كنت أشعرت بأنني حية على الأقل.

عندما علمت والدتي بالأمر، ضربتني بعنف وصرخت فيّ، ثم بدأت أجرح نفسي جروحاً أعمق حول ضلوعي وعلى خاصرتي لإخفاء الندوب، ولم أستطع التوقف، وقد اعتقدت أنه ينبغي أن أقتل نفسي، لذلك لم أكرث للندوب، كما لم أكن أتخيّل أن يكون مستقبلني مشرقاً.

كانت أنجي الوحيدة التي تعلم بما يصيبني بالإضافة إلى والدتي، وقد قالت لي بمرارة: "لقد ألحق بك كل هذا الأذى، فلا تسمح له بالتغلب عليك، فأنت فتاة قوية، أليس كذلك؟".

كنت أعلم أنها مُحقة، ولكن ذلك لم يحدث أي فرق، وأخيراً استطعت توجيه غضبي إلى شخص آخر لأتجنّب أذية نفسي، وعندما حاولت والدتي شق نفسها، لم تكن تمتلك الحق في الانتحار، لأنها كانت تعلم بما يحدث

خلف باب غرفة نومي المغلق، ومع ذلك لم تفعل شيئاً لإنقاذي، لماذا يتسنى لها أن تسلك الطريق السهل، بينما كنت أدوس على الأشواك وأتألم؟  
عندما التحقت بالكلية، طلبت الاستشارة، وقد ساعدني ذلك كثيراً، إلا أنه استغرق وقتاً طويلاً، وغالباً ما شعرت كما لو أنني كنت أتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، ثم ينتهي بي المطاف إلى التراجع خطوتين إلى الوراء، وقد تجنبت إقامة العلاقات الحميمة، وتكوين الصداقات، كما أبعدت والدتي عن حياتي، وفي النهاية توقفت عن الرغبة في إيذاء نفسي، ثم عثرت على أندي، وللمرة الأولى عرفت معنى طعم السعادة.

لكنني أتساءل الآن: هل كانت كراهية الذات في الماضي، هي التي دفعتني إلى الوقوع في حب رجل كان دائماً، يجعلني أشعر بأنني أحتل المرتبة الثانية؟ وهل أستحق كل ما شعرت به نحوه؟

مهما كان دافع بيلا إلى القيام بذلك، فلا يمكنني تحمل شعورها بهذا الألم، فالغضب الذي اعتقدت أنني كنت أروضه منذ فترة طويلة، عاد ينبض بالحياة مرة أخرى، ولكن هذه المرة لديه هدف جديد، فقلت لها: "لن أسألك عن الدافع، ولكن عليك بالتحدث إلى شخص ما حول هذا الأمر".  
قالت مستاءة: "كلا، لا يمكنك إخبار أي شخص بما رأيته!".  
قلت: "بيلا".

قاطعتني قائلة: "من فضلك يا كاز، سيرسلونني إلى طبيب نفسي، ولكن أعدك بأنني سأحاول أن أكف عن القيام بأذية نفسي".  
أعرف أكثر من أي شخص آخر مدى صعوبة الكف عما تقوم به بيلا، وحتى لو تمكنت من التحكم في أذية نفسها، فهذا لا يعني أنها ستكف عن إيذاء نفسها، فهناك العديد من الطرق لإيذاء النفس، ومن بينها الإدمان على الشراب، وتعاطي المخدرات، وإقامة العلاقات الضارة.  
لكنني أعلم أن بيلا بحاجة إلى من يستمع لها أيضاً، وفي الوقت الحالي

لا يهتمّ والداها بمشاكلها. وبما أنني مررت بما تمرّ به، فهي بحاجة إلى شخص يمكنها الوثوق به، لا إلى شخص يملي عليها ما يتحتّم عليها أن تفعله. قلت لها وأنا ممسكة بكلتا يديها، وقد أرغمتها على النظر إليّ: "في المرة القادمة التي تشعرين فيها بالرغبة في جرح نفسك، اتصلي بي ليلاً أو نهاراً، عليك بأن تتصلي بي، هل اتفقنا؟".

ردّت بإيجاز: "نعم".

عانقتها بشدة، وأنا أجهل من أو ما الذي يدفع هذه الطفلة الجميلة والذكية والمرحة إلى إيذاء نفسها بهذه الطريقة العنيفة، ولكنني سأكتشف ذلك، ثم سأضع حداً لمأساتها، مهما كلفني الأمر.



## الفصل 31

### لوزير

كنت في طريقي إلى إحضار السيارة من مرأب المستشفى، عندما اتصلت بي مين، فقلت لها، وأنا أسند الهاتف إلى عنقي وكتفي، بينما كنت أبحث في حقبتي عن مفاتيح السيارة: "لا أستطيع التحدث إليك الآن، سوف أخرج بيلا من المستشفى، لذلك أنا في طريقي إلى إحضار السيارة لإيصالها إلى المنزل".

سألني قائلة: "ماذا قال لك الطبيب؟".

قلت لها: "كانت جميع فحوصاتها سليمة، والحمد لله، وليس هناك أي تورم أو نزيف في المخ".

رددت مين قائلة: "الحمد لله".

عندما استحضرننا ذكرى نيكي، عمّ الصمت للحظات. في البداية كان أخي بخير وصحته سليمة، ولكن بعد الحادث الذي تعرّض له، تخبّط قليلاً في بعض المشاكل الصحية، وبالتأكيد قد تعرّض لكسور في عدة ضلوع، بالإضافة إلى الكثير من الكدمات، كما أصيب بجرح عميق إلى حد ما على جبهته، بعد أن اصطدم بالزجاج الأمامي، ولكن الطبيب أكدّ لأمي أن الإصابات لم تكن خطيرة إلى درجة أنه لا يمكن للزمن أن يشفيها.

إلا أن نيكي لم يكن لديه الوقت بالطبع، فقد توصل اختصاصي علم الأمراض إلى أنه كان يعاني مما يسمّى بمتلازمة التأثير الثاني، وهو عندما يتضخّم الدماغ بسرعة وبشكل كارثي، بعد أن يعاني المريض من ارتجاج ثانٍ

قبل أن تزول أعراض المرض السابق. لم يكن لدينا أي وسيلة لمعرفة خطورة وضعه حتى وقع الحادث، فقد وقع على الأرض خلال مباراة الركبي قبل ثلاثة أسابيع، فكانت إصابة طفيفة، ولكنه نهض مباشرة وواصل اللعب، ولم يذكر ما حدث له عندما عاد إلى المنزل. ولكن وقوعه في أثناء مباراة الركبي أدت إلى إلحاق أذى طفيف في دماغه، ثم أدى حادث السيارة إلى إطلاق سلسلة من الإصابات المتتالية في رأسه، والتي قضت عليه، ولا سيما بعدما وقعت الممرضة أوراق تسريحه من المستشفى.

لا يهمني ما يقوله الطبيب الآن: فلن أسمح لبيلا بأن تبعد عن ناظريّ.

قالت مين: "اسمعي، سأتركك وشأنك الآن، مع أنني أردت التحدث إليك حول مسألة ما، فهل يمكنك الاتصال بي عندما يستقرّ الوضع؟". قلت لها: "بالتأكيد، هل هناك خطب ما؟".

أجابني: "لا، لا، بتاتاً، إنها مسألة يمكنها الانتظار".

وعدها بالاتصال بها لاحقاً، ثم قادت السيارة في اتجاه قسم الطوارئ، وأرسلت رسالة نصية إلى بيلا، لأبلغها أنني في الخارج، وبعد لحظات خرجت ابنتي تحت ضوء شمس تموز الحارة، ورأسها ملفوف بالضمادات، فتركت المحرك يعمل، واتجهت إليها لمساعدتها على ركوب السيارة، ولكن كاز كانت قد سبقتني إلى فتح الباب لها.

إنها المرة الأولى التي أراها منذ الليلة التي سافرت فيها إلى لندن، وواجهتها بشأن موت باغبس، فغرزت أظفري في راحتي يديّ كابحة الرغبة في اقتلاع عينيها، وسألتها: "ما الذي تفعلينه في المستشفى؟".

فصلت بيلا بيننا، وقالت بحدة: "لقد جاءت لتطمئن إلى حالتي، وكان تصرفها في غاية اللطف".

قالت لي كاز: "لقد تلقيت رسالتك، لويز، فقلقت بشأن بيلا عندما

لم أتلقَ رداً منك، لذا اضطررت إلى القدوم والتأكد من أنها بخير وبصحة جيدة".

قلت مستهزئة: "كم تبدو لفتتك ومدروسة بعناية وذكاء، ولكن لم يكن من داع لحضورك، فكل الأمور على ما يرام".  
قالت لي: "يبدو واضحاً أنني لم أكن أعرف ذلك، لأنك لم تردّي على رسائلي".

إن وجود بيلا إلى جوارِي، والتوتر الذي يظهر جلياً من خلال اهتزاز كتفيها، جعلني أضبط أعصابي، ولكنها لن تعرف أبداً كم يكلفني أن أكون متحضرةً مع هذه المرأة، فقلت لها، وأنا أبتسم ابتسامة صفراء: "لقد نسيت أنه لا يُسمح باستخدام الهواتف في المستشفى، فاضطررت إلى إيقاف تشغيله، لذا أعتذر إليك لأن رحلتك قد ذهبت هباءً".

سألتها بيلا: "ماذا عن أبي؟ هل هو قادم أيضاً؟"

تردّدت كاز لفترة طويلة قبل أن تقول: "إنه في العمل، وقدمه يعتمد على الوقت الذي سينتهي فيه عمله".

كانت صوتها خافتاً ما يمكنها من الإيحاء بشكل مخادع وخفي بأن الوضع طبيعي، ولكنني تمكّنت من اكتشاف تلك الملاحظة المرتجلة من خلال نبرة صوتها التي بدت سريعة ومزيجاً من الشك والخوف والإنكار، كما كانت نبرة صوت امرأة تتساءل عن مكان زوجها، وبرفقة من يمضي يومه، وقد لاحظت ذلك بوضوح، فقلت لها معترضة بسرعة ومن دون تردد: "إنه ليس في العمل، فقد اتّصلت بـ أي. إن. إن هذا الصباح، وقالوا إنه أخذ اليوم إجازة".

قالت لي: "إنه في الميدان".

ردّدتُ قائلة: "لم يكن هذا ما قالته سكرتيرته، فجيسिका تعرف دائماً مكان وجوده، وقد قالت على وجه التحديد إنه ألغى التصوير الذي كان معداً في

ظهيرة هذا اليوم، حتى يتمكن من أخذ يوم إجازة، ألم يخبرك بذلك؟".  
أجابت كاز: "أنا لا أراقبه".

ابتسمت ابتسامة ساخرة، وقالت: "ربما يتحتم عليك أن تراقبيه".  
بدت نظراتها فاترة، وهي تبتسم وتقول: "لم أكن بحاجة إلى القيام بذلك أبداً".

فجأة ركبت بيلا السيارة، وقالت وهي تربط حزام الأمان: "لا يجب ترك المحرك يعمل، يا أمي، فإن ذلك يسيئ إلى البيئة".

انطلقت في السيارة في اتجاه المنزل بعد مغادرة المستشفى، ثم توقفت لفترة وجيزة أمام منزل والدتي لأجلب تولي، ولكنني لم أبق طويلاً، لأتحدث إليها كما أفعل عادة، وبصرف النظر عن تضاؤل قلقي لعودة بيلا إلى المنزل، فلا أزال غاضبةً جداً عليها بعد الخلاف الذي وقع البارحة، فلا شك في أنني سأتجاوز الأمر، ولكن ذكر اسم روجر كان بمثابة صدمة قوية على وجهي، فلم يكن ما حدث مع جينيفر لويسون أفضل أوقاتي بالتأكيد، ولكن ذلك قد حدث منذ زمن طويل. أما بالنسبة إلى كاز فالوضع مختلف تماماً، فأنا لا أفبرك كل ما تفعله بعائلتي، ولكن، لم لا يصدّقني أحد؟

تناولت بيلا وعاءً كبيراً من حساء الطماطم من دون أي شكوى على العشاء، لذلك تضاءل قلقي بشأن حالتها الصحية قليلاً، فأرسلتها إلى غرفة نومها لتستريح، ثم حمّمت تولي، ووضعت في الفراش، وبعد ذلك سكبت لنفسني كأساً كبيرة من تيسكو بلونك الرخيص الثمن، وخرجت إلى الحديقة. مرّ وقت طويل، وأنا جالسة على الكرسي في إحدى زواياها محتضنة كأس النبيذ، كم أحب هذا المنزل! فهو منزلي الوحيد الذي يعرفه الولدان منذ ولادتهما، ولكنني بصراحة لست متأكدة من المدة التي يمكننا توفير متطلبات العيش فيه، فقد تعرّضت مواردنا المالية لاضطرابات شديدة، أحدثت الفوضى في حياتنا إلى أن عملت في وايتفيس، وبعد أن

أخسر هذا العمل، سنواجه مشكلة خطيرة، فلا أريد الاعتراف بذلك، ولكن جزءاً كبيراً من أخذ الثأر السخيف من كاز كان خطئي، فما كان يجدر بي الانتقام منها بالطريقة التي انتقمت بها، ولكنني لا أفهم ما الذي تسبب في كل ذلك.

إننا نخوض حرباً باردة على مدار السنوات الأربع من دون أن تضغط إحدانا على الزناد، ولكن ما الذي أوصلنا إلى ما نحن عليه الآن؟

غرزت قدمي العاريتين في العشب الجاف، وظللت أهرز الكرسي ذهاباً وإياباً، بينما كان لون السماء يتحول من الوردي إلى النيلي، ولكنني لا أستطيع أن أسامح كاز ولو قليلاً، بعد أن انتهى المطاف بأنندرو إلى اللجوء إلى أحضانها بعد أن طردته من حياتي، ورحل بعيداً. ولو أنني لم أفشل في الحفاظ عليه، ما كان ليتركني، وربما أحصد الآن ثمار البذرة التي زرعتها سابقاً، عندما أدركت أنها لن تشعر أبداً بالأمان، لأنها ليست خياره الأول.

لقد أصبح النيذ دافئاً بعض الشيء، ولكنني شربته دفعة واحدة، فما فعلته لأنندرو لم يكن أسوأ مما فعله بي، وكان الاختلاف أنه لم يستطع أن يغفر هفواتي. لقد اكتشفت علاقته الغرامية بأكثر الطرق التقليدية المبتذلة، عندما ترك هاتفاً في جيب سترته، وخرج ليمارس رياضة الركض في إحدى صباحات أيام الأحد، وقد عثرت عليه عندما سمعت صوت رنينه، فلم أكن امرأة غبية، وقد عرفت على الفور ما كان يعني وجود هاتف ثانٍ في جيبه، لقد كان أندرو يحصل على أحدث تقنيات الغناء والرقص، وكان هذا الهاتف الثاني والسري رخيص الثمن، وقد سجّل رقماً واحداً فقط في قائمة المكالمات. وإذا لم يفلح ذلك الهاتف في اكتشاف خيانتة، فقد أرغب في مواجهته في اللحظة نفسها التي يعود فيها إلى المنزل، والبذاء بالصراخ والبكاء وتغيير الأقفال، إلا أن غريزة عميقة قد دعنتني إلى أن ألعب هذه اللعبة الطويلة الأمد.

إن كان تلك الفتاة الشقراء الجميلة التي تظهر في صور السيلفي المخزنة في هاتفه، وهي تحتضنه، وقد ارتدت سترة بوفالو الوردية وبنطال الجينز الضيق. وبغض النظر عن مكانة تلك المرأة في حياته، فلم تكن قد حظيت بميزة بيلا لأكثر من عقد من الزواج، وقد تشابكت الحياة مع الأصدقاء والعائلة، وكنت الشخص الذي يحبه، كما كنت متأكدةً من ذلك، وبطريقة ما تمالكت نفسي ولم أقل شيئاً، وإذا استرجعت الماضي الآن لا أعرف كيف تمكنت من الاستيلاء عليه، فأعتقد أنه قد دفعني إلى الجنون قليلاً، ولكنني لأشهر خلت انتظرت، ودعوت أن تنتهي تلك العلاقة من تلقاء نفسها، وخلال ذلك الوقت عانيت من الألم والوحدة، وكنت أتظاهر بأنني لا أعلم بأنه يتصل بعشيقته، وعندما كان يذهب بعيداً بحجة إجراء اتصال عمل، سمحت له بأن يعتقد أنه أفلت من العقاب عندما اختفى لمدة ستة أيام في مهمة إلى غلاسكو، وقد عاد مسمراً، فكنت أسمح له بأن يمارس الجنس معي كل أسبوع، كما كان يفعل دائماً، وأحاول ألا أسأل نفسي إن كان قد فعل ذلك معها أيضاً.

لم يتخلّ عني، كما لم يتخلّ عنها أيضاً، وكادت شهور الانتظار أن تقتلني، فلم أستطع النوم، وبالكاد استطعت تناول الطعام، وشعرت كما لو أن حمضاً يفتك في داخلي ثم ينطلق إلى الخارج، فكنت ضعيفةً، ومضطربةً، وبالكاد أسيطر على قواي العقلية، ما دفعني إلى ارتكاب خطأ فادح.

لقد ذهلتُ عندما سمعت صوت سيارة تدوس على الحصى، فأدرت كرسي القش حتى أتمكن من رؤية الممر، فظهر أندرو وهو يترجل من سيارة أجرة، كما لو أن ذكرياتي قد استدعته، إنه يعرف ما أصاب نيكى، ولذلك يبدو قلقاً بشأن بيلا مثلي تماماً، ولا بد أنه جاء من المحطة مباشرة.

عاد إلى السيارة باحثاً عن حقيبة متهتكة تعرّفت إليها على الفور، فقد كان يستخدمها في كل مهمة خارجية قام بها، وكانت قدمي عاريتين، فانتعلتُ

صندلي بسرعة، وتركت الكرسي يترجح وحده، ثم تحركت في اتجاه مدخل المنزل.

كانت المصابيح تضيء خلفية سيارة الأجرة الحمراء، وقد بدت تعابير وجه أندرو منهكة، وهو يقف في وسط الطريق، وكأنه قد انهزم في ساحة المعركة، فأسقط الحقيبة أمام أقدامنا، وتشبث بي كرجل يغرق حالما وصلت إليه النجدة.

تراجعت إلى الخلف وقد ارتسمت ملامح القلق على وجهي، ونظرت إلى وجهه بتمعن، وقلت له: "ما الأمر أندرو؟ ما الذي حدث؟".  
قال بندم شديد: "أوه، لو، لقد كنت أحرق لعيناً".

## الفصل 32

### كاز

كنت في طريقي إلى المحطة، لكي استقلّ القطار العائد إلى لندن، عندما أجاب أندي أخيراً على وابل من الرسائل النصية التي أرسلتها إليه: أنا في طريقي.

حدّثت إلى الشاشة، في انتظار أن يرسل المزيد من الرسائل، ولكنه اكتفى بتلك الرسالة المقتضبة، فأرسلت إليه رسالة مجدداً: لا حاجة إلى القدوم، فيبلا بخير، وسأصل إلى لندن خلال ساعة.

لم يجب على الرسالة، وعندما توقّف سائق الأجرة أمام المحطة، كنت على وشك أن أدفع له الأجرة، وأترجّل من السيارة، وعندما تلقّيت رسالة نصية أخرى، كانت هذه المرة من ليلي، جارتنا التي تسكن بجوارنا في فولهام، وقد ترك أندي كيت معها طوال الليل، وهي تسألنا إن كنا نريدها أن تصطحبه إلى روضة الأطفال غداً أيضاً، ولكن لماذا لم يحضر أندي ابننا معه بحق السماء؟ فليس الأمر مهماً إذا فوّت كيت يوماً من أيام الحضّانة.

ليس هناك فائدة من العودة إلى لندن إذا كان قد غادرها أندرو بالفعل، فانحنيت إلى الأمام بين المقعدين الأماميين وأخبرت سائق سيارة الأجرة بأن يوصلني إلى منزلنا بدلاً من ذلك، وأنا أشعر بالقلق والغضب، فيجب أن أكون أكثر قلقاً بشأن ما سيفعله أندي، ولكن لا يمكنني التوقف عن التفكير في تلك الندوب القبيحة على ذراعي بيلا، وأعلم أن الجرح يكاد يكون من أحد طقوس بعض مدارس الفتيات الباهظة الثمن في هذه الأيام،



ولكن ما الذي يمكن أن يتسبب في أن تلحق تلك الفتاة الجميلة والذكية والمرحة مثل هذا الأذى الرهيب بنفسها؟ أَدْعُو الله ألا يكون ما حدث لي يحدث لها...

كلا، كلا! لن يفعل أندي بها هذا أبداً.

دخلت إلى منزلنا الفارغ، وأنا أرتجف من الخوف، كما لو أن شخصاً ما يسير فوق قبري. لقد وعدت بيلا بأنني لن أتفوه بكلمة، ولكن ماذا لو تفاقمت المشكلة؟ فمعظم الفتيات اللواتي يؤذِن أنفسهن لا ينتحرن، بل إنهن يبحثن عن التحرر من المشاعر التي لا يستطعن التعامل معها، والهروب من مشاعر الإحباط واليأس وتدني القيمة وكرهية الذات، فالجرح يجلب الراحة ويحد من الآلام العاطفية الشديدة، ولكن ماذا عن اللواتي لم يستطعن التخلص من تلك المشكلة؟ لن أستطيع التعايش مع هذا الذنب الكبير إذا ألحقت بيلا بنفسها أذى رهيباً، وكان في إمكاني منع حصوله.

لا يقتصر الأمر على أنها تجرح نفسها، فالفتاة تبدو متوعكة، بل إنها شاحبة ونحيلة، وقد فقدت كثيراً من وزنها في الأسابيع الأخيرة الماضية، وكان شيئاً ما يمتص الحياة منها، ويدفعها إلى إيذاء نفسها.

فتحت زجاجة من بينوت غريغيو، وهي بعض ما تبقى في الثلاجة شبه الفارغة، وسكبت لنفسني كأساً كبيرة، وقد سيطر اليأس والإحباط والقلق على قلبي، وأنا أتجول في المنزل الفارغ، بينما قد تكون بيلا تواجه مشكلة حقيقية، ولا أعرف ما الذي يجدر بي القيام به. أبلغ من العمر تسعة وعشرين عاماً، وليس لدي فكرة حول كيفية التعامل مع مراهقة طائشة تواجه حالة الطلاق، وضغط الأقران، والله أعلم ما سوى ذلك. كنت طفلة متضررة وهذا لا يؤهلني إلى تقديم المساعدة كالخبراء، وسأضطر إلى إخبار أندي بما تفعله بيلا بنفسها. وفجأة أدركت أن التصرف الوحيد المسؤول الذي يمكنني القيام به، قد تكرهني بيلا لفعله لبعض الوقت، ولن ألومها لذلك، ولكن في النهاية

ستفهم الدافع الذي جعلني اضطرّ إلى اللجوء إليه، فأريد أن أكون صديقتها، بالطبع، ولكن دوري هو أن أكون والدتها.

اللعنة، أين أندي بحق الجحيم؟ قال إنه سيغادر منذ ساعات، ويجب أن يكون قد وصل الآن.

تحققت من تطبيق برنامج التجسس عبر هاتفي، وظهرت نقطة تحديد موقع أندي على الفور، إنه في قطار برايتون من فيكتوريا، وقد خرج للتو من كراولي، وهو على بعد أقل من نصف ساعة. كانت الساعة السادسة بالفعل، لذلك ربما يريد المجيء إلى المنزل، ووضع حقيبته، ثم التوجه مباشرة إلى منزل لويز للاطمئنان على بيلا، وكأنه يحتاج إلى عذر لرؤيتها. سكبت جرعة كبيرة من النبيذ مرة أخرى، واتجهت إلى غرفة الدراسة على عجل، وسجلت الدخول إلى حساب البريد الإلكتروني الخاص بأندي، وقمت بتمرير الرسائل بسرعة.

كان أغلبها يتعلّق بالعمل، بخلاف بعض طلبات التبرع الخيرية ويضع رسائل بريد إلكتروني من محرر سي. إن. إن الذي كان يتملّقه للتمكّن من العمل معه، ولا شيء يدعو للقلق، ولكن أندي ليس غيباً، فعندما كنا نلتقي من دون علم لويز، اشترى هاتفاً محمولاً آخر يعمل بالدفع المسبق تحسباً لتفحص هاتفه الآيفون، فهو يعلم كيف يخفي أثر بريد إلكتروني مشبوه ضمن بريده.

تفقدت قائمة المتصفح الخاص به، ولا أزال غير متأكدة مما أبحث عنه، وكل ما وجدته كان مواقع إخبارية وعدداً قليلاً من الروابط غير المهمة لصفحات لصيد الأسماك والرياضة في الهواء الطلق. ثم استوقفتني عنوان واحد لم أتعرف إليه، وحين نظرت سريعاً مرة أخرى، ظهرت غرفة للدردشة لمن هم دون السن القانونية.

كان يعمل على فيلم وثائقي، وهو استغلال المراهقين في تجارة

الجنس، ولكنني لا أريد أن تعلق صورّ كهذه برأسي، وبدلاً من ذلك واصلت تمرير المواقع، فعدت إلى الأسابيع الثلاثة الأخيرة من سجل متصفحه، ولكنني لم أعرّ على ما هو غير مرغوب فيه بعد، لماذا شعرت فجأة بعدم الارتياح؟

إن غرف دردشة المراهقين تلك لا بد من أنها من أجل العمل فقط، فأندي ليس مثل والدي، وما حدث لي لن يحدث ليلاً، وأنا أستطيع تمييز تلك الإشارات، وكنت سأكتشف ذلك على الفور. أغلقت حاسوبه، وتهدّدت ساخطة، ثم أفسحت مساحة على المكتب لحاسوبي المحمول، فيكفي ما يجري، لأنني سأقود نفسي إلى الجنون.

لجأت لمدة نصف ساعة أو ما يقارب ذلك إلى العمل لأهرب من عاصفة القلق التي تدور في رأسي، ورددت على رسائل البريد الإلكتروني، ثم وقّعت على بعض المذكرات البارزة التي تنتظر موافقتي، وقد سمع العديد من العملاء بخبر مغادرة أي. جي الوكالة، وهم يستفسرون قلقين حول معرفة من سيتعامل معهم من الآن فصاعداً، فلطالما كان أي. جي يجيد تلبية احتياجاتهم وتوقعاتهم، وأفهم أن وكالة يونيفيست مهمة بالنسبة إلى باتريك، ولكن ما لا أفهمه لماذا سمح لتينا ماردوخ بإملاء الشروط عليه، وتخریب أعمالنا بهذا الشكل.

قررت معدتي، فأدركت أنني لم أتناول الطعام طوال اليوم. ذهبت إلى المطبخ، وتناولت بعض المعكرونة المجففة، وعلبة طماطم من الخزانة، ثم راقبت تقدّم النقطة الحمراء الصغيرة التي تشير إلى مكان أندي، وأنا أحضّر سريعاً بعض السباغيتي بومودورو، لقد وصل إلى برايتون في الوقت الذي بدأت فيه المقلاة بالغليان، ولكن بدلاً من التوجه نحو منزلنا، بدأ محدد الموقع الواصل بالتحرك في اتجاه الطريق المؤدّي إلى بيتورث. حاولت السيطرة على غضبي، فمن الواضح أنه يستقلّ سيارة الأجرة

مباشرة إلى منزل لويز بدلاً من القدوم إلى منزله أولاً، مع أنه قد علم بأن إصابة رأس بيلا لم تكن خطيرة، وبأنها لم تصب بارتجاج الدماغ، فأقل ما يمكن أن يفعله، كان أن يرّد الجميل لحضوري على الفور للاطمئنان إلى ابنته قبل أن يهرع إلى عائلته الأخرى.

أرسلت له رسالة نصية وأنا أستشيط غضباً: متى تعود إلى المنزل؟

\*\*\*

ظهرت النقاط الثلاث الدائرية مرة أخرى، فمزّت دقائق قبل أن يرّد على رسالتي، وهذا يعني أنه كتب إجابته عدة مرات، ثم مسحها، وقد عدّها قبل أن يستقرّ أخيراً على الرسالة التي أرسلها إليّ: لقد تأخر القطار بسبب التفقد الأمني، وقد لا أعود حتى وقت متأخر، فلا تنتظريني.

أصدر صوت غليان الماء هسهسةً، فرفعت المقلاة عن النار وصرخت ساخطةً، لأنني أحرقت أصابعي بالمقبض الملتهب، لماذا يكذب عليّ؟ لقد حضر بالفعل، ويتّجه في سيارة الأجرة إلى لويز، فلماذا لا يخبرني بذلك؟

تخبّطت أفكارني في رأسي مثل طائر محاصر داخل نافذة مغلقة، فهو لا يريدني أن أعلم بأنه متوجه إلى منزل لويز، لأنني حينها سأتوقّع عودته إلى المنزل عاجلاً وليس آجلاً، كما يبدو واضحاً أنه يخطّط للبقاء لفترة أطول مما يتطلّبه الاطمئنان إلى ابنته، وقبل أن تتاح لي الفرصة لكتابة الرد، رنّ هاتفني مرة أخرى، ففتحت الرسالة، وأنا أعتقد أنها من أندري، ولكنها كانت من أي.جي: اعتذر لأنني تركتك وحدك في الوكالة. فأجبت على الفور: لا تكن سخيّاً، فسنقوم بتسوية هذا الوضع معاً، أعدك.

لكنه حين لم يُجب على اتصالي، اتصلت به، فرنّ هاتفه عدة مرات، ثم انتهى الاتصال بتحويلني إلى المجيب الصوتي، فأنهيت المكالمة، ثم ضغطت على زر إعادة الاتصال، وأخيراً ردّ على مكالمتي في المحاولة الثالثة.

سألته بقلق: "أي.جي، أين أنت؟ يمكنني العودة إلى لندن إذا كنت بحاجة إليّ".

قال أي.جي: "لا بأس، سأكون بخير".

بدا صوته كما لو أنه قادم من بعيد، ولا بد أن أضغط الهاتف بقوة على أذني لأفهم ما يقوله، فقلت له بقلق: "لا يبدو أنك بخير".

قال لي: "لقد كنتِ مديرةً رائعةً، يا كاز، وصديقة عظيمة".

تقلّصت معدتي من الخوف، وسألته مجدداً: "أي.جي، أين أنت؟".

قال: "بصراحة، لا بأس عليك، فستكونين بخير من دوني".

إنه لا يتحدث عن ترك وايتفיש، وما يقوله يبدو أكثر جدية، فقد تعرّفت إلى اليأس من قبل، وأعرف جيداً كيف يبدو، وأشعر به في صوته الآن، فقلت له بسرعة: "أعلم أن ما حصل لك، قد يبدو وكأنه نهاية العالم، ولكن الأمور ستتحسّن، فكلنا نحبّك يا أي.جي، وأنا على يقين من أنه ينتظرك مستقبل واعد، وقد لا تتمكّن من الإحساس به الآن".

عمّ صمت مطبق، وأخيراً قال: "سأفتقد هذا المكان، فقد كان كل حياتي". هذا المكان! لقد لمعت في ذهني فجأة فكرة حول المكان الذي يتحدث إليّ منه، فصوت عقارب الساعة كانت تدقّ في الخلفية، وصفير الرياح يشوش على كلماته، ما يدلّ على أنه يقف على الشرفة في الطابق الأخير من مبنى وايتفיש.

ركضت إلى المدخل، والتقطت الهاتف الأرضي، واتّصلت بالرقم 999، وقد بدت أصابعي متصلبة، واستمرت بالتحدث إلى أي.جي عبر هاتفي المحمول، وقلت له: "أعلم أنك تعتقد أن الأمر ميؤوس منه، وقد مررت بما تمرّ به الآن أي.جي، ولكن الأمل يدفعنا إلى الماضي قدماً في الحياة، فلتحلّ بالأمل لتتمكّن من أن تسعد في حياتك".

قال لي: "ليس بالنسبة إليّ"، ولكنني لاحظت التردد في نبرة صوته.

ضغطت هاتفي المحمول على صدري، وأنا أطلب من موظف الطوارئ إحضار شخص ما إلى مبنى وايتفيلد في لندن في أقرب وقت ممكن، ثم وضعت هاتفي المحمول على أذني مرة أخرى، واستمرت بفتح الأحاديث المتنوعة، إلا أنني لم أكن واثقة من أن ما أقوله كان يثير اهتمامه، ولكن قد أمكنتني سماع صوت أي.جي، وهو يتنفس، فأدركت أنه لا يزال يستمع إلى كلامي.

لا أعرف كم سأنتظر من الوقت قبل أن أسمع ضجيج صفارات الإنذار من بعيد، وبعد دقائق قليلة، سمعت أصواتاً في الخلفية، فلا بد أن المسعفين قد وصلوا، وأخيراً خفت تقلص معدتي، وأدركت شدة خوفي وقلقي لما كان يمكن أن يصيبه، فخلال أسابيع قليلة فقد أي.جي صديقه واين، ثم طرد من الوظيفة التي تحتل مكانة كبيرة في حياته، وليس لدي أي فكرة عن مدى اقترابه من القيام بفعل، قد يكون مستحيلاً التراجع عنه، ولكنه إن فعل ذلك، فلا يمكنني لوم إلا شخص واحد، يا إلهي، كم أكره تلك المرأة!  
قال أي.جي: "يتحتم علي أن أذهب، وسأتصل بك لاحقاً".

جلست على كرسي المطبخ، وضغطت بكعبي يدي على عيني، وجسدي كله يرتعش من التوتر، فأولاً مشكلة بيلا، والآن أي.جي، إنه أحد أسوأ الأيام التي يمكنني أن أمز بها، فقد كان علي التعامل مع كافة المسائل بمفردي. تمنيت لو أن أندي إلى جانبي لكي يخبرني بأن كل شيء سيكون على ما يرام، ولكن بفضل لويز، لا أجد أحداً يمكنني اللجوء إليه.

لا يسعني سوى تخيل أي.جي يقف على حافة الشرفة، وهو يحدق إلى الشارع في الأسفل، وقد تشجع على القفز، وبالكاد أستطيع ازدراد لعابي محاولة عدم التقيؤ.

راسلت أندي مجدداً، ولم أتفاجأ عندما لم أتلق ردّاً، فبدأت المرارة والخيبة والتعاسة تتغلغل في عروقي، وقد تظنّ لويز أنها انتصرت، وستستعيد

ما كان لها غير مكترثة لتدمير حياتي بكرة الهدم، ولكن حسناً سأدعها تستمتع  
بهذه الليلة، ولنرَ إن كانت ستجد أن ما تفعله يستحقّ العناء، عندما تحصد  
عواقب العبث بحياتي.

لم أرغب في أن أبدأ بخوض الحرب، ولكنها لم تترك لي خياراً آخر،  
فالورقة الأخيرة التي سألعبها لا تزال بين يدي.

## روث كلارك الجزء الأول من المقابلة المسجلة.

التاريخ: 27 / 07 / 2020

المدة: 24 دقيقة

الموقع: ستار فارم سينيور كير سنتر، بارسلوز أفينيو، داغينهام.

أجرى المقابلة: شرطة ديفون وكورنوال

(تابع)

ر.ك "لا يزال والدها على قيد الحياة".

الشرطي : "لكن السيدة بيچ قالت..."

ر.ك "هذا ما تقوله دائماً، فموته أسهل بالنسبة إليها من القول إنه تخلى

عنها، فهي لا تحب الاعتراف بالحقيقة، وتغير الحقائق لتتناسب

مع حياتها، وعلى حدّ علمي، تيد كلارك لا يزال على قيد الحياة

وبصحة جيدة، وهو يدمّر حياة بعض العاهرات المسكينات

الأخريات، كما أنه يتصرّف بحماقة كعادته، وهذا آخر ما سمعت

به عنه".

الشرطي : "دوّن الملاحظة المتعلقة بريتش، فسنحتاج إلى التحدث إليه".

الشرطي : "حسناً، سيدي".



- رك : "حسناً، ماذا تريد مني؟".
- الشرطي : "متى كانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها ابنتك، سيدة كلارك؟".
- رك : "لا أذكر، قد تكون منذ أسبوعين، فهي تأتي عندما تودّ ذلك، ماذا يمكن أن أكون بالنسبة إليها؟ إنني والدتها فحسب".
- الشرطي : "سيدي، هل أنت متأكد (يهمس إليه)".
- الشرطي : "قالت الطبيبة إنها بصحة جيدة، ويمكنها إجراء المقابلة، يا ريتش".
- رك : "أنا لا أكذب عليك، يا بني، فأنا عجوزٌ ولست خرفة".
- الشرطي : "كيف بدت لكِ عندما رأيتها آخر مرة، يا سيدة كلارك؟".
- رك : "لقد أحضرت البسكويت الخطأ".
- الشرطة : "هل حدّثتك عن زوجها؟".
- رك : "لم تخبرني بأنها تخطّط لنحر عنقه، إذا كان هذا ما تقصده من سؤالك".
- الشرطي : "هل تعتقدين أن ابنتك قتلت زوجها؟".
- رك : "هل تعتقد أنت ذلك؟".
- الشرطي : "(يصمت قليلاً) اسمحي لي بأن أطرح سؤالاً بطريقة أخرى، هل أظهرت أي مؤشر يدلّ على أنهما يواجهان أي مشاكل عندما زارتكِ؟".
- رك : "لقد تزوّجت من خائن، والطبع غلب التّطبع".
- الشرطي : "ماذا تقصدين من كلامك؟".
- الشرطي : "إنه مثل... ريتش، هل تقولين إن أندرو يبيح كان على علاقة بامرأة أخرى؟".
- رك : "كيف يمكن أن أعلم؟ فلم يسبق لي أن التقيت به، كما لم تدعني ابنتي لحضور حفل الزفاف، إلى أي حد يمكنك أن تكزّم والدتك؟"

لقد حاولت قتلي، ثم حبستني في هذه الدار لأتَعَفَنَ وحدي فيها،  
وإذا لم أكن قد متّ بسبب نحرها عنقي فور وصولي إلى هذا  
المكان، فأنا الآن سأموت فيه لا محالة".

الشرطي : "من تقصدين بقولك إنها حاولت قتلك؟ من فعل ذلك؟".  
رك : "إنها ابنتي المحبة، ومن تعتقد قد يكون غيرها؟".  
الشرطي : "سيدي (يهمس إليه)".

رك : "أعلم ما كُتِبَ في السجلات حول حالتي العقلية، فلم أحاول  
أبداً أن أنتحر، كما أنها لم تكن تحاول إنزالي عندما رأتها جارتني  
أيضاً، فقد كانت تحاول شدّ الحبل، ولكن كارول مقنعة للغاية  
عندما تريد أن يصدّقها الآخرون، وليس لديك فكرة عما يمكنها  
فعله حقاً".

الشرطي : "كارول؟ أتقصدين ابنتك، كارولين بيج؟".  
رك : "لقد غيرت اسمها عندما غادرت المنزل، ولكن إذا ما استبعدت  
البدلات الفاخرة واللهجة المصطنعة، فهي لا تزال كارول".

الشرطي : "أعتذر منك، ولكن هل تقولين إن ابنتك حاولت قتلك؟".  
رك : "لا أتوقّع منك أن تصدّقني".

الشرطة : "هل يمكنك إثبات ما تقولينه؟".  
رك : "هل تظنّ أنني كنت سابقى في هذه الدار، لو كان في إمكاني  
إثبات ذلك؟".

الشرطي : "سيدي، أنا (يهمس إليه)....".

رك : "أنتما من حضر لرؤيتي، هل تذكران ذلك؟ هل تعتقدان أنني غير  
جديرة بالثقة؟ كلنا نقول ما لدينا من حقائق، يا بني، هل تعتقد أن  
أي شخص آخر قد يخبرك بالحقائق؟".

الشرطي : "شكراً لك، سيدة كلارك، لقد كنت متعاونةً للغاية، وإذا احتجنا

إلى أي معلومات أخرى، فسيكون هناك شخص ما على اتصال

بك، ريتش، يمكنك إيقاف التسجيل الآن....".

"لقد جاءت زوجته لرؤيتي الأسبوع الماضي".

"(صمت لبرهة) عذراً، سيدة كلارك، ماذا قلت؟".

"لويز بيچ، زارتنني في الدار".

"ماذا كانت تريد منك؟".

"ما تريده أنت مني بالضبط، لقد أرادت أن تعرف أكثر عن كارول،

والاختلاف بينكما أنها أخذتني على محمل الجد".

مكتبة

t.me/soramnqraa

## الفصل 33

### لوزير

اختفت سيارة الأجرة في أسفل الطريق، وقد حمل أندرو حقيبتيه، وتبعني إلى مدخل المنزل، ثم دخلنا المطبخ نصف المكتمل. كنت على وشك وضع الغلاية لإعداد بعض الشاي عندما فكّرت في إعداد ما يمكن أن يكون أفضل منه، فأحضرت زجاجة جلينيليفيت معتقة طوال ثمانية عشر عاماً من الخزانة الجانبية الواقعة في غرفة الطعام، وصببت كأساً كبيرة من الشراب الثقيل في كأس بلوري سميك، وقدمتها إلى أندرو.

آخر مرة لمست فيها هذه الزجاجة والكؤوس كانت قبل خمس سنوات تقريباً قبل انفصالنا في عيد الميلاد، وقد تجرّع أندرو كأس الويسكي دفعة واحدة، ثم أعادها إليّ فارغة، فعدت إلى الخزانة الجانبية لأملأها مجدداً، وقد ازداد قلقي، لأنه لم يسبق لي أن رأيته يشرب على هذا النحو.

أنا لا أزعج نفسي عادةً باحتساء الكحول خلال الأسبوع، ولكن لدي شعور بأنني سأحتاج إليه الليلة. سكبت كأساً كبيرة من النبيذ الأبيض، وحملت الكأسين إلى غرفة الجلوس، وسألته وأنا أضع كأسه على منضدة القهوة أمامه: "ماذا حصل لك؟ ما الذي كنت تقصده من وصف نفسك بالأحمق؟".

دفن وجهه بين يديه، وقال: "يا إلهي! لا أعلم من أين أبدأ".

قلت له: "ابدأ من حيث تشاء، ولكن جرّب فحسب".

جلست إلى جانبه، ولكنه بقي صامتاً لوقت طويل، ثم هزّ كتفيه باستسلام، وقد صدمتني رؤيته، وهو يذرف الدموع. لا يمكنني إحصاء عدد المرات التي

رأيته فيها يبكي على أصابع اليد الواحدة، فمددت ذراعي لمعانته وتهدئته، ولكنني لا أشعر بأنني أمتلك الحق في فعل ذلك، فقلت له: "أندرو، أياً يكن الأمر، يمكننا حله معاً".

نظر إليّ بوجهه الذي أثقله اليأس، وقال: "لا أعتقد أننا نستطيع ذلك يا لو".

ما الخطأ الفظيع الذي ارتكبه؟ هل يتعلّق الأمر بالعمل؟ لقد بدأت برسم سيناريوهات في ذهني، وتساءلت ما الذي أوصله إلى هذه الحالة من اليأس؟ سبق له أن ارتكب العديد من الأخطاء، فعرض قصة من دون التأكيد من حقائقها، وأجرى مكالمة سيئة عزّضته وطاقمه للخطر، ولكنني شعرت بشكل غريزي بأن الأمر له طابع شخصي، فتعمل طواقم الأخبار في أماكن قريبة من الطريق، ويتضاعف عدد المنتجين والصحفيين في غرف الفنادق، ويسافرون معاً لعدة أيام في كل مرة، ولا يُخفى على أحد ما ينتج عن الأدرينالين والكحول، فهذا عصر # أنا أيضاً، هل تجاوز الحد؟ هل يتهمه أحد بالتحرش أو بالاعتداء الجنسي؟

سمعنا وقع خطى على الدرج، فظهرت بيلا عند المدخل، وقد بدت متفاجئة لرؤية والدها، فسألته: "ماذا تفعل هنا؟".

نهض من مكانها، وأجابها، وهو يعانقها: "سمعت بأنك تخوضين حروباً، وأن هذه الكدمة قد حصلت عليها في ساحة المعركة، كيف تبدو تلك الكرة؟"، لن يستطيع أحد سواي رؤية البؤس واليأس اللذين يحاول إخفاءهما خلف ابتسامته المتصنعة.

مدّت يديها من كمي قميصها الرمادي، وضحكت: "ها، ها"، لقد أمكنتني رؤية الخطوط العريضة لأضلاعها وعظمة الترقوة تحت القماش الرقيق، فأدركت أنها قد أصبحت نحيلة جداً.

سألته بيلا: "هل أنت بخير، يا أبي؟ تبدو غريباً بعض الشيء".  
إنه يبدو بحالة يرثى لها بالفعل؛ كان أحمر العينين، وبشرته جافة وباهتة،  
على الرغم من أن أشعة الشمس المحرقة قد لوّحت بشرته، ومنحتها اللون  
الأسمر، وهو يعلم جيداً كيف يخفي ما يشعر به عن بيلا. ولكنه عندما أمسك  
بكأسه مرة أخرى رأيت يده ترتجف، على الرغم من أنه ممثّل بارع، ولا أعرف  
كم من الوقت يمكنه مواصلة هذا الأداء، قال: "لقد تعرّضت ابنتي اليوم لإصابة  
برأسها، وستفهمين ذات يوم ما الذي أشعر به".  
قلت لبيلا: "اصعدي إلى غرفتك الآن، إذ يفترض أن تأخذي قسطاً من  
الراحة".

سألها أندرو: "هل تريدان أن أضعك في السرير؟".  
بدا على بيلا الانزعاج، فقلت له برفق: "إنها في السادسة عشرة، وليست  
بحاجة إلى أن يضعها أحد في السرير، هيا يا بيلا، سيقول لك والدك ليلة  
سعيدة لاحقاً، قبل أن يغادر".

عادت بيلا إلى غرفتها، وسكبتُ كأساً أخرى من النبيذ، وأنا في غاية  
القلق لحال أندرو، وقد بدأت صدمة حادث بيلا بالتلاشي تدريجياً، وهذا  
ما جعلني مرهقةً ومستنزفةً عاطفياً. أعاد اليوم الكثير من الذكريات المرة،  
ولا أطيع انتظار أن تنام بيلا، حتى أتمكن من الجلوس إلى جانب سريرها  
والاكتفاء بمشاهدتها، وهي تتنفس".

عندما عدت، قال لي أندرو: "يبدو أنها أصبحت بخير".  
قلت له: "إنها نحيلة للغاية، فلم ألاحظ ذلك إلى أن رأيتها اليوم في سرير  
المستشفى. لقد فقدت الكثير من وزنها في الأشهر القليلة الماضية، هل هناك  
ما يدعو للقلق في رأيك؟".

قال: "الجميع يبدو مرضى في سرير المستشفى".

قلت: "قرأت الكثير حول اضطرابات الأكل هذه الأيام".

قال بنزق: "إنها تبدو بحالة جيدة بالنسبة إليّ، ولطالما وجدتها نحيلة، وأنتِ تعلمين ذلك، ولكن إذا كنت قلقةً إلى هذا الحد، فحدّدي لها موعداً عند طبيب مختص".

قلت له: "لا أريد أن أثير قلقها حول هذا الأمر".

تنهّد قائلاً: "حسناً، لا تفعلني".

انزلق مرة أخرى على الأريكة، وحدّق ملياً إلى الكأس، فانتظرته أن يخبرني بما يضايقه، ولكنه بدا تائهاً في أفكاره المظلمة، ثم رن هاتفه عدة مرات، ويُفترض أن تكون رسائل مرسله من كاز، ولكنه تجاهلها.

"يمكنك أن تتكلّم، يا أندرو، هل تريد...".

نظر إلى الأعلى فجأة، وقال: "دعينا لا نتكلّم الآن في أي موضوع"، عندها لاحظت شدة اليأس في نبرة صوته: "هل يمكننا قضاء أمسية لطيفة معاً، ومشاهدة بعض البرامج المثيرة على شاشة التلفاز، وعدم التحدث في أي موضوع؟".

"إذا كان هذا ما تريده، هل تريد أن تناول شيئاً ما؟ يمكننا تناوله معاً".

قال: "أنا لا أريد شيئاً إلا إذا كنت جائعة؟".

"لا، لقد تناولت الطعام في وقت سابق مع الولدين".

لم يذكر كاز، ولم أسأله عنها، وعلى الرغم من شعوري بالقلق، إلا أنني لا أستطيع أن أساعده في أن يشعر بالهدوء والسكينة، لأنه هو الذي سعى إليهما وقت الأزمة. قد تكون كاز زوجته الآن، وربما تكون تحبّه على ما أعتقد، ولكن علاقتي به أعمق وأكبر، ومهما حدث أو فعل، فسأظلّ أحتل المرتبة الأولى في حياته، وهو يعلم ذلك، وإلا ما كان ليزورني.

قال أندرو: "لقد كنت أحمق"، للمرة الأولى أجروّ على أن أمل في أنه

يقصد من كلامه، لقد كنت أحمق عندما تركتك.

أمسك بجهاز التحكم عن بعد، وشغل التلفاز، واستقر على فيلم إسكندنافي من أفلام التشويق والإثارة سبق لي أن شاهدته، وأعاد ملء كأسه للمرة الثالثة، كما ملأت كأساً أخرى أيضاً، ومن حسن الحظ أن أندرو لم يقد سيارته إلى منزلي، لأنه من الواضح أنه سيستقل سيارة أجرة في طريق عودته إلى منزله.

عارضته الرأي قائلة: "كلا، أنت لا تستحق ذلك"، ثم حاولت تجاهل النبض المفاجئ بين ساقبي.

قال مدغماً الحروف في بعضها: "كانت علاقتنا جيدة في السابق، ولم يمنعنا ذلك قط من إفسادها، فكيف وصلنا إلى هذه الحال؟". قلت: "أندرو".

أسكتني بقبلة، فشعرت بالذهول، وعجزت عن الرد على كلامه، ولكن جسدي كان يدرك أكثر مني ما كنت بحاجة إليه، فاستذكر قلبي ما غاب عنه، ولم أستطع التردد لأكثر من لحظة، فقد مرّت أربع سنوات من الشوق المكبوت في القبلة التي بادلتها إياها؛ أربع سنوات من الانتظار، والرغبة، والألم، والشوق، وكل خلية عصبية في جسدي كانت تنبض بالحياة، فأدرت أنني كنت في سبات عميق، بل إنني كنت أعيش في أحد أفلام الرسوم المتحركة المعلقة، منذ أن هجرني.

فجأة ابتعد أندرو عني، وبدأت بتجهيز نفسي للاعتذار إليه، فاحتساء الكثير من الويسكي، وتأخر الوقت عاملان مهمان أديا إلى ارتكاب ذلك الخطأ، فلم يكن يتحتم علينا القيام بما قمنا به. ولكنه نهض من فخ أريكة فينوس، ثم مدّ يده إليّ، فأمسكت بها، وتركته يقودني إلى الطابق العلوي، على الرغم من أنني أعلم أن ما نحن على وشك القيام به يعتبر خطأ فادحاً في مختلف المجالات. أمسكت بيده لأنني شربت زجاجة نبيذ كاملة، ولأن الوقت متأخر، وقد جاء



إليّ منكسراً، ولأنني تعبت من محاربة مشاعري الدفينة، والتظاهر بأنني تركت الماضي ورائي ومضيت قدماً، أمسكت بيده وتبعته إلى غرفة نومنا، ولأنني أحبته تركته ينزع عني ملابسي، ولأن قلبي وعقلي ينظران إليه على أنه زوجي، فهو لطالما كان زوجي، بغض النظر ممن هو متزوج الآن.

بدونا غريبين، ولكن كلاً منا يعرف كل شبر من جسد الآخر، فما زال الأمر سهلاً كما كان دائماً، ولكنه بدأ الآن يتعزز أكثر، لأننا نعيد اكتشاف بعضنا من جديد. كدت أنسى مدى رغبتني في ممارسة الجنس، وقدرته على إمتاعي.

بعد ذلك، رقدنا على ذراعي بعضنا، ثم أسندت رأسي إلى صدره، فما كان من أندرو إلا أن غرق في النوم بسرعة كبيرة كعادته، فاستمعت إلى دقات قلبه، وأنا أضغط براحة يدي على جسده، لقد كنت أتخيل هذه اللحظة منذ وقت طويل، والآن هو يستلقي على فراشي، ولا يمكنني استيعاب ذلك تماماً.

سحبت نفسي من بين ذراعيه من دون أن أوقظه، واستندت إلى مرفقيّ، وحدّقت إليه وهو نائم، فلا أعرف ما الذي جعله يعود إليّ الآن بعد مرور كل هذا الوقت، ولكنني لن أكثرث للسبب، فهذا ما كنت أترقبه منذ اليوم الذي هجرني فيه، وهو أن يعود إلى رشده، وأن يدرك مدى حماقته. كنت أنتظر عودته إليّ فحسب، ولكنه لم يوضح رغبته في العودة إليّ بكلمات كثيرة، ربما لأنه لا يودّ أن نضيق الكثير من الوقت في الحديث، فالمهمّ أنه يستلقي على فراشي، ما يؤكّد أن هذا ما قصده.

لماذا أشعر... بخيبة أمل؟

لم يكن الجنس ما أشعرني بالرضى، بل امتلاء الفراغ على المستويين الجسدي والعاطفي، وعلى الرغم من ذلك فقد شعرت بالضيق على نحو مفاجئ، كما يحدث يوم عيد الميلاد بعد فتح الهدايا الذي يعقب فترة الإثارة

والترقب. وعلى الرغم من أن العلاقة كانت رائعة، إلا أنها لم تكن كافية لإشباع رغبة عمرها أربع سنوات، أو بالأحرى لم تكن كافية لإشباع جزء صغير منها.

تمنيت لو أنني لست مضطرة إلى إيقاظه، ولكن لا يمكنني المجازفة باستيقاظ تولي عند الساعة الخامسة صباحاً ليجد والده في سريري، فنحن بحاجة إلى التمهيد للولدين بروية بمجرد أن نحل الأمور اللوجستية المتعلقة بعودة أندرو إلينا مرة أخرى، فأعرف مدى قرب بيلا من كاز، ولكنني لا أريدها أن تتقرب منها أكثر من ذلك، وسيطلب الأمر بعض البراعة بقدر ما تشعر بالقلق في هذه اللحظة.

لكزت أندرو مبتسمةً، وعندما فتح عينيه قلت له: "أكره أن أوقظك، لكن لا يفترض أن يجدهك الولدان في الغرفة".

نظر إلى ساعته وجلس فجأة. قال: "اللعنة، هل مضى كل هذا الوقت؟". قلت له: "الغرفة الاحتياطية جاهزة، يمكنك...".

قال: "عليّ بالعودة إلى كاز، لا بد أنها تتساءل حول مكان قضاء الليلة". شاهدته بصمت يرتدي بنطاله، ويبحث عن جوربه بين الملابس المتكومة على الأرض. افترضت بسبب إحضاره الحقيبة التي وصل بها، أنه أخبر كاز مسبقاً بأنه سينفصل عنها، ما جعلني أشعر بعدم الارتياح، فلا بد أنه سيعود ليخبرها بذلك، ولن يخذلني مرة أخرى. لقد عثر على جوربه، وجلس إلى جوارِي وهو يدخل قدمه فيه، فدرّس خصلة من شعري خلف أذني، ونظر بعمق إلى عيني، وتمتم قائلاً: "لا يمكنني أن أعتبر لك عن مدى حاجتي إلى تلك الليلة".

للحظة فهمت الفرق بيننا، بالطبع تختلف غاية العلاقة الجنسية بالنسبة إلى الرجال، فهي الوسيلة التي تدفعهم إلى التواصل، وإظهار الحب، في الحقيقة إنهم ليسوا بحاجة إلى التصريح بذلك.

سألته بتردد: "ماذا ستخبر كاز؟".

أجابني قائلاً: "إنها تعلم أنني جئت للاطمئنان إلى صحة بيلا، وسأخبرها بأنني أفرطت في احتساء الشراب، ونمت لبضع ساعات على الأريكة، فلن يعجبها ذلك، ولكنني سأهدئ الأمور بطريقة ما". مكتبة .. سر من قرأ تهدئ الأمور؟ أنت لا تهدئ الأمور عندما تترك زوجتك، بل تفعل ذلك عندما لا تريد أن يتم اكتشاف فعلتك. شعرت وكأن حجراً ثقيلاً قد استقر في معدتي، وسألته ببطء: "أندرو ما الذي كنت تقصده عندما قلت إنك أحمق؟".



أربعة أيام قبل الحفل



## الفصل 34

### كاز

جلت في أرجاء المنزل الفارغ والمظلم، وأنا أنتظر عودة أندي إلى المنزل، والشعور بالاستياء والضيق يغمرنني إلى درجة حالت دون خلودي إلى النوم أو حتى تركيز انتباهي على شاشة التلفاز. حلّ منتصف الليل، وأومض محدّد موقعه بثبات من منزل لويز، فلم يتحرّك خلال ساعات. أتخيّل أندي يلقي بنظرة خاطفة على هاتفه عندما يصدر رنيناً يشير إلى ورود رسائل مرسلة مني، فيرفض الإشعار من دون أن يكلف نفسه عناء فتحه، أو ربما يعرضه على لويز، وهما يضحكان ساخرين مني، بينما أنتظر عودته بشكل مثير للشفقة، أم أنه لا يراقب هاتفه بل يتركه في جيب سترته، أو قد يكون ألقاه على منضدة المطبخ، أو رماه على أرضية غرفة النوم. هل يمارسان الجنس الآن؟

صحت محبطة، ورميت الهاتف في الغرفة، وأجهشت بالبكاء على الأريكة. لم يتوقّف عن حبها أبداً، ولطالما عرفت ذلك، لقد كانت والدي محقة؛ لا يمكنك بناء منزل متين على الرمال المتحركة، لأن أساسه سيكون ضعيفاً وسينهار. ولكن أليس سبب ضعفه كوننا معاً في المقام الأول؟

القصة التي يصدّقها أندي، أننا التقينا صدفة، إنها القصة التي رواها له، وأعدت سردها في كثير من الأحيان، وكنت على وشك أن أصدّقها، فقد حصل تصادمٌ بسيط عند تقاطع طريقي كليركينوبل وهاتون غاردن، التقينا بالصدفة، كما يقول أندي دائماً عندما يروي القصة، كان أسعد حادث

في حياتي، فهو لا يتذكر أننا التقينا وبشكل عابر قبل ستة أسابيع، عندما عرّفنا تينا إلى بعضنا في مزاد جمعية الرفق بالحيوان الخيري، وبالكاد تبادلنا ثلاث كلمات في تلك الليلة، ولكن بالنسبة إليّ كانت كافية، فلم يكن من الصعب معرفة روتين أندي، وأن أكون في المكان المناسب وفي الوقت المناسب، فكان يقدّم نشرة المساء في أي. إن. إن كل ليلة، ويسلك الطريق نفسه إلى العمل في كل يوم وفي الوقت نفسه، وكل ما فعلته كان خلق فرصة مناسبة.

لكنني لم أجبره على إقامة علاقة غرامية معي، فلا يمكنني سرقة زوج امرأة ما، لأن الرجال ليسوا أحمر شفاه يمكن أن يُسرق عندما يدير مدير المتجر ظهره. ولو أن زواج أندي كان سعيداً، لكننا تبادلنا تفاصيل التأمين، وانتهى الأمر عند هذا الحد، وما كان ليتصل بي في اليوم التالي، ويطلب مني الخروج برفقته لتناول الشراب، ولم يكن ليتكئ على طاولة الحانة ويضع شعري خلف أذني، ويخبرني بأنني امرأة جميلة.

اعتقدت أن أندي خدعني، وجعلني أعتقد أنه كان مغرماً بي، ما شجّعني على حبه، وجعلني أشعر بالسخط، فهو جاء إليّ عندما اكتشف أن لويز خدعته، ثم تزوّجني، مع أنه لم يكن مضطراً إلى القيام بذلك، ولكنه فعل، ولن يغيّر رأيه الآن، لأن الزواج ليس لعبة، ولا مجال للتراجع بعد الآن.

في النهاية تظاهرت بأنني نائمة على الأريكة، وأنني لم أشعر بقدمه، وفزعت عندما لمس كتفي، وهمس لي: "لماذا تنامين على الأريكة؟". جلست بصعوبة، وقلت له: "كم الساعة الآن؟".

ركل حذاءه جانباً، وجلس على الأريكة إلى جانبي وقال متثائباً: "إنها الثالثة من بعد منتصف الليل، وأعتذر لأنني تأخرت كثيراً، فقد فقدت الإحساس بالوقت، وشربت كأسين مع لويز بعد أن نامت بيلا، في الحقيقة شربت أكثر من كأسين، هل كنت تنتظريني؟".



قلت بحدة: "لم تردّ على هاتفك، أو على أي من رسائلي النصية".  
وقف فجأة، وتوجّه إلى خزانة المشروبات، وسكب كأساً من الويسكي،  
ثم قال، وهو يوليني ظهره: "قلت لك لا تنتظريني، فقد تأخر قطاري بسبب...".  
قاطعته قائلة: "...التفقد الأمني، لقد تلقّيت رسالتك النصية".

أكاد أسمع صوت العجلات، وهي تدور في رأسه محاولاً معرفة ما  
أعرفه، ومقدار المتاعب التي سيواجهها، فيجب أن يعلم بأنه من السهل بالنسبة  
إليّ التحقق من صحة قصته، فاستقرّ على كرسيّ بذراعين في الجهة المقابلة  
من الغرفة تاركاً مسافةً بيننا: "لا أعلم لماذا تضخّمين الأمور؟ فأنت تعلمين  
المكان الذي أمضيت فيه هذا الوقت".

قلت له: "هل بقيت حتى الثالثة من بعد منتصف الليل؟".  
قال: "هل تريدين مني أن أرسل إليك رسالة نصية في كل مرة أنتفسّ  
فيها؟".

إنه فظٌّ بشكل غير معهود، وهذا دليل على أن هذه المحادثة لا تشعره  
بالراحة.

قلت له: "كان من الجيد معرفة أنك وصلت إلى برايتون بأمان، نظراً إلى  
وجود تفقد أمني".

قال منفعلاً: "ما الأمر؟ لقد كان يومي طويلاً ومرهقاً في العمل، كما كنت  
قلقاً بشأن ابنتي، وقد تأخر الوقت، وآخر ما أحتاج إليه هو أن تستجوبيني  
عندما أصل إلى البيت".

سئمت من المبارزة اللفظية، كما تعبت من أكاذيبه، فقلت له ببرود: "لم  
يكن هناك تفقد أمني، ولم يتأخر قطارك، لماذا لا تخبرني بالحقيقة بنفسك؟".  
فتح فمه موشكاً على الصباح، ثم عاود التفكير في الأمر، فشرب كأس  
الويسكي، وقال بتحدٍ وعدوانية: "قضيت المساء مع ولدي، وكنت قلقاً بشأن  
بيلا، حسناً، هل أراحك كلامي الآن؟ كل ما في الأمر أنني لم أرغب في

إقحامك في المشاكل، لأنك دائماً تفتعلين مثل هذه الدراما اللعينة كلما رأيت لويز، ما كنت لأكذب لو لم تصعبي عليّ الأمر".

قلت بإيجاز: "لقد فات الأوان، فقد أوضحت موقفك من علاقتك بلويز بكل بساطة، وعليها فقط أن تفرع أصابعها، حتى تذهب إليها راكضاً".  
قال بفتور: "لويز أم ولديّ، شئنا أم أئينا، وهي جزء من حياتي، وكنت تعرفين ذلك عندما تزوّجنا"، تابع كلامه، وقد أصبح تعبيره عدائياً: "إن لويز لديها الأسباب لافتعال المشاكل أكثر بكثير مما لديك، ولكنها لا تتسبب في هذا القدر من الأسى والمرارة لأحد".

قالت بمرارة: "لويز المقدسة، لقد بدأت أتساءل لماذا تركتها منذ البداية".  
قال: "في الواقع لست الوحيدة التي تتساءل عن ذلك".  
تبادلنا النظرات عبر فجوة لاحظنا أنها تزداد اتساعاً بيننا، وفجأة ساد الصمت في المكان، إما لأننا لم نكن قادرين على جسرهما، وإما لأننا لم نكن راغبين في فعل ذلك، تتمم أندي: "أنا آسف، لم أقصد ما قلته".

أعلم أنني يجب أن أتغاضى عن الأمر، فالوقت متأخر، وكلانا متعبان، ولا يجدر بنا إجراء هذه المحادثة عند الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل، ولكن لا يمكنني التوقف عن التساؤل حول ما يقوم به، كما لا يستطيع المصاب بالجرب التوقف عن الحكمة. سألته بإلحاح: "أين أمضيت اليوم، يا أندي؟".  
أجاب قائلاً: "أنت تعلمين أين كنت، لقد أخبرتك للتو".

قلت له: "أعني طوال النهار، عندما كان يُفترض أن تكون في العمل".  
سكنَ فجأةً، وقال متردداً: "لقد كنت في العمل".  
قلت له: "كلا، لم تكن هناك، كما لم تكن في العمل يوم الجمعة أيضاً...".

سألني مستغرباً: "هل كنت تلاحقيني؟".  
قلت له: "هل أنا بحاجة إلى القيام بذلك؟".

قال: "يا إلهي، كاز، أنت تعلمين أنني لم أكن مع لويز خلال النهار، وإلا ما كنت سأضطرّ إلى القدوم من لندن عندما انتهى الأمر بابتنا في المستشفى!". قلت مصرةً على موقعي: "حسناً، مع من كنت؟ قالت سكرتيرتك إنك حصلت على يوم إجازة لأسباب شخصية، إلى أي مدى كانت شخصية، يا أندي؟".

صفق كأسه بقوة على طاولة القهوة، وصرخ محتداً: "هلاً توقفتِ عن التحقيق معي! أنا أحقق في بعض المسائل الحساسة للغاية، ولا أخبر جيسيكا بكل ما أفعله!"، مزّر أصابعه عبر خصلات شعره محاولاً بوضوح السيطرة على غضبه، وعندما تحدّث مجدداً، أصبحت نبرة صوته أكثر هدوءاً، وقال: "اسمعي، إن بعض المصادر التي أتعامل معها تتجنّب الظهور في العلن، لذا أخرج من حين إلى آخر عن سير التحقيق الرسمي للتحدّث إليها، هل يمكننا الانتهاء من هذا التحقيق الآن من فضلك؟ لا تربطني أي صلة لا بلويز ولا غيرها، أقسم لك بحياتي".

أردت أن أصدّقه، ولكنني أصبحت أكرهه لأنه جعلني كأحدى النساء اللواتي لطالما كرهتهن. إنني الآن أشعر بالغيرة والريبة، وأنفقُ جيوبه، وأنفخُ رسائل البريد الإلكتروني المرسلة إليه، وأنا مرتبكةٌ للغاية، فكل شيء خادع، ولا أستطيع معرفة ما هو حقيقي بعد الآن، وأظنّ أنني يائسة ومصابة بجنون الارتياب وحسب. لقد تركت لويز تستفزني، وأنا بحاجة إلى إعادة التفكير في هذا الأمر عندما أكون أقلّ تعباً، فلم أكن مستعدة للشجار الآن. قلت له من دون أن انتظره أن يتبعني: "سأخذ إلى النوم".

خلعت ملابسِي واستلقيت على الفراش، ولكنني كنت مجبرةً على النوم، وبعد فترة وجيزة انفتح الباب، وشعرت بأندي يخلع ملابسه في الظلام، فاستلقيت جامدةً في مكاني من دون حراك، وقد تملكني الشعور بالبؤس، بينما اهتز السرير تحت تأثير وزنه، ثم ضغط جسده على جسدي معانقاً إياي،

ورمى بثقل ذراعه عليّ، وهو يلفّها حول خصري، وهمس ليّ، وهو يستند إلى مرفقه الآخر: "أنا آسف للغاية، لا أريد أن أتجادل معك، لم أقصد ما قلته، لقد كان ذلك بسبب تأثير الكحول".

ما زلت أستشيط غضباً، ومع ذلك فإن حرارة جسده قد ألهمت ظهري، وجعلتني أسمع نبضات قلبي في أذني، حتى وأنا أحاول التظاهر بالغضب، مزّر يده على فخذي، وكان صوته خافتاً وناعساً، وقد قال وأنفاسه الدافئة تلامس رقبتني: "أنت محقة، ما كان يجب أن أكذب عليك، وأنا أعرف مدى انزعاجك من لويـز، فأنا لا أحاول تقديم الأعدار، وقد كنت مخطئاً، وأنا آسف، لقد بدت مجنونة بعض الشيء الليلة، ولهذا السبب بقيت في الجوار، وقد نسيت مدى هوسها، فهي تعتقد أنك سمّمت باغبس المسكين، وبدأت أعتقد أنها غير مستقرة عقلياً كما قلت سابقاً، ومن يدري ما الجنون الذي يمكن أن يصدر عنها بعد ذلك". انزلت أصابعه إلى الرطوبة بين فخذي، فلم أوقفه، ثم أكمل قائلاً: "إنها تعيش في عالم من الوهم، وتعتقد أننا سنعود إلى بعضنا...".

فجأة، ابتعدت عنه، لقد مارس الجنس معها قبل ثلاثين ثانية، ومع أنني لم أكن متأكدة من ذلك، ولكنني أعرف أندي جيداً، وأدرك كيف يخطط عقله المخادع. كان هذا الخطاب الصغير الذي ألقاه ليمهد الطريق للدفاع عن نفسه، إذا أتت إليّ ذات يوم، وأخبرتني بأنهما أقاما علاقة: إنها مجنونة، اسمعي كمية الأكاذيب التي لفتتها عنك، ومن الواضح أنها متوهمة، ولا يمكنك تصديق كلمة مما تقوله.

وضع أندي يده على كتفي متردداً، ولكنه تصنّع التنهد وابتعد قائلاً: "سأستحمّ بسرعة، ولن أطيل في الحمام".

أفحمت براجم أصابعي في فمي، وسالت دموعي على خديّ، ثم أغمضت عيني، وبكل ما أوتيت من قوة سعيت إلى كبح جماح انفعالاتي، فقد

كانت أنجي محقة، كما كانت والدتي محقة أيضاً، وكل الرافضين والمشككين في نجاح علاقتنا، والذين قالوا لي إن الطبع يغلب التطبع كانوا محقين، ماذا توقعت منه؟ أي نوع من الرجال قد يترك ابنه الرضيع، وهو يبلغ من العمر أسبوعاً وحسب، بغض النظر عما فعلته والدته؟

هذا النوع من الرجال يغش، ويكذب، ويخدعك لكي تعتقدي أنه قادر على حب أي شخص إلا نفسه. أندي خائن، ومخادع وابن ضيعة، ولكنه سيظل ابن الوضيعة خاصتي، ولا رغبة لدي في التخلي عنه، كما لا يهم إن كنت أحبه أو أكرهه، فالحب والكره هما وجهان لعملة واحدة على أي حال.

## الفصل 35

### لوزير

قال لي أندرو أحبكِ، وإنه لطالما أحبني، وبينما كنت أنظر إلى انعكاس صورتني على مرآة دورة المياه، قلّدت نبرة صوته: ليس لديك فكرة عن مدى اشتياقي إليك، لقد كان ذلك رائعاً، فقد قضيت وقتاً ممتعاً حقاً.

وقفت تحت الدش، وقد حوّلت برودة المياه إلى أقصى درجة، ثم ثبتت وجهي تحت الرذاذ الجليدي، وأنا أشتعل غضباً من نفسي، كيف وقعت في شبابه مرة أخرى؟ فعندما تخدعني لمرة واحدة يكون العار عليك، ولكن عندما تخدعني مرتين فالعار يكون عليّ. أتى أندرو ليستشيرني بشأن علاقته بامرأة أخرى، وهذا ما قصده عندما قال إنه كان أحمق، فلم يكن يقصد من كلامه أنه كان أحمق لأنه تركني، ويتحتم عليّ أن أعترف ببراعة أندرو، لأنه لا بد أن يكون من يخدع امرأتين في الوقت نفسه صياداً ماهراً. لم يؤذِ الحمام البارد إلى تهديئة أعصابي، إلا أنه أسهم في تبديد بعض صداق الثمالة، فجففت شعري وأنا أستشيط غضباً، وعدت إلى غرفة نومي لأرتدي ملابسني، وأنا متأكدة من أن أندرو لم يأت إلى منزلي وفي نيته إقامة علاقة جنسية معي، إلا أن ذلك كان بمثابة جائزة ترضية لطيفة لم يتوقعها، فلم يكن مضطراً إلى ملاطفتي حتى يجزني إلى السرير. وما إن يخطر في بالي وهو مستلقٍ بتعجرف في مؤخرة سيارة الأجرة، والإحساس بالإنارة المضاعفة يرتسم على وجهه وهو عائد إلى زوجته، حتى أشعر بالرغبة في قتله بشكل وحشي.

في المرة الأخيرة التي تركني فيها وعاد إلى كاز، حطّم فؤادي، وفي

الوقت الراهن أنا أتحقّق من مشاعري وأختبرها، ليتبين لي أن خيانتة قد حطمتني للمرة الثانية، والغريب أنني أشعر مجدداً بأنني سطحية ومجردة من المشاعر. فما لا شك في أنني أشعر بالانزعاج وخيبة الأمل، ولكن بالطريقة التي قد يشعر بها الوالد تجاه الطفل الذي يخذله بدلاً من الشعور بخيبة عاشق قد خُدع بقسوة. لا أستطيع أن أصدّق ذلك، ولكنني لا أعتقد أنني أهتم كثيراً بما يفعله أندرو، أو مع من أظن أنني تجاوزته.

عندما أدركت ذلك شعرت بالبهجة، وبأنني حرة، وبأن خطواتي رشيقة وخفيفة، وأنا أنزل إلى الطابق السفلي لإعداد الفطور لتولي.

على الرغم من كل ما حصل، ربما كان ما حدث ليلة أمس لم يكن خطأً فادحاً، وربما كانت الصفعة الأخيرة التي تلقيتها ضرورية لأدرك أنني منذ فترة طويلة لم أعد أحب أندرو، وأن كل ما في الأمر أنني لم أكن أدرك ذلك، وربما يكون ما حصل يسمّيه الناس بالخاتمة.

تفاجأت عندما رأيت بيلا تتكئ على خزائن المطبخ مرتدية ملابسها، وهي تتناول وعاءً من كوكو بوكس الخاص بتولي، فسألتها: "ما الذي أيقظك باكراً؟".

أجابتي وكأنها تخاطب شخصاً غيبياً: "أودّ الذهاب إلى المدرسة". حاولت أن ألقى نظرة أقرب على الكدمة الأرجوانية الضخمة التي تضخمت على جبينها بين عشية وضحاها، فسألتها: "هل تعانين من الصداع؟". ابتعدت عني، وهي تحمل وعاء الحبوب، وقالت: "أنت من يتحتم عليك أن تصابي بالصداع، بعد احتساء كل هذا النيذ. متى غادر أبي؟".

قلت لها باقتضاب: "في وقت متأخر"، ثم أردفت قائلة: "أن رغبت في البقاء في المنزل اليوم، عزيزتي، لا أمانع ذلك".

قالت لي: "لا، فأنا بخير".

يبدو أنها بخير، على ما أظن، وأنا أشاهدها تضع ملعقة حليب الشوكولاتة

في فمها. في الواقع هذه هي المرة الأولى التي أراها تتناول فطوراً مغذياً منذ أشهر، وربما كنت أبالغ في ردّ فعلي بشأن وزنها، وحالتها المزاجية، فهي لا تزال في مرحلة المراهقة، ومن المتوقع أن تعاني من بعض تقلبات مزاجها. فجأةً تذكرت بأنني لم أتحدّث إليها بشأن الأموال التي أخذتها من حسابي، فكنت أنوي التحدّث إليها بعد أن عادت إلى المنزل من عطلة نهاية الأسبوع مع والدها، ولكن الوقت كان متأخراً عندما أوصل أندرو الولدين يوم الأحد، وبالأمس حصلت دراما الرحلة الكارثية. إلا أنني سأتحدّث إليها الليلة، عندما لا نكون على عجلة من أمرنا، ومهما يكن تفسيرها، فعليها أن تفهم أنها لا تستطيع سرقة المال مني بهذا الشكل وحسب، حتى ولو كان في إمكانها أن تنفقه من دون أن تتأثر ميزانية المنزل، فلا ينبغي لها أن تُسيء التصرف وتسرقه في مطلق الأحوال، وهي تعرف ذلك، لقد اعتقدت أنني بذلت مجهوداً أكبر في تربيتها.

غادرنا المنزل باكراً للمرة الأولى، لأنني لم أضطرّ إلى سحب بيلا من السرير عنوة، كما أمكنني القيادة ضمن حدود السرعة العادية بدلاً من تخطّي حدود السرعة القانونية كما أفعل كل يوم، ولهذا السبب تفاجأت عندما رأيت إحدى سيارات الشرطة تخرج من مسار خفي، وتسير خلفي، وأضواؤها الزرقاء تومض، وللحظة اعتقدت أن الشرطي يريد أن يتجاوزنا فقط، ولكن بعد ذلك دوت صفارات الإنذار لفترة وجيزة، وحين أدركت أنه يطاردني، ارتسمت الصدمة على وجهي.

أشاحت بيلا بنظرها عن هاتفها، وسألته: "ما الذي يحدث؟".  
أجبتها: "لا أعلم، فلم أكن مسرعة، ربما كان أحد أضواء الفرامبل لدي معطلاً؟".

شعرت بالتوتر عندما كان الشرطي يقترب مني، على الرغم من أنني لم ارتكب أي خطأ، فبدأ الأمر كما لو كنت تمرّ عبر القناة الخضراء في المطار،



ولا تعرف أبداً ما إذا كنت ستبتسم لمسؤولي الجمارك، أو أن تحذق بثبات إلى الأمام رافضاً التواصل معهم من خلال النظرات. بدا الشرطي في عمر بيلا، فأخففت زجاج النافذة وسألته: "كيف يمكنني مساعدتك، سيدي؟".

الشرطي: "هل هذه سيارتك، يا سيدتي؟".  
قلت له: "نعم، بالطبع".

الشرطي: "هل هي مسجلة باسمك؟".  
قلت بتردد: "لست متأكدة من ذلك، في الحقيقة إنها سيارة طليقي، ولا أعرف إن سجلها باسمي"، ثم أردفت قائلة: لكنني مؤمنة على قيادتها، وكل الأوراق قانونية".

الشرطي: "هل تمانعين الترحل من السيارة، سيدتي؟".  
قلت له: "يمكنني الاتصال بطليقي وسيخبرك...".  
الشرطي: "من فضلك ترجلي من السيارة".

ما إن ترجلت من السيارة حتى دفعت مقبض الباب بقوة من شدة الارتباك، فأقفلت السيارة عن طريق الخطأ، ثم تنهدت بيلا بعمق، وهي تضغط على زر الفتحة في لوحة التحكم في الوسط، وسألته وأنا أتبعه إلى مؤخرة السيارة: "ما الأمر؟ هل كانت المصابيح الخلفية معطلة، أم تعطل شيء آخر من هذا القبيل؟".

الشرطي: "هل كنت تحتسين الكحول، يا سيدتي؟".  
سألته مستغربة: "ماذا؟".

الشرطي: "لقد عبرت المسرب المقابل بينما كنت أشاهدك، و...".  
قلت مدافعةً عن نفسي: "هناك مسرب واحد فقط، ومن المستحيل عدم سلوك الجانب الآخر".

قال الشرطي بلطف: "لديّ سبب معقول للاشتباه في أنك تحت تأثير

الكحول، وسأطلب منك الموافقة على إجراء اختبار التنفس، هل توافقين؟".  
صرخت غاضبة: "احتساء الكحول؟! إنها لا تزال الثامنة صباحاً!".  
الشرطي: "يجب أن أحذرك من أن رفض تقديم عينة التنفس يجعلك  
مذنبه في نظر القانون، وأنك ارتكبت جرماً تعاقبين عليه".  
أمسك بجهازه اللاسلكي ما أنذر بالشؤم، فغيرت موقفي سريعاً، وقلت  
له: "حسناً، أوافق على إجراء الاختبار، لأنني بالطبع لم أشرب في الصباح!  
حتى إنني لم أتناول طعام الفطور في الأساس!".  
فتحت بيلا باب السيارة، وترجّلت منها، وسألتنني: "أمي، ما الذي  
يحدث؟".

قلت لها: "عودي إلى السيارة، يا بيلا".  
قالت: "ماما...".

قلت: "عودي إلى السيارة!".

قال الشرطي: "يمكنك ركوب سيارتي، والجلوس في المقدمة".

ركبت سيارة الشرطة، وقلبي ينبض من الخوف، فلم يسبق لي أن جلست  
في سيارة شرطي، كما لم يسبق لي أن أوقفت، وهذا ما أشعرنني بالإهانة  
والحرج، فأنا لست مجرمة، حمداً لله أننا لسنا على الطريق العام، وبالتالي  
ليس هناك أي فرصة لأن يراني أي شخص أعرفه، فالأمر برمته سخيف، ولا  
أستطيع أن أفهم لماذا أوقف هذا الشرطي أمماً في طريقها إلى إيصال ولديها  
إلى المدرسة في الساعة الثامنة صباحاً، فلا بد أن يكون لديه حصة سخيفة  
للاجتماع قبل نهاية الشهر.

جَهَّز الشرطي الشاب جهاز تحليل التنفس، فأطبقت الطالبة المجتهدة في  
داخلي شفيتها مصممة على القيام بذلك على أكمل وجه، واتبعت تعليماته،  
وهو يحمل الجهاز بثبات أمامي، فتنفّست في الأنبوب حتى أصدر الجهاز  
صفيراً، وكلانا انتظر محرراً صدور نتيجة تحليل العينة التي قدّمتها للتو، ومن

الواضح أنها ستكون سلبية، لأن المشروب الوحيد الذي شربته هذا الصباح كان عبارة عن كوبين من الشاي.

لقد أصدر جهاز التنفس صوتاً مرة أخرى، وقد قرأ الشرطي ما ورد في التقرير، فلم تتغير ملامحه، وهو يقول: "حسناً، إنه إيجابي 42، والحد القانوني هو 35، لقد فشلت في اختبار التنفس، لذلك أنت رهن الاعتقال للاشتباه في قيادتك في أثناء تجاوز الحد المسموح به للكحول...".

قاطعته قائلاً: "لا يمكن أن يحصل ذلك، لا بد أن خطأ ما قد حصل، هل يمكنني إجراء الفحص مرة أخرى؟ أقسم، إنني لم أشرب هذا الصباح سوى فنجان شاي".

قال الشرطي: "سنجري اختباراً آخر في المركز، سيدتي".  
أصررت عليه قائلة: "لكنك لا تصغي إلى ما أقوله، إنني لم أشرب شيئاً، ولا حتى شراب السعال! ولا بد أنني أخطأت في القيام بالاختبار، أو...".  
قال: "هل احتسيت الكحول الليلة الماضية، سيدتي؟".

فجأة شعرت بغثيان، فتذكرت زجاجة النبيذ الكاملة التي احتسيتها برفقة أندرو، وقلت بصوت خافت: "نعم، ولكن كان ذلك قبل ثماني ساعات، وأنا لست ثملة".

قال بلطف: "يبقى الكحول في مجرى الدم لفترة أطول مما تعتقدينه، وسأرافقك إلى مركز شرطة برايتون الآن، كما سأطلب من ولديك مرافقتنا، ويستحسن أن تستدعي من يمكنه اصطحابهما من المركز".

قلت له: "لا حاجة إلى اصطحاب الولدين إلى المركز، فيمكن لأمي أن تأتي، ويذهبا معها الآن، فهي تقطن على بعد عشر دقائق من هنا".

قال: "أخشى أن عليك أن ترافقيني إلى المركز على الفور، كما يمكن أن تذهب أملك إلى المركز لاصطحاب الولدين منه".

لم يسبق لي أن شعرت بهذا الخزي والعار عند اقتراب شرطي من

سيارتي، والطلب من ولديّ مرافقة أمهما إلى مركز الشرطة. راقب تولي تحركاتنا، فتلوّنت وجنتاه من الإثارة، بينما كان الشرطي ينقله من سيارتي في المقعد الخلفي إلى سيارة الشرطة، ثم أحكم شد حزامه، ولكن بيلا لم تنظر إليّ، وقد جلست صامته في المقعد الخلفي من السيارة.

إنني لا ألوم الشرطي، فهو يؤدّي عمله، والآن وقد انتهت هذه الإجراءات، يبدو أنه استرخى قليلاً، وأخذ يتحدث بشكل ودي إلى تولي، الذي أغرقه في الأسئلة، وأنا واثقة من أنه سيخبر الجميع بأنه ركب سيارة شرطة، ومن بينهم أساتذته، وأبوه، ولن تكون لدي أي فرصة لإخفاء تلك الحقيقة.

مالت بيلا إلى الأمام بين المقعدين الأماميين، وسألت الشرطي: "لماذا كنت تنتظر في جانب الطريق؟".

قال: "من فضلك تراجعني إلى الخلف، يا آنسة".

تجاهلت طلبه وكرّرت كلامها قائلة: "إنه مجرد مكان غريب للوقوف فيه، إنه لا يقود إلى أي مكان، باستثناء مزرعة بارلو، ولا أحد يسير على هذا الطريق إلا نحن، فلماذا كنت هناك؟".

أدركت فجأة ما الذي تشير ابنتي إليه، فسألته: "هل كنت تنتظرني؟".  
بدا غير مرتاح، وهو يقول: "نعم سيدتي، ولكننا نتصرّف بناءً على التعليمات الواردة".

صرخت بيلا قائلة: "إنه ذلك المزارع اللقيط، الشخص الذي يريد بيع حقوله لهؤلاء المستثمرين، وأراهن على أنه من فعل ذلك، لأنك رفضت السماح لهم بشق طريق تقودهم إلى أرضه عبر فنائنا الخلفي، إن هذا السلوك يعدّ من الأخطاء الغبية التي قد يرتكبها الإنسان".

قلت بسرعة: "انتبهي لألفاظك!".

قالت بان دفاع: "إنه هو، أنا متأكدة من أنه المسؤول عن ذلك".

لم يكن المزارع، بل كانت كاز من أبلغت الشرطة، لقد فعلت ذلك لأن

أندرو أمضى ليلة أمس في منزلي، ولا بد أنه أخبرها بأننا شربنا الكحول، وأنا متأكدة من أنه لم يذكر ما حدث بيننا، ولكن بالنسبة إليها، هي تشن حرباً شاملة على أي حال، وكان يجب أن أعرف منذ اللحظة التي أوقفتني فيها سيارة الشرطة.

وصلنا إلى المركز، وتبعت الشرطي الذي اعتقلني إلى غرفة تقع في الخلف، وتركت بيلا وتولي برفقة الشرطي المناوب في مكتب الاستقبال، وشعرت بألم شديد في معدتي، ربما تكون كاز قد أبلغت الشرطة، ولكن خدعتها قد نجحت لأنني فشلت في اختبار التنفس، وأنا المخطئة، فقد مات أخي لأن أحرق ثملاً في منتصف العمر كان يقود سيارته وهو يظن أنه يستطيع النفاذ من العقاب.

لا أهتم بمواجهة الأولاد، أو أندرو، أو حتى والدتي، لأنني لا أعلم ما إذا كان في إمكاني النظر إلى نفسي في المرآة مرة أخرى.

انتظرت وأنا أشعر بالدوار حتى أنهى الشرطي تفقد جهاز كاشف الكحول، ثم طلب مني أن أنفخ فيه مجدداً مرتين، كي تكون النتيجة مؤكدة، ولم أكن بحاجة إلى أن يخبرني أحد بحجم المشاكل التي وقعت فيها، وكيف سأتمكن من إيصال ولدي من وإلى المدرسة إذا خسرت رخصة القيادة؟ وكيف سأتمكن من الذهاب إلى العمل؟

قال الشرطي بشكل غير متوقع: "لقد اجتزت الاختبار، قد كانت النتيجة متدنية، وقد بلغت 34 فقط، ولن نغرمك أي غرامة، سيدتي".

سألته وأنا أحرق إليه بدهشة: "أحقاً اجتزته؟".

قال بلطف بالغ: "إن عينتك الحالية تجعلك تحت الحد القانوني للقيادة تحت تأثير الكحول، ومع ذلك أوصيك بشدة ألا تقودي سيارتك في المستقبل بعد قضاء ليلة تفرطين فيها في احتساء الكحول، لأن القيادة تحت تأثير الكحول يمكن أن تكون عواقبها وخيمة للغاية، حتى ولو كانت نسبتها

أقل من الحد المسموح به من الناحية القانونية".

قلت له: "أوه، شكراً لك، شكراً جزيلاً لك".

قال: "لا داعي لشكري، فقد كنت محظوظة للغاية هذه المرة، سيدة بيع".  
لن أعتقل، فلم أكن ثملة أو غير مسؤولة جنائياً، قلت له بلهفة: "أنا أسفة للغاية، فلم تكن لدي فكرة في أنه لا يزال في إمكاني تجاوز الحد الأقصى، وأعدك بأن ذلك لن يتكرر مرة أخرى".

قال: "بإمكانك الذهاب، هل تحتاجين إلى من يقلك إلى سيارتك؟".  
أفضل أن أمشي على أن أحمل عار ركوب سيارة الشرطة مجدداً، قلت له:  
"كلا، لا بأس، يمكنني الاتصال بوالدتي لأرى ما إن كان في وسعها أن تقلنا"،  
ثم تفحصت مكتب الاستقبال حيث تركت بيلا وتولي، وسألت الشرطي: "هل تعلم أين ولداي؟".

قال الشرطي الجالس خلف المكتب: "لقد جاء والدهما وأخذهما منذ قليل، ولكن اطمئني، سيدتي، لقد تحققتنا من هويته، وستتمكّن من اللحاق بهم إن خرجت في الحال".

كان أندرو يضع مقعد تولي في المقعد الخلفي لسيارة كاز الأودي، وهو يحاول شدّ الحزام من خلال فتحات الكرسي،  
قلت له: "ما الذي يجري؟".

بعد أن استطاع أن يحكم الحزام في مكانه، استقام ونظر إليّ: "لقد أرسلت إليّ بيلا رسالة نصية، وطلبت مني أن أوصلها إلى المدرسة، لأنهما لم يعرفا كم ستبقين في الداخل".

مالت كاز عبر المقعد الأمامي، وقد خاطبني عبر النافذة بحدة: "كيف أمكنك أن تكوني غير مسؤولة إلى هذا الحد؟ ماذا لو أصابهما أي مكروه، وأنت ثملة خلف المقود؟".

قاطعتها قائلة: "لم أكن ثملة"، ثم التفت إلى الجزء الخلفي من السيارة،

وقلت: "بيلا، تولي، أخرجنا من السيارة، لقد أنهيت كل الإجراءات، وكل الأمور تسير على ما يرام، هيا، يا بيلا، فنحن بحاجة إلى المضي قدماً، وقد تأخرتما بما فيه الكفاية"، ولكنها لم تبارح مكانها.

تمت بيلا قائلة: "ولكن كيف يمكنك أن توصلينا من دون سيارة، يا أمي".

قال أندرو: "سنوصلهما إلى المدرسة، ويمكننا حل المسألة لاحقاً". كنت على وشك أن أرفض، ولكن بيلا رمتني بنظرة استعطاف، فأدرت أنها تتوسلني كي لا أفتعل شجاراً قد يقود إلى مشهد درامي، فقلت على مضض: "حسناً، أوصلهما أنت، وسأعيدهما إلى المنزل لاحقاً". قالت كاز: "أنا سأقلهما".

أضاف أندرو: "انظري، لماذا لا تأخذين إجازة ليوم أو يومين للاهتمام بنفسك؟ كما يمكنك أن ترتبي أمورك، ويمكن للولدين البقاء في برايتون تحت رعاية كاز، وسأخذ إجازة يوم الجمعة على أي حال، لتلبية دعوة والدتك، لذا لن يسبب ذلك أي مشكلة، وستحدث لاحقاً".

سألته: "ما الذي تقصده من قولك إن عليّ بأن أرتب أموري؟".

قال من دون أن ينظر إليّ: "ربما من الأفضل أن يقضي تولي وبيلا بعض الوقت برفقتنا، حتى تتمكني من تحسين وضعك، فأعلم بأنك قد واجهت الكثير من المشاكل، وربما خرجت الأمور عن سيطرتك قليلاً".

أضافت كاز بقلق: "لا نريد أن يتدهور وضعك، كما حصل مع روجر لويسون، فقد سمعت أن ما حدث كان مروعاً".

فجأة شعرت بالاختناق وبصعوبة في التنفس، إنها تسعى إلى أخذ ولدي مني، إنها آخر حيلة ستلعبها، لهذا السبب ورّطتني مع الشرطة، لأن الإدانة بالقيادة تحت تأثير الكحول ستكون نقطة سوداء كبيرة في ملفي، ما سيمنح أندرو من الطعن في الحضانة، لتسلبني حضانة ولدي.

قاطعتنا بيلا قائلة: "يجدر بي الوصول إلى المدرسة، يا أبي، لقد تأخرت بما فيه الكفاية حتى الآن".

لم يستطع أندرو أن ينظر إليّ، وهو يركب السيارة، وقد راقبته وهو يرتجف من شدة الغضب المكبوت في داخله، كيف أخبرها بموضوع روجر؟ لقد كانت تلك المعلومات شخصية وخاصة، وكلفني الأمر بذل جهد كبير حتى تمكّنت من إخباره، وفعلت ذلك فقط لأنني أردت أن أكون صادقةً معه تماماً قبل أن نتزوج.

كم مرة يتحتّم عليه أن يخذلني حتى أفهم حقيقة ما يجري؟ قبل ساعات فقط كان هذا الرجل يستلقي على سريري، وقد أخبرني بأنه لم يتوقّف أبداً عن حبي، والآن يستخدم أدق تفاصيل ماضيّ ليشير إلى أنني غير مستقرةً عقلياً، إلى درجة أنه لا يشعر بأن ولديّ بأمان معي، لا أعتقد أنني كرهته من قبل، ولكنني أصبحت أكرهه الآن.

فتحت ملف الصور المخزنة في هاتفي، وبدأت أتصفّحها حتى وصلت إلى الصورة التي أريدها، لقد كُشفت أسرارِي إلى العلن، وهي مسألة وقتٍ حتى تُكشَف أسرار كاز أيضاً.



## الفصل 36

### كاز

بينما كان أندرو يقلّ الولدين إلى مدرستهما، شعرت بأنني لم أستطع استنشاق الهواء الذي يتنفسه، فبين ليلة وضحاها تحوّل ما أشعر به من ألم الخيانة إلى غضب جارف لا يلين، ولا أدري ما سيكون مصير علاقتنا بعد الآن، إلا أن مجرد التفكير في مشاركته سريري تجعل قلبي ينبض، وجلدي يقشعر، ومع ذلك تبدو الحياة من دونه جحيماً لا يُطاق؛ فانفصالي عني يحدث في روعي فجوة سحيقة، تجعلني أعاني من فراغ عاطفي هائل، لأنني ما زلت أحبه. ولكن كيف يمكنني استعادة توازني، وتوحيد مشاعري المتضاربة؟ أو بالأحرى كيف يمكن أن أقاتل من أجل الحفاظ عليه، في الوقت الذي أسعى فيه إلى إلقائه في الشارع، وردّ الباب خلفه؟

لو دافع عني عندما بدأت المعركة التي خضتها ضد لوييز منذ بضعة أسابيع، لما خرجت الأمور عن السيطرة أبداً، فتلك المرأة قد استغلّت ضعفه تجاهها، ولولا تساهله معها، وسعيه الدائم إلى إرضائها، ما كانت لتقدم على ما أقدمت عليه على الإطلاق. إن مرارتي كبيرة إلى درجة أنني أستطيع أن أتذوّق طعمها، وأنا أدرك أنني لن أتحرّر منها أبداً، كما أنه لن يقاتل من أجلي قط، مهما أساءت إليّ، ولمّ قد يساندني في مواجهتها، وهو لم يسبق له أن بذل أي جهد من أجل إرضائي؟

أصرّ على إيصال بيلا إلى المدرسة، وأنا أشاهدهما الآن، وهما يقفان خارج أبوابها، ويتحدّثان باهتمام شديد، ويبدو جلياً أن ما يدور بينهما موضوع

مهم يُشغل باله، ولكنني لا أزال أجهله حتى الآن، ولا بد أنه يختلف عن الحنين الذي دفعه إلى ممارسة الجنس مع لويز الليلة الماضية، ولكن إذا لم يكن برفقتها بالأمس، عندما كان يُفترض أن يكون في العمل، فأين أمضى يومه، بحق الجحيم؟

أنا لا أصدّق هراءه حول تلك المصادر المجهولة التي صوّرها وكأنها المصدر ديب ثروت، فلا بد أنه يخطّط لأمر خطير.

ما إن ركب السيارة، حتى فاجأني بقوله: "تقول بيلا إن الشرطي كان ينتظر لويز على جانب الطريق، وهي تعتقد أن مزارعاً يكن لها الضغينة اتصل بالشرطة، وأبلغ عن لويز، ولكنني لست متأكداً من ذلك، هل تعلمين شيئاً عن الأمر؟".

التزمت الصمت، بينما كان يتّجه بالسيارة إلى الطريق الرئيسي. كان ثملاً عندما عاد إلى المنزل الليلة الماضية، واعترف بنفسه بأن لويز فقدت السيطرة على نفسها، ما دفعني إلى أن أوّدي واجبي المدني، فأبلغت عن سائقة ثملة في طريقها إلى إيصال طفليها إلى مدرستهما فحسب، وهي واحدة من بين الكثيرين في جميع أنحاء البلاد الذين يشربون الخمر عند الساعة السادسة مساءً، ويمارسون حياتهم بشكل طبيعي، من دون أن يفكّروا أبداً في أن تأثير الخمر قد يظلّ حتى صباح اليوم التالي.

كان يتحتّم عليّ أن أعرف أن لويز ستجد طريقة ما للتملص من العقوبة، وبطريقة ما تبدو تلك المرأة دائماً بمظهر المتزنة، ولو أمكنها إطلاق النار على أحدهم في شارع أكسفورد، لمدح أندي مهارتها في الرماية.

قلت له: "لقد أفلتت من العقاب هذه المرة، ولكن لا يمكنك تجاهل اضطرابها العقلي، يا أندي، عليك أن تقوم بعمل ما حيال ذلك".

تنهّد وقال منفعلاً: "بالله عليك، يا كاز، لم تتخطّ الحد المسموح به". قلت له بإصرار: "لقد كان الولدان معها في السيارة هذه المرة، ماذا لو

اصطدمت بسيارة أخرى أو بعمود في الطريق؟ إنهما ليسا بأمان معها بعد الآن".

نظر إليّ شزراً، وقال: "هل تعتقدين حقاً أنه يمكنك تحمل مسؤولية بيلا وتولي طوال الوقت؟ نحن نواجه الكثير من الصعوبات في التعامل مع طفل واحد، فما بالك بثلاثة أطفال، وأنت لست نموذجاً للأُم المثالية".  
سألته مستنكرة: "هل أنت واثق من أنني لا أستطيع التعامل مع الأطفال الثلاثة والتكفل برعايتهم؟".

أجابني بعد برهة من الصمت: "أعتقد أنك لن ترغبين في تولي مسؤوليتهم".  
ما أريده لا علاقة له بما أقدر عليه، ولكن إذا كان في إمكاني التخلص من السبب القانوني الوحيد الذي يسمح للويز بأن تتدخل باستمرار في حياتنا من خلال أخذ الولدين منها، فإن سحب البساط من تحت قدميها سيسرني، ولكنها ستظل تتمتع بحقوق الزيارة بالطبع، ما لم نتمكن من إثبات أنها غير متزنة، ومختلة العقل، ولا يمكن تصديق كلمة مما تقوله، وهو أمر سهل تماماً.  
وعندما يقيم الولدان معنا، ستكون الكرة في ملعبنا، وسيكون عليها إذا أرادت رؤيتهما أن تلعب وفقاً لقواعدنا، ولن يكون أندي رهن إشارتها وعلى تواصل دائم معها، بل سيكون لدينا النفوذ والسلطة المطلقة.

أصدر هاتفي صوت تنبيه فجأة، حين وصلتني رسالة نصية من لويز عبارة عن صورة، ما إن فتحتها، حتى تجمّد الدم في عروقي، فقد أرسلت صورة شعار قديم، وهو شعار ستار فارم سينيور كير سنتر، إنها تعرف الحقيقة!  
وقع الهاتف من يدي على أرضية السيارة، وتسارعت ضربات قلبي، فلا بد أن لويز تعلم بأمر والدتي، وأنها ذهبت لزيارتها، ولكن كيف وجدتها بحق الجحيم؟ الشخص الوحيد الذي يعرف بمكان روث هي أنجي، ولن تبوح أبداً بسري، ماذا اكتشفت لويز أيضاً؟ وما الذي ستفعله حيال ذلك؟

كانت يداي ترتجفان، وأنا ألتقط الهاتف، فأمي عجوز خرفة، ولن يأخذ

أحد هذيانها على محمل الجد، ولكن ما سيكون رأي أندي إذا اكتشف أنها لا تقيم في مبنى فيكتوري فخم في قلب تشيلسي كما أخبرته سابقاً، وإنما في دار رعاية؟ لم يكن ليستبدل حينها عن طيب خاطر المكانة الرفيعة التي وفرتها له لويز بمكانة كارول المنتمية إلى داغينهام، ويقدر ما يعرف عن والدي الميت، ووالدتي المنحدرة من سلالة الأثرياء والتي ابتعدت عنها، فإذا اكتشف أنني لست أرفع شأناً مما هو عليه، فسيأخذ ذلك العذر للعودة من دون تردد إلى ذراعي لويز.

سألني أندي، وهو يركن السيارة في شارع جانبي بالقرب من منزلنا: "هل أنت بخير؟ تبدين هادئةً للغاية".

ينبغي لي أن أتخذ قراراً سريعاً، فمعركتي مع لويز من أجل الحصول على حضانة الولدين يمكن أن تنتظر حالياً، وأحتاج أولاً إلى التحدث إلى والدتي، قلت له فجأة: "سأعود إلى لندن بما أن كل الأمور تسير على ما يرام، وأخبر لويز بأن الولدين سيقيان معها في الوقت الحالي، وأنا متأكدة من أنهما سيكونان بخير".

بدا عليه الارتياح بشكل جلي، عندما قال: "أعتقد أنها فكرة سديدة". بالكاد تحدثنا في القطار في أثناء عودتنا إلى فيكتوريا، وبمجرد وصولنا إلى لندن، توجه أندي إلى موقف سيارة الأجرة للذهاب إلى العمل، بينما استقلت المترو إلى المنزل، ولكنني لن أذهب اليوم إلى وايتفיש، ولست متأكدة من أن الوظيفة لا تزال في انتظار أن أعود إليها. دخلت إلى شقتنا الفارغة، والشعور بالتعب الشديد والفراغ العاطفي يثقلان كاهلي، فتخطيت كومة رسائل البريد الموضوعة على ممسحة الباب من دون أن أبذل أي جهد لالتقاطها، ثم ذهبت مباشرة إلى الطابق العلوي، وخلعت ملابسني، ودخلت إلى الحمام، ثم فتحت الدش، ووقفت تحت الماء الساخن بقدر ما أستطيع تحمله، فتصاعد البخار من حولي، وأغمضت عيني، ووضعت وجهي تحت

رذاذ الماء اللاهب، لويز، أندي، أي.جي، وايتفيس، أمي... وأنا أفكر في التخلص من كل تلك المشاكل المتشابكة وحسب.

امتصت الحرارة الطاقة المتبقية الكامنة في داخلي، فبالكاد غفوت في اليومين الماضيين، ولا أتذكر آخر مرة تناولت فيها وجبة صحية، وأنا أتوق إلى التسلّل إلى السرير والابتعاد عن العالم كله، ولكن لديّ العشرات من رسائل البريد الإلكتروني المتراكمة في بريدي الوارد، أربع منها على الأقل وردت من باتريك، والأهم من ذلك ينبغي أن أتحقّق من حالة أي.جي، وأتأكد من أنه بخير، كما يتحمّم عليّ التحدث إلى والدتي، ولكن لا أستطيع أن أشتت أفكارني للحظة واحدة.

خرجت من حوض الاستحمام، وأنا أتلّمس المنشفة وسط البخار الكثيف المنتشر فيه، فتعثّرت، وارتطمت ساقني بسلة المهملات الصغيرة، فصرخت من الألم في أثناء تحليقها عالياً، وتناثرت المناديل الورقية الممزقة وخيوط تنظيف الأسنان والفوط القطنية المستخدمة على الأرض، وبينما كنت أشتّم وأنا ألتقط القمامة وأعيدها إلى سلة المهملات، تجمّدت في مكاني من هول المفاجأة.

حدّقت إلى الخطين الأزرقين اللذين ظهرا على اختبار الحمل الذي أحمله بيدي، ولكن ما الذي يعنيه ذلك؟ ما الذي أقدم عليه أندي؟ إن عامل التنظيف يُفرغ سلة المهملات مرة كل أسبوع، وبما أن اختبار الحمل هذا لا يعود إليّ، فيجب أن يكون لشخص واحد فقط، والأثنى الأخرى الوحيدة التي كانت تقيم في المنزل في الأسبوعين الماضيين كانت بيلا.



ثلاثة أيام قبل الحفل





## الفصل 37

### لويز

كنت أحضّر تولي لإيصاله إلى الحضانة، عندما سمعت صوت بيلا، وهي تتقيأ في الحمام، فتركته وتوجهت إلى الردهة، ووقفت مترددة قبالة باب الحمام، ثم قلت لها: "عزيزتي، هل أنت بخير؟"، فسمعت صوت تدفق الماء من المرحاض، وبعد لحظة فُتح الباب، وخرجت بيلا شاحبة، وقد تناثرت قطرات العرق على شفتها العليا، وقالت: "أعتذر، فلقد تناولنا شطائر السمك البارحة في المدرسة، ولا أعتقد أنها كانت فكرة صائبة".

"أظنّين أن الأمر له علاقة بما أصابك يوم الاثنين".

"ربما".

سألته بقلق: "هل ترغبين في البقاء في المنزل لليل قسط من الراحة؟".

أجابتنني بتردد: "لديّ اختبار في مادة الكيمياء الحصة الثالثة".

"ستسمح لك الأنسة ويلش بأن تعوّضيه، أليس كذلك؟".

"نعم، يُفترض ذلك".

"عودي إلى الفراش، وسأتصل بإدارة المدرسة لإبلاغهم بمرضك، وسأعود سريعاً لأهتّم بك، بعد أن أوصل تولي إلى الحضانة".

تبعته إلى غرفة نومها، وهي تخطو خطوات متكاسلة، وقد بدا عليها الإرهاق والتعب، ولكنني لست متفاجئة بتعزّقها، فهي ترتدي بنظلاً رمادياً، وكنزة سوداء فضفاضة، على الرغم من أننا في منتصف الصيف، ولكن ما فأجاني حقاً أنها شعرت بالضيق عندما غطّيتها بلحافها، وربّت على رأسها،

كما كنت أفعل عندما كانت صغيرة، ثم قلت لها وأنا أقبّل جبينها: "سأعود بسرعة".

"أمي؟".

التفت إليها قبل أن أغادر الغرفة، وقد فاجأني كم بدت صغيرة من دون تبرج، وقد ربطت شعرها إلى الخلف، وكأنها طفلة تبلغ الثانية عشرة من عمرها: "ما الأمر، عزيزتي؟".

تمتت قائلة: "أعتذر عن تصرفي ليلة البارحة"، وقد غضت طرفها، وهي تعبت بالخاتم الذي تضعه في إصبعها الوسطى، فبدا هذا الخاتم مألوفاً، ولكنني لم أتذكر أين رأيته سابقاً، ثم أردفت قائلة: "لم أقصد إزعاجك من خلال مراسلة كاز".

اقتربت منها، وجلست على حافة سريرها، وقلت لها: "لم تزعجيني مطلقاً، بيلا، وإنما المزعج أن ترى الفتاة أمها تُقتاد إلى مركز الشرطة، وأعتذر منك لأنني وضعتك في مثل هذا الموقف".

قالت لي بشكل غير متوقع: "لقد كنتِ أمّاً رائعة".

"كنت سأرتعب لو اعتقلتُ، ولكنكِ كنتِ هادئة تماماً".

قالت: "أكنت كذلك؟ كان يتحتّم عليّ أن أثق بك، وأن أعرف أنك لن تقودي السيارة وأنت ثملة، لا، لن تفعلي ذلك، خاصة بعد وقوع حادثة الخال نيكي".

لقد وافته المنية قبل وقت طويل من ولادتها، ولكنه لا يزال جزءاً من العائلة مثل أمي وتولي، فتنهّدتُ تنهيدة عميقة، وقلت لها: "كنت حمقاء تماماً، فكان يتحتّم عليّ أن ألاحظ تجاوزي حدود السرعة في السابق، فلا أستطيع أن أتحمّل ما قد يصيبكما لو وقع أي حادث، وأنتما معي في السيارة".

قالت: "ما كنت ستعلمين ما قد يحصل"، تردّدتُ قليلاً قبل أن أناقش مسألة سحب المال، فلا أريد زوال هذه اللحظات النادرة، ولكنني أعلم أنني

لن أحظى بفرصة مناسبة أكثر للتحديث إليها بصدر رحب، فقلت لها بهدوء: "بيلا، أودّ أن أسألك إن كنت قد سحبت مبلغ ثلاثمئة جنيه من حسابي المصرفي منذ عدة أيام، وإن لم تسحبها، فينبغي أن أبلغ المصرف بشأن هذا الأمر".

تغيرت ملامح وجهها، فظننت أنني أفسدت روعة تلك اللحظة، ولكن بعد ذلك زفرت ببطء، وتمتعت قائلة: "أرجوك، لا تجبريني على أن أخبرك بالسبب الذي دفعني إلى سحب المال، فلم أسحبه من أجل المخدرات أو لشراء أي ممنوعات".

تمكّنت من كبح آلاف الأسئلة التي كنت أنوي أن أوجهها إلى بيلا التي تجهم وجهها، وأخذت تعبت بأظافرها، وأخيراً قالت: "لطالما نصحتني بأن أساعد من يقع في مآزق".

"ولكنه مبلغ كبير من المال، هل أنت متأكدة من أنه لا يمكنك إخباري بالسبب الذي دفعك إلى سحبه؟".

تردّدت قبل أن تجيب، وقد استطعت أن ألاحظ توترها وهي تفكر بتمعن، فحبست أنفاسي، وأنا آمل في كسب ثقتها، ولكن قبل أن تتمكن من التفوه بأي كلمة، دخل تولي، وقاطع حديثنا مطالباً بوجبة فطوره، فرأيت بيلا تنطوي على نفسها، بعد أن انتهت تلك اللحظة.

عندما أنهيت تحضير تولي لأخذه إلى الحضانة، بدأ القلق يتغلغل في داخلي، وينهش صدري، فقد قالت إنها لم تسحب المال من أجل شراء المخدرات، ولكنها فقدت مؤخرًا الكثير من الوزن، وهي أيضا شاحبة اللون، وليست المرة الأولى التي تبدو فيها متوعكة خلال الأسابيع القليلة الماضية، ربما هناك ما يزعجها، ويتحتم علي إيجاد طريقة لمساعدتها، ولكنني لا أملك معلومات كافية حول المآزق الذي قد تكون واقعة فيه، وبعد أن أوصلت تولي إلى الحضانة، أعددت لبيلا كأساً من شاي الزنجبيل لتهدئة آلام معدتها،

وصعدت إلى الأعلى، فلم أرغب في الإلحاح في أسئلتني، ولكن ليس لدي أي خيار آخر، وإن انزعجت مني فلا مشكلة، فأنا أرغب في أن أكون صديقتها، ولكن دوري الأهم هو أن أكون والدتها.

كانت بيلا مستيقظة، وتستمع إلى الموسيقى، وقد نزعت إحدى سماعتها لحظة دخولي الغرفة، فسمعت موسيقى خافتة تنبعث من السماعة، وهي موسيقى تعود إلى إحدى الفرق الألمانية البغيضة المولعة بها، فتنهّدت، وقالت: "أعلم ما ترغبين في قوله، أقسم بحياة تولي إنني لا أتعاطى المخدرات".

تفرّست في ملامح وجهها، وأنا أفكر في مدى حماقتي، لكن غريزة الأمومة تنبئني بأنها صادقة، وقد تكون تُخفي عني أسراراً، ولكنني أصدّقها عندما تقول إنها لا تتعاطى المخدرات، لقد أفسحت لي المجال كي أجلس إلى جانبها، فوضعت كأس شاي الزنجبيل الساخن على المنضدة الجانبية.

سألته بلطف: "لماذا كنت بحاجة إلى النقود، إن لم تستخدمها من أجل المخدرات؟".

"رجاءً، أمي، لا تسأليني ذلك، أرجوك".

صمتُ للحظة، ثم قلت لها: "لقد قلت لي إنك لم تستخدمها من أجل ارتكاب أي عمل غير قانوني، أليس كذلك؟".

"نعم، أقسم على ذلك، كما أن الأمر انتهى الآن، أقصد أنه لم يعد مهماً، وأعدك بأنني سأسدّد لك المبلغ لاحقاً".

اخترت كلماتي بعناية، وأنا أقول لها: "لا علاقة للمال بالأمر، فأنا قلقة بشأنك، بيلا، هل لديك ما توّدين إخباري به؟ وأعدك بأنني لن أغضب عليك أو أوّنبك، ولن أخبر والدك بهذا السر، إن كان ذلك ما يقلقك".

شاهدتها تعبت بخاتمها الفضي الذي تضعه في إصبعها الوسطى، وهي تُديره إلى الأمام والخلف، ثم إلى الخلف والأمام، فلم تنزعه من إصبعها منذ حصولها عليه، الأمر أشبه بـ...

نعم، لقد أصبحت الآن واثقة من طبيعة المأزق الذي وقعت فيه، فصفت جبهتي بيدي، كيف لم ألاحظ ذلك من قبل؟ إن أمراً واحداً فقط يجعلك تخسر الوزن وتتقيأ، وتشعر بالتوتر والاضطراب بشكل مستمر، وتتأرجح بين الفرح والبؤس خلال لحظة واحدة، إنه الحب، أقدم مخدر في العالم.

لقد تذكرت أين رأيت ذلك الخاتم، أو بمعنى أصح من كان يضعه. قلت برقة: "بيلا، هل تواعدين أحداً؟". هزت برأسها نافية.

قلت لها: "أليست تايلر السبب مما تعاني منه؟".

ازدردت لعابها، وهزت برأسها مرة أخرى، فتحطم قلبي، ورثت لحالها، وهمست إليها: "لم لم تخبريني؟".

أفلتت الكلمات من شفيتها، وقالت: "كنت أود ذلك، ولكنني وعدت تايلر بالأسر، فوالداها حازمان بشدة، وسيذعران تماماً إن بلغهما الخبر، كما أن الأمر يبدو معقداً للغاية".

"منذ متى وأنت تحتفظين بهذا السر؟".

كنت منهمكة في مشاكلتي الخاصة، فغفلت عما تواجهه في حياتها من مصاعب، كيف تغافلت عنها؟ سألتها متعاطفة: "هل ظننت أنني لن أفهم؟". هزت بكتفيها، وهي تسحب غطاء اللحاف بأصابع مضطربة.

"بيلا، لن أمانع أن تحبّي أي شخص تختارينه إن كان ذلك سيسعدك"، ثم أردفت قائلة بجدية: "إن شئت يمكنك إحضار دب قطبي، وسيكون مرحباً به إلى المائدة"، صمت للحظات، ثم أردفت قائلة: "حسناً، ربما ليس إلى المائدة، فبحسب معلوماتي الدبية القطبية ليست متكلفة بشكل خاص، ولكن إذا وقعت في حب دب قطبي، فسنجد طريقة لتجاوز ذلك، فربما نقوم بنزهة في الهواء الطلق على سبيل المثال".

قالت بيلا وهي تضحك: "أمي".

"هل تعرف تايلر بما تشعرين به؟"، هزّت برأسها إيجاباً.  
"ألا تبادلك الشعور نفسه؟".

قالت: "لا، ليست تلك هي المشكلة، فقد كانت تواعد شخصاً ما، ولكنها انفصلت عنه، كما أنها تعتقد أن الأمر لا يزال مبكراً جداً، وهي ترغب في الحصول على بعض المساحة"، ثم أضافت قائلة وبسرعة: "ولكن لا بأس، أفضل أن نكون صديقتين على ألا تجمع بيننا أي علاقة إطلاقاً".  
"هل كان ذلك ما أحزنتك مؤخراً؟".

"إن الأمر ليس كذلك في الغالب"، ثم نظرت إليّ نظرة خاطفة، وبعد ذلك أشاحت بوجهها بعيداً، وقالت: "إنها كاز".  
فقلت لها: "ليس عليك بالقلق بشأن...".

قاطعتني قائلة: "إنني معجبة بها"، فبقيت مذهولة وصامتة، بينما تابعت بيلا كلامها قائلة: "أحب أن أمضي العطل في منزلها، والقيام بمختلف النشاطات معاً، ولا أريدها أن تنفصل عن والدي، كما لا أريد أن يظل والدي وحيداً، بل أودّ أن تبقى الأمور على حالها".

استغرقتني استيعاب ما تقوله بضع لحظات، ثم قلت لها: "لا علاقة لي بما حصل بين والدك وكاز".

رفعت بيلا ساقها الطويلتين، واحتضنت ركبتيها بيديها حانية رأسها في اتجاههما، وقالت: "ليس صحيحاً، يا أمي".  
"ماذا تقصدين من كلامك؟".

قالت وهي تشبك أصابعها بأسى: "أعلم ما حدث بينك وبين أبي في تلك الليلة، ولم يكن ذلك منصفاً، يا أمي، فقد ألقيت باللوم عليها لخطف والدي، وتفكيك عائلتنا، ولكن ذلك ليس صحيحاً"، فجأة نظرت إليّ مباشرة، وعيناها تتوهجان توهجاً غريباً يشير الريبة: "إنني أعلم بشأن تولي، وبأن والدي ليس أباه".

شعرت بالغرفة تهتزّ بي بقوة، وهي تدور بسرعة قصوى، فحاولت أن أفتح فمي لأتكلم، إلا أنني عجزت عن النفوه بأي كلمة، كما عجزت عن التنفس، ما جعلني أبدو غبية وعاجزة.

لقد أقسم أندرو بأنه لن يخبر أحداً، فذلك كان اتفاقنا، وقد تعهد بأن يحفظ سري، وألا يبوح به إلى بيلا أو تولي أو إلى أي أحد آخر، ولا حتى إلى كاز، وخاصةً كاز، وفي المقابل وافقت على ألا أزعجه خلال فترة الطلاق، وأن أقبل بالمبلغ الزهيد الذي عرضه عليّ.

قالت بيلا: "أمي، لا مشكلة، فأنا أتفهم الأمر، ولا ألومك على ما فعلته، كما أن والدي قد تعرّف إلى كاز، وكان يخونك معها".  
كان عليك أن تلوميني.

غطيت وجهي بيديّ، وبدأت أجهش بالبكاء، وانتحب نادمة، فقد كنت أهرب من هذه اللحظة، ومن مواجهة الحقيقة طيلة خمس سنوات، فالذاكرة مخادعة، ولا تتغافل عن الماضي، وتستحضره عندما ترغب في أن تحيي الذكريات.

تستطيع أن تدفع أحداثاً لا ترغب في تذكّرها إلى مؤخرة عقلك، وتدفعها خلف جدار من التفكير الرغبيّ، وستنسى حقيقتها مع مرور الزمن، ولكن عندما لا تتوقّع يُصدع الجدار، وتُجبر على مواجهة تلك الحقيقة التي قطعت أشواطاً من أجل إخفائها باذلاً جهدك بكل ما أوتيت من القوة، فينتابك شعور بالرعب يفوق الشعور الذي انتابك طوال مدة حبسها.

سألني بيلا برقة متناهية: "هل تحبّينه؟ أقصد والد تولي؟".

أشحت بوجهي بعيداً، وأنا أجهل من أين أبدأ بإجابتي، فعندما قابلت والد تولي، كنت أعرف أن أندرو يقيم علاقة مع امرأة أخرى، وكنت أرغب في عودته، كما كنت أريد أن أرّد له الصفحة التي وجّهها إليّ، والانتقام منه على ما بدر منه من أخطاء أدّت إلى تدنّي مستواه الأخلاقي، كما احتجت إلى الشعور

بأنني لا أزال محبوبة وجذابة أيضاً، وكنت أتوق إلى شخصٍ ينظر إليّ بشغفٍ.  
أما أندرو فلم يكن ينظر إليّ بلهفة وشغف، مع أن علاقتنا كانت مبنية  
على مشاعر أعمق من ذلك.

تشاركت معه شيئاً لم أدرك أهميته في أول لقاء لنا، وقد شعرت بانسجام  
تام معه، ما جعلني أشعر بأنني وجدتُ جزءاً ناقصاً من روحي، لم أشعر بأنني  
افتقدته من قبل، وعلى الرغم من معرفتي السطحية به، إلا أننا لم نصبح يوماً  
صديقين مقربين، هل يمكن أن يكون هذا الحُب؟

شعرت بأنني كنت مفتونة به حقاً خلال فترة قصيرة من الزمن، فاستحوذ  
على كامل تفكيري، وجعلني أشعر بالفراشات وهي تتنقل بخفة في معدتي،  
كلّما دخل الغرفة، فخلقت العديد من الفرص لأقابلة حتى وإن أمضينا الليلة  
السابقة معاً، كما أجريت العديد من الاتصالات، وأرسلت إليه الرسائل النصية،  
وقد أرهقت نفسي.

ذكّرني الشدّة التي أواجهها بما عانيت منه مع روجر، حتى إنني ذهبتُ  
إلى منزله ذات مرّة للتأكّد من أنه لا يخدعني، وأكتشف لاحقاً أن لديه عائلة  
بعد كل هذه المعاناة، فرأيت من خلال نافذة المطبخ والدته المسنّة التي  
لمحتني، وبالتأكيد لم تكن تعلم حقيقة هويتي، فلوّحت لي بيدها بالطريقة  
التي يقوم بها الناس عندما يفترضون أنهم يعرفون الآخر، ولمعت في ذهني  
فكرة، كيف ستنظر إليّ إذا علمتُ بأنني أقتفي آثار ابنها، لأن هذا ما كنت أفعله.  
وأدركتُ ذلك في تلك اللحظة، ففررت بعيداً، وانفصلتُ عنه، وركّزت كامل  
قواي على إصلاح حياتي الزوجية، فأقنعت نفسي بأن أندرو هو الشخص  
الذي وقعتُ في حبه، والذي سأشاركه حياةً وتاريخاً وعائلةً، كما تشاركنا  
آلاف اللحظات، بدءاً من اللحظات القصيرة والتافهة وصولاً إلى اللحظات  
الدرامية الحاسمة، بالإضافة إلى ولادة طفل وخسارة فرد من أفراد العائلة،  
وتناول وجبة الغداء يوم الأحد وإطعام القط، وهذه كانت بعض شؤون الحياة،



والاحتياجات التي يمكن أن تحتسب، وليس من خلال "التواصل" الرومنسي مع رجل لا أعرف اسمه بالكامل.

بعد ذلك حدث المستحيل، المعجزة التي كانت تولي، فأقنعت نفسي بأنه طفل أندرو، وقد رفضت أي احتمال آخر.

سألني بيلا: "هل أعرف والد تولي؟".

هزرتُ برأسي نافية، إنها الحقيقة على الأقل.

سألتها: "كيف... كيف اكتشفت الحقيقة؟".

قالت: "كان لدينا مشروع في علم الأحياء حول زمر الدم، وطلبت منا الأنسة لوكوود بأن نبحث عن فئات دم أفراد عائلتنا، وكنت في لندن، لذا نظرتُ في ملفك الموضوع على المكتب"، نظرتُ إليّ وقد احمرتُ خجلاً، ثم تابعت قائلة: "لم أكن فضولية، ولم أعرف أنها ملفات سرية، بل وجدت الاختبار الذي أجري عندما ولد تولي، وتوغّكت، فظنّوا أنه تفاعل الأجسام المضادة لعامل الريزوس".

كان يتوجّب عليّ أن أحرقها، أو أن أخفيها في الخزانة.

قالت بيلا: "زمرة دمك هي "أيه"، وزمرة دم أبي "أو" مثلي تماماً، وزمرة دم تولي "بي" وهذا يعني أن أبي لا يمكن أن يكون والده، وهكذا عرف هو أيضاً، أليس كذلك؟".

هزرتُ برأسي، وسالت دموعي، فلن تسامحني ابنتي أبداً، كيف يمكنها أن تفعل ذلك؟ وأنا لا أستطيع أن أسامح نفسي.

إن ذلك أحد الأسباب الكثيرة التي تجعلني أغضب على كاز، فهي لا تسلبني أندرو فحسب، بل إنها تدمر ذاتي العُليا، فأنا ما كنت لأخون زوجي وأخون نفسي لولاها. لم أخبر أحداً بحقيقة تولي، ولا حتى والدتي، ولكنني على الرغم من ذلك أظنّها خمنت الأمر، فكلما كبر تولي أصبح أكثر شبهاً بوالده البيولوجي، وهكذا تجد الأسرار وسائلها الخاصة للكشف عن نفسها.

قلت وأنا أدرك مدى سطحية كلامي: "أنا آسفة، أفهم كم يمكن أن تكوني غاضبة عليّ، ولكن أرجوك لا تخبري تولي، فوالدك هو الأب الوحيد الذي...".

قالت بيلا بحدة: "لن أفعل ذلك أبداً، فهو أخي وأنا أُحِبُّه".  
قلت بيأس: "إن كنت ترغيبين في الانتقال للإقامة مع والدك وكاز فلن أجادلك في قرارك".

حرّكت بيلا خاتمها الفضي، وقالت وهي تنظر إلى حضنها: "لقد ذكّرت غري شيئاً في العطلة السابقة، عندما كنّا نتحدث عن الخال نيكي، وقد قالت إن الحب يشبه المياه الجارية، إذا كان هناك ما يعيق مجراه، يجد دائماً طريقاً آخر للعبور".

تَوَقَّفت عن الكلام لمدة طويلة، وقد كبحت إلحاحي كي لا يخترق الصمت السائد المكان.

أخيراً قالت: "توقّعت أن يكون ذلك ما شعرت به، عندما قابل أبي كاز، وقد احتجت إلى أحد ما ليعبر عن هذا الحب، ووالد تولي كان حاضراً".

حدّقت إلى ابنتي الاستثنائية والحكيمة، وأنا أشعر بصراع عاطفيّ، بين الراحة والفخر، مقابل العار والندم، إلا أن بيلا تصرّفت أفضل من جميع البالغين المتأسّفين الذين ورد ذكرهم في هذه القصة الملحمية.

قالت بهدوء: "كاز ليست عدوك، فهل يمكنك أن تكفّي عن كرهها، يا أمي".

هزرت برأسي: "نعم، يمكنني ذلك".

**برين روبرتس**  
**الجزء 1 من المقابلة المسجلة**

بتاريخ: 2020 / 07 / 25

المدة: 31 دقيقة

المكان: مركز شرطة كينغز بريدج.

أجرى المقابلة: شرطة ديفون وكورنوال.

الشرطي: "حسناً، ما تقوله إن السيدة بيج - ابتك، لويز بيغ - أرادت

حضور السيدة بيغ الثانية الحفل؟".

برين روبرتس: "لا أعتقد ذلك".

الشرطي: "أعذرنى سيد روبرتس، ولكنك قلت إنها اتصلت منذ يومين

بزوجتك، وأخبرتها بأنها تريد طليقها وزوجته أن يحضرا

الحفل.

برين روبرتس: "نعم".

الشرطي: "هل تنكر الآن أنها قالت ذلك؟".

برين روبرتس: "لا، لقد قالت ذلك بالفعل".

الشرطي: "هل كنت حاضراً عندما اتصلت بها؟".

برين روبرتس: "نعم، لو أخبرت سيليا بأن الأمور على أفضل ما يرام".

الشرطي: "أهذا يعني أنها أرادت أن يأتي أندرو وكارولين بيغ على

الرغم من كل ما جرى؟".

برين روبرتس: "نعم، مع أنها في البدء لم تكن راضية".

الشرطي: "ماذا تعني بقولك في البدء".

برين روبرتس: "عندما دعتهما سيليا في المرة الأولى".

الشرطي: "حدث ذلك في حزيران الماضي؟ يُستحسن أن تتحدّث إلى

شريط التسجيل بدلاً من أن تهزّ برأسك، سيد روبرتس".

برين روبرتس: "أجل، أعتذر".

الشرطي: "هل يمكنك أن تتوسّع في توضيح التفاصيل قليلاً؟".

برين روبرتس: "حسناً، لم تكن لو سعيدة".

الشرطي: "كما سبق وذكّرت، هل يمكن أن توضح لنا كلامك،

سيد روبرتس؟ هل فعلت أو ذكرت ما يدلّ على أنها غير

راضية؟".

برين روبرتس: "لو لست ممن يسيّبون المشاكل".

الشرطي: "هل ناقشت تلك المسألة معك؟".

برين روبرتس: "إنني أعرف ابنتي".

الشرطي: "هل صحيح أن العلاقة بين زوجتك وأندرو بيج كانت

قوية؟".

برين روبرتس: "أجل".

الشرطي: "هل أغضب ذلك ابنتك؟".

برين روبرتس: "عليك أن تسألها".

الشرطي: "ماذا بشأنك؟ هل انسجمت مع طليق ابنتك؟".

برين روبرتس: "لو لست مثالية، ولكنها فتاة صالحة، ولم يكن على أندرو

أن يقيم علاقة مع امرأة أخرى".

الشرطي: "أتقصد مع كارولين بيغ؟".

برين روبرتس : "أجل".

الشرطي : "حسناً، للتوضيح فقط، لقد ذكرت أن ابنتك لم تكن راضية عندما عرفت أن أمها دعت أندرو بيج وزوجته الثانية لحضور الحفل، ولكنها تقبلت الأمر لاحقاً، أليس كذلك؟".

برين روبرتس : "صحيح".

الشرطي : "لكنها اختلفت مع السيدة بيج لاحقاً، وقد حضرت الشرطة إلى منزل أندرو وكارولين من أجل فضّ شجار وقع بينهما منذ أسبوعين، أليس كذلك؟".

برين روبرتس : "عليك أن تسألها بهذا الشأن".

الشرطي : "ما أحاول الوصول إليه سيد روبرتس، أن العلاقة المتحضرة التي سادت في الماضي بين ابنتك وكارولين، قد تلاشت في الأسابيع القليلة الماضية، أليس كذلك؟".

برين روبرتس : "أجل".

الشرطي : "ولكنك تقول إن زوجتك تلقت اتصالاً من ابنتك تذكر فيه أنها ترغب في حضور طليقها وزوجته الحفل؟".

برين روبرتس : "هذا ما قالته سيليا".

الشرطي : "هل كنت متفاجئاً من تغيير رأيها؟".

برين روبرتس : "(صمت قليلاً) إن سيليا غالباً ما تجد طريقها إلى بلوغ غايتها".

الشرطي : "كان ذلك تحوُّلاً كبيراً، هل يمكنك أن تذكر سبباً واحداً يجعلها تغير رأيها؟".

برين روبرتس : "لا أعرف".

الشرطي : "أعتقد أنها أرادت أن يحضر أندرو بيج الحفل لسبب معين؟".

برين روبرتس : "لا أستطيع أن أجزم الأمر".

الشرطي : "ربما رغبت في أن تنفرد به".

برين روبرتس : "لماذا قد ترغب في ذلك؟".

الشرطي : "حسناً، هذا ما نحاول أن نكتشفه، (يصمت قليلاً) ما حصل

أنه بعد أقل من ثمانٍ وأربعين ساعة من تلك المكالمة المفاجئة

التي تلقاها، عُثر عليه مقتولاً بوحشية".

## الفصل 38

### كاز

إن لم تكن تعرفها، فستعتقد أنها تستحقّ بعض الترفيه عن النفس، وقضاء وقت ممتع، وهي عالقة على كرسيها المتحرك طوال الوقت، ومنعزلة في سجن بني اللون، تفوح فيه رائحة البسكويت الخانقة، وليس لديها أصدقاء أو أصدقاء يزورونها، وكلتانا نعرف أنني لن أزورها لأجعل يومها أكثر إشراقاً، مع أنني لا ألومها على محاولتها اقتناص الفرصة أينما وجدتتها، والتلذذ بانتقامها من خلال كشف كل ما في داخلها لألد أعدائي بحقد وضعينة، ولكن ذلك لن يردعني عن تفجير فقاعة انتقامي الخيالية الجامحة.

قلت بثقة: "لن يصدّق أحد ما تقولينه من كلام هراء، لذا يمكنك قول ما ترغبين فيه، وستبدين أكثر جنوناً كلما تفوّت بكلام سيئ عني".  
قالت بحدة وعيناها السوداوان تقدحان شرراً: "أحقاً؟ ولماذا أسرع في المجيء إذا كان ذلك صحيحاً؟".

أجبتها: "أجداك رائعة اليوم، أخبريني، كيف سارت الأمور مع لويز؟".  
قالت مستمتعة بانتقامها: "سنقوم بوضع النقاط على الحروف الآن، لا بد أنها كانت في قمة البؤس لتزورني، ولا بد أن تكوني في قمة البؤس أيضاً لتزوريني".

جلست مقابل كرسيها المتحرك وتبادلنا النظرات، إنها تحبّني بالفعل، وأنا لا أخدع نفسي، ففي قلبها المتحجر بصيص من الحب، ولا نتظاهر بالمحبة أو الشعور بالعار، مع أنها رأته في أسوأ حالاتي، كما رأيتها في أسوأ حالاتها.

قلت لها بعد لحظات من الصمت: "هيتا، أخبريني بالأمر، أعلم أنك ترغبين في ذلك، ما رأيك فيها؟".

أجابت من دون تردد: "ليست بجمالك بالطبع، ولا بذكائك"، صمتت لبرهة، وأردفت بعد أن غرقت في التفكير: "لا، إنها ذكية، بل إنها أكثر ذكاءً منك، ولكنها ليست ماكرة".

قلت لها: "شكراً لك".

أجابت: "أنا لا أمدحك".

قلت لها: "أعرف ذلك".

قالت: "أستطيع أن أرى السبب في كونها صحفية بارعة، فهي تجعلك تسترجعين الماضي، وقد أثارت إعجابي".

قلت لها ببرود: "لا أحد يعجبك عادة".

دفعت كرسيها المتحرك نحوي مثل سمكة قرش شمّت رائحة الدماء في المياه: "ولكنها أثارت إعجابي، هل عاد إلى زوجته؟".

لم يكن الكذب عليها ممكناً، فهززت بكتفي نافية: "لم يعد إليها حتى الآن، بل عاد إلي".

قالت بسخرية: "ها! كارول المسكينة، أمازلت تحبّينه على الرغم من عدم اكترائه لأمرك؟".

احتقرت نفسي، أحسست وكأن شوكة حادة تنكأ جرحي، إن الصراع الذي في داخلي بين حُبي وكرهي له يثير في نفسي الذعر، فلن أسامح أندي إطلاقاً لأنه جعلني أحبه أكثر مما أحبني، فهو مثل المرساة يشدني نحو الأسفل بغروره وأنانيته وتحميلي مسؤولية أطفاله ومواجهة حقد طليقته. إن حياتي كانت لتصبح أكثر بساطة، وأشد نقاء وطهارة من دونه.

قالت أمني وقد ضاقت عيناها: "ليس هذا سبب مجيئك، فلديك المزيد، بل لديك ما هو أسوأ، أليس كذلك؟".



اعترفت لها قائلة: "نعم".

نظراتها الماكرة ثبتتني على الكرسي مثل فراشة ترفرف مدعورة داخل كأس زجاجية، قالت لي: "أفصحني عما في داخلك، يا فتاة، ما الدافع الحقيقي إلى زيارتك سيدة مسنة ومسكينة؟".

كلتانا تعلمان أنها ليست امرأة مسنة ولا مسكينة، فلديها المزيد من الوقت بعد فشل محاولتها الانتحار، وعندما قررت أن ترحل إلى عالم تجد فيه الراحة، أعادها العلاج إلى مرحلة الاكتئاب لتعيش في غسق الجحيم، فبات مستحيلاً أن أظلّ بالقرب منها، وكان يناسبني أن أبقيتها في هذه الدار، لأنني لم أستطع العثور على عالم كارولين المشرق في ظل وجود والدتي الشريرة الغارقة في الإدمان على المخدرات، وقد تركتها في البداية عالقة في دار رعاية خاصة إلى أن نفذت نقودي، والتقيت بأندي.

توفّر الحكومة الآن الطعام الذي يوضع على مائدة أُمي، والسقف الذي فوق رأسها، ولا أحد يهتم بأن يسأل أسئلة فضولية، فهي بحاجة إلى أن تبقى في هذا المكان، ومن المؤكد أنها تكرهني، لأنني جعلت العالم يظنّ أنها مجنونة، ولكن ذلك ليس أقل مما تستحقّه بعد الذي اقترفته بحقي.

فجأة تغيرت تعابير وجهها، وبدا الأمر أشبه بامتلاكها حاسة سادسة شيطانية تدخل إلى أعماق بقاع الروح المظلمة. سألت بفضاظة: "إنه يشبه والدك، أليس كذلك؟"، أريد أن أحصل على سبب آخر لإجراء بيلا اختبار الحمل الذي وجدت جهازه مرمياً في سلة مهملات حمامنا. لمدة أربعة وعشرين عاماً، خاض عقلي صراعاً مثل أرنب مخدر في قفص، يقضم ساقه لنيل حرّيته والوصول إلى الحقيقة.

قلت لها، وأنا أحدّق إلى يدي: "إنه لا يشبه والدي إطلاقاً".

ردّت قائلة: "لا تكذبي عليّ، يا فتاة".

انسدلت خصلة من شعرها الرمادي على وجهها، فنظرت بعيداً، ما أكّد

تشبهي لها بالساحرة الشريرة، ثم تمت: "كان يتحتم عليّ أن أمنعه، ولكنني أقنعت نفسي بأنني لا أعرف ما يحصل لك، ولكنني كنت أعرف كل ما يجري، ولطالما شعرت به يتسلل من السرير، وأنا أعرف إلى أين يذهب، وما كان يفعله"، كزّت على أسنانها، وتابعت قائلة: "لكنني لم أكثرث لذلك، لأن ذلك يعني أنه سيقى معنا أطول فترة ممكنة، إلى أن كبرت وتركنا".

قلتُ لها: "أبي توفي، ولم يتركني".

تقدّمت بكرسيها نحوي، وأمسكت يدي بقبضة حديدية، وقالت بقسوة: "يكفي كارول، لم تعودى طفلة صغيرة الآن، لقد تركنا أبوك، ولم يكن في إمكانه أن يأخذك معه، ولم أستطع منعه، فقد كنت ثملة، وكان في إمكانه أن يأخذك معه، ولم يكن في وسعي أن أحرك ساكناً لمنعه، ولكنك كبرت جداً بالنسبة إليه، ولم تعودى تثيرين إعجابه"، سحبت يدي بقوة، فضججت من دون رحمة، وقالت: "الشيء الجيد الوحيد الذي فعله من أجلك، أنه جعلك تنجحين في حياتك، فقد نفضت الغبار عن قدميك، وتقدّمت في هذا العالم، من دون أن يقدّم إليك الدعم ولو قليلاً".

أحبّتي والذي قبل أن أكبر، وأدرك أنها ليست الطريقة السليمة التي يحبّ فيها الآباء بناتهم الصغار، وهمس إليّ وهو يداعب أجزاء من جسدي لا ينبغي لمسها: "إنه سرّنا، ولا يمكننا أن نكشفه أمام أحد، ولا حتى أمام أمك، وإلا سيحرمونني منك، لأنهم لن يفهموا مدى حبي لك".

لا أذكر كم كان عمري عندما اغتصبني للمرة الأولى، أسبعة أعوام؟ أو ربما ثمانية؟ لقد حوّل مرحلة طفولتي إلى كومة من صور جامدة مكبوتة المشاعر، ومن الصعب أن أتذكر الماضي. كانت تهبّ عاصفة قوية في تلك الليلة، وأضاء البرق غرفة نومي، كما لو كنت في فيلم رعب، فاستيقظت لأجد والدي فوقي على سريري، ويضع يده على فمي، فلم أمنعه، لأنني اعتقدتُ أنه والد مثالي، ولذلك لا يُفترض أن أتألّم، فنظرَ إلى عيني، وقد

توهجت عيناه وارتسمت على وجهه تعابير غريبة لم يسبق لي أن رأيتها، وقال مبتسماً: "يا لك من فتاة ناضجة، أحبك جداً"، فلم أتفوه بكلمة إطلاقاً، وأنا أقول لنفسي: "لن يؤذيني أبي مطلقاً، فهو يحبني، ولا بد أن الشعور بالألم خطئي"، في بعض الأحيان أنظر إلى عيني والدتي أثناء تناول الفطور، فتُشبح بوجهها بعيداً، وتسكب كأساً أخرى من الكحول.

بدأت دورتي الشهرية للمرة الأولى، قبل شهر من بلوغي الحادية عشرة، وبعد أسبوع عدتُ إلى المنزل لأكتشف أن والدي غادره.  
"لقد تركك ورحل".

أبي لم يتركني...

"لقد تركك وحيدة".

ضغطت الطفلة التي في داخلي ذات الأحد عشر عاماً على أذنيها، فقد كان من الأسهل أن أصدق أنه توفي على أن أصدق أنه تخلى عني، لأنه إن تخلى عني حقاً، فهذا يعني أنه لم يحبني مطلقاً، وأود أن أصدق أنه أحبني على الرغم من التشوّه الذي أحدثه في داخلي. إن كلامي يبدو هراء، لكي أكون قادرة على التحمّل.

اندفعتُ إلى الأمام فجأة، واقتربت مني بملامح وجهها التي تدلّ على اختلالها، وعيناها تقدحان شرراً، إنني أرى المرأة التي كانت عليها سابقاً، الأم التي كان يتحمّم عليها أن تحمي ابنتها، فقالت بصرامة: "يجب أن تمنعيه، افعلي ما عجزتُ عن فعله، وامنعيه من إلحاق الأذى بابنته".

لا جدوى من التصنع بعد الآن، فقد أتيتُ إليها لسببٍ محدّد، لأنها الشخص الوحيد الذي يمكنني أن أحزّر أمامه ما في داخل روحي الخائفة، فقلت لها: "إن أبلغت الشرطة فسأدمر حياة بيلا، ما سيجعلها تحت رعاية إحدى المؤسسات الاجتماعية، ومن يعلم ما سيكون تأثير ذلك عليها...".

قالت: "حسناً، لا تبليغي الشرطة، يمكنك أن تمنعيه بنفسك".

خيم الصمت على المكان، فبدت لي بأسوأ حالاتها، كما رأنتي بالطريقة نفسها.

قالت بمكر شديد: "أنتِ تعلمين ما يتحتم عليك فعله، يا كارول، وبما أنك أتيت إليّ، فذلك يُثبت أنك أقوى مما كنتُ أنا عليه"، ارتجفت يداها، وهي تمسك بذراعي كرسيتها بإحكام، وسال لعابها من طرف فمها، وقالت: "عليك بأن تقومي بما عجزت عن القيام به في الماضي".

فكرت في الأمر للحظة عابرة بشكل افتراضي، فنبذت اقتراحها بسرعة فائقة، وقلت بحدة: "لا أستطيع أن أفعل ذلك".

ضحكت ضحكة خبيثة، وهي تقول: "بل تستطيعين، فأنتِ تمتلكين القوة والرغبة في فعل ذلك، كما تمتلكين قلباً من جليد من شأنه أن يسهل عليك مهمتك".

حرّكت كرسيتها إلى الأمام وإلى الخلف، فصرت العجلات المطاطية بسبب احتكاكها بالأرضية المشمعة. شعرت برغبة في الصراخ، وإذ بعينيها تلمعان بهجة، وأضافت قائلة: "سمعت عن القط الذي تسمم بمادة مقاومة التجميد، وقد اعتقدت لوزير أنك الفاعلة".

أشحت بوجهي بعيداً، وقلت لها: "كان قطعاً هراماً".

قالت أمي بمكر: "لقد تبوّلت على معطفك، ألا تذكرين؟ ولم أستطع إزالة رائحته التنتنة، بعد أن غسلته ثلاث مرات"، ثم حرّكت الكرسي إلى الأمام وإلى الخلف، فأصدرت العجلات مجدداً صريراً، وأردفت قائلة: "ثم وجدتُ القطة بعد أسبوع متصلبة كالمقشّة في حديقة المنزل، وقد غطى الزبد فمها، فبدت وكأنها متسمة".

قلت لها: "نحن لا نتكلّم عن قطة، بل إنه زوجي، ولا أستطيع...".

همست إليّ قائلة: "إننا بمفردنا الآن، ولا داعي للتظاهر بالبراءة، إن كان في إمكانك أن تنقذي الفتاة، فعليك بأن تخلّصها من شره إلى الأبد".

حدّقت إلى أمي، وقد بدت انعكاساً لروحي التي أسرت في العليّة، وكبرت مع خطاياي التي جعلتني أكثر بشاعة وشوّهت روحي النقية، ولم تُبق لي سوى بشرتي النضرة والطرّية. لقد أتيت إلى هنا لمواجهة حقيقتي بتجرد، ففي أعماق مظهري المخادع، أستطيع أن أعترف لذاتي في هذا المكان، بما لا أستطيع أن أعترف به في أي مكان آخر، أحبّه، بل أكرهه، وإن لم أحصل عليه، فلن يكون لأي امرأة أخرى.

إنه لا يستحقّ أن يعيش، بعد ما فعله بيلا وبي.

التقطت بطانية أمي التي سقطت على الأرض، وثبتها على ركبتيها، ثم دفعتها إلى مكانها المفضل بالقرب من النافذة، بعد أن أحكمت شدّ مكابح الكرسي المتحرك، ثم رفعت إطار النافذة بضعة إنشات ليدخل الهواء المنعش إلى الغرفة التي تفوح منها رائحة العفونة.

في اليوم الذي حاولت والدتي فيه الانتحار، عدتُ إلى المنزل بعد انتهاء دوام المدرسة في وقتٍ أبكر مما أفصحتُ للشرطة عنه، ولا بد من أنها ركلت الكرسي بعيداً للتو. وقفتُ في الردهة لدقيقة كاملة، وأنا أراقبها، وهي تعاني، وتهتزّ مثل الدمية التي تحركها الأسلاك، فبلّلت نفسها، وهي تمسك بالرباط الملتف حول عنقها، وأستطيع أن أتذكّر صوت تدفق بولها وانسكابه على بلاط الأرضية، وهي تحدّق إلي.

انحنيت وقبّلتُ جبهتها بحنان، ثم قلت لها: يسرني أنهم يحتجزونك في هذا المكان القدر، وسيكون الموت أفضل لك الآن".



يوهان قبل الحفل





## الفصل 39

مكتبة

t.me/soramnqraa

لوزير

توقفت أمام مدخل فندق براغ، وأنا أبحث على لوحة المراقبة عن قصاصة ورق كتب عليها الرمز الأمني الخاص بالبوابة الحديدية، فتنهدت بيلا بعمق وبصبر شديد، وهي تبحث عنه، وقد أعطتني إياه ما إن عثرت عليه، فأخرجت يدي من نافذة السيارة لأدخل الرمز، وقلت لبيلا بينما كانت البوابة تُفتح: "هل يمكنك جلب أمتعتنا بينما أوقظ تولي؟ ولكن حاولي ألا تجزيها على الأرض، لأنه يبدو أنها أمطرت الليلة".

ركنتُ السيارة، وترجّلت منها، ثم تمطّيت لأريح ظهري المتعب، بعد ان استغرقت الرحلة أربع ساعات من منزلنا إلى ساحل ديفون ولأن القطار لا يصل إلى هذا المكان مباشرةً، لم يكن لديّ أي خيار سوى القيادة. حدّقت إلى الامتداد الضيق بين اليابسة والجزيرة، وأنا أستنشق هواء البحر المالح والمنعش، والمياه تتوهج في أثناء غروب الشمس الساحر، وصوت طيور النورس ينبعث من فوقنا، وقد بدت لندن ووايتفיש بعيدتين جداً، وبعثت الراحة في نفسي مجرد أن أكون بعيدة عن كل متاعب الحياة التي واجهتها فيهما، وأنا مسرورة لأنني أتيت قبل يومٍ من وصول الآخرين، لأنني أحتاج إلى أن أضغط على زر إعادة الضبط والتنظيم من جديد قبل أن أختلط بالآخرين في الحفل، وبينما كنت أخرج ابني النائم من مقعد السيارة، نادانا رجل من الجهة المقابلة لمراب السيارات، يتعل حذاء أيرلندياً، وقال: "هل أنتم من مدعوّي حفلة بيج؟".

قلت له: "السيد كونيلي؟".

قال: "الجميع هنا يدعونني، رايان"، ثم اقترب منا، وأخذ الحقائق من بيلا. ومع أننا كنا في أوج فصل الصيف، لكنه كان ينتعل جزمة مطاطية، ويرتدي قميصاً قطنياً سميكاً وبنطالاً، ويعتمر قبعة مزركشة سميقة، قال لنا: "البحر هادئ اليوم، وسأرافقكم إلى النزل".

لمعت عينا تولى عندما رأى الجرار راسياً أمام الشاطئ، إنه يبدو مثل وسيلة تشاهدها على قناة بي بي سي، بسلمه الحديدي الذي يقودك إلى منصة مسقوفة، وتحتها عجلات الجرار الضخمة. أفلت تولى يده من قبضتي المحكمة، وصعد تلك الدرجات، ثم اتكأ على المنصة، وهو يتأمل المشهد أمامه، وما لبث أن أجهش بالبكاء، وهو يقول: "نحن نقود عبر المياه، أمي! أمي! إننا نقود عبر المياه!"، وأضاف وهو ينظر إلى رايان الذي يمسك بعجلة القيادة وسط جزار البحر: "هل سنذهب إلى عمق المياه؟".

تنهدت بيلا وقالت: "نحن لسنا في غواصة، فلا تكن غيباً". رمقتها موبخة، فلفت ذراعها حول كتف أخيها الصغير، وهي تشير إلى الفندق الواقع على الجزيرة المعزولة تماماً، ولكن مع ارتفاع ماء البحر على الشاطئ ومع هذا المد، أستطيع أن أرى تيارات مائية خطيرة تحت سطح الماء.

لم تستغرق الرحلة أكثر من خمس دقائق، وقد ساعدنا رايان في النزول عبر الدرجات الحديدية عندما وصلنا إلى الجزيرة، ثم قادنا عبر طريق منحدر نحو الفندق، وقال لنا: "هذا هو نزل بيتشارد"، وهو يشير إلى حانة صغيرة تحتضن الشاطئ بالقرب من الميناء الصغير، ثم تابع كلامه قائلاً: "لقد سكن فيها توم كروكر في القرن الرابع عشر، وهو قائد مجموعة من القراصنة الأشرار".

انحنى صوب تولى الذي جحظت عيناه، وقال له: "نهب كروكر ورجاله السفن لسنوات، حتى قبض عليهم"، وهو يشير إلى أعلى القمة خلفنا، ثم

تحوّل صوته إلى همس، وهو يقول: "ثم سُحِل وهو يُركل إلى أعلى قمة في الجزيرة، وقد صرخ مستنجداً لإنقاذ حياته، إلا أن أحداً لم يمدّ له يد العون. لقد سُئِق هناك، ثم أعلن خبر موته، ولكن شبّحه لا يزال يتردّد إلى هذا المكان؛ ففي ذكرى وفاته يتجوّل في أنحاء الجزيرة كل عام، وبعض الناس يرونه يقف أمام مدخل نزل بيتشارد، ينتظر عودة رجاله".

تمتت بيلا: "يا لها من قصة رائعة! سيبقى تولي مستيقظاً طوال الليل". ابتسم رايان، وقال لتولي وهو يسرّح شعره: "أنت بأمان أيها الفتى، ذكرى توم العجوز لن تحلّ قبل آب المقبل، ولن يظهر خلال وجودك في النزل".

شعرت بالاسترخاء قليلاً عندما تركنا رايان في قاعة الاستقبال؛ يبدو لطيفاً، ولكنني لا أحبّذ أن يسرد المزيد من هذه القصص الخيالية التي ترسخ في ذهن تولي. بعد أن نقل الحَمال أمتعتنا إلى غرفنا، التفتُ نحو ولديّ، وقلت لهما: "أفكر في أن أشرب كوباً من الشاي قبل قيامنا بأي نشاط آخر، هل ترغبان في تناول شيء ما؟".

صاح تولي: "أريد تناول المثلجات".

ابتسمت بيلا: "نعم، ستُجدي المثلجات نفعاً".

توجّهنا إلى فناء ديكو بالم المذهلة بقبتها الزجاجية العالية، وجلسنا على كراسٍ على شكل أصداق البحر زرقاء اللون تطلّ على المياه، فجاء النادل، وقدم إلينا قائمتي طعام، وقد حاولت أن أخفي ابتسامتي العريضة، ما إن لمحت حذاءه القديم والمعكوف الذي يتعلّقه، والصدريّة الزهرية المزركشة التي كان يرتديها. كانت قمة رأسه صلعاء، أما الشعر الباقي فيصل إلى كتفيه؛ لقد بدا مثل ممثل ثانوي في عرض ذا روكي هورور بيكتشار.

سجّل النادل طلباتنا، وبعد دقائق معدودة أحضر كوب شاي لي، والمثلجات من ليلا وتولي.

قالت بيلا بجفاء: "أعتقد أن عمال المطعم لا يغادرون الجزيرة كثيراً".

زجرتها قائلة: "صه"، وأنا أحاول أن أكبح ضحكتي.

عندما انهيًا مثلجاتهما، قمنا بنزهة حول الجزيرة، فبدت أكبر مما كنت أتذكرها. كانت رحلتنا طويلة وشاقة، وقد جعلنا نسيم البحر العليل نسترخي بعد أن أرهقنا بشدة، وبعد تناول عشاء خفيف في المطعم، وضعت تولي في السرير المزدوج الذي سنتشاركه، بينما خرجت وبيلا لمشاهدة غروب الشمس في الشرفة.

قالت لي بيلا، وهي تحدّق إلى رمال الشاطئ الناعمة في أسفل الشرفة، حيث رسا الجرار الذي اجتزنا البحر على متنه للوصول إلى هذه الجزيرة، وقد ظهرت بوضوح الآن بعد انحسار المد: "إنني أرى بوضوح الدافع إلى رغبة غري في أن تقيم الحفل في هذا المكان، يبدو مكاناً رائعاً لقضاء شهر العسل، وهو يجعلك تشعرين، وكأن العالم بأسره لم يعد موجوداً".  
"إنه شعور رائع، أليس كذلك؟".

قالت لي: "هل تحدّثت إليها؟"، ثم أردفت قائلة بعد برهة: "هل تعلم بشأن والدي وكاز؟".

ضغطت على يدها، وقلت لها: "لا تقلقي، فقد أبلغتها بأنني لا أمانع حضورهما الحفل"، لا بد أن أمني تعتقد الآن أنني سوف أشاركها في خطتها الشريرة للعودة إلى أندرو مجدداً، ولكن الحقيقة أنني بالكاد فكّرت فيه خلال الأيام القليلة الماضية، وأنا أشعر بأنني استيقظت من سبات عميق، بعد أن تحرّرت من قبضة هوسي الشديد به، ولا أستطيع أن أصدّق أنني عدت إلى تادية دوري في هذه التمثيلية العاطفية المأساوية التي ظننتُ أنني تخلّيت عنه منذ سنوات عديدة، وبتُّ أرى أن مسألة الانتقام من كاز كانت مثيرة للسخرية فجأة.

كانت بيلا على حق، فكاز ليست عدوتي، كما لم تكن عدوتي أبداً،  
إنني أشعر بلهيب النيران التي تحرق ردي، كلما فكّرت في اندفاعي بغضب  
شديد إلى لندن وباغبس المسكين مستلقٍ على المقعد إلى جانبي، بالطبع لم  
تسممه كاز! فيمكن أن أطلق عليها العديد من الصفات، ولكنها ليست مختلة  
عقلياً، وكل ما في الأمر أن حظه كان عاثراً، ولا بد أنه سار لمسافة بعيدة عن  
المنزل، أبعد مما تخيلت، وتناول مضاد التجمد من إحدى المزارع المجاورة،  
وقد جعلني تصرف كاز غير المنطقي مرتابة، فهي لم تحسن التصرف طيلة  
السنوات الأربع الماضية، وأقامت علاقة مع رجل متزوج، ولكنني أعرف  
تمام المعرفة أننا نعجز عن اختيار من نقع في حبه، وإذا تحتم علينا إلقاء  
اللوم على أحد، فعلياً لوم أندرو على كل ما جرى، فهو من قطع وعوداً  
كاذبة لكلتينا.

قلتُ لبيلا: "سأتفقّد تولي، وأعود فوراً".

عدت إلى غرفة النوم وأنا أبتسم لرؤية تولي ممدداً وسط السرير، وقد  
فتح ذراعيه وساقيه مثل حرف إكس كبير، فغطيته. ثم أدار وجهه من دون أن  
يستيقظ، فأذهلني الشبه الكبير بوالده. بدا تولي في تلك اللحظة صورة طبق  
الأصل عنه، بشكل الأنف والفم والذقن.

لم أخبر باتريك بأن تولي ابنه، ولا أحد يعلم بتلك الحقيقة، ولا حتى  
أندرو، فهو يعلم بأن تولي ليس ابنه البيولوجي، ولكنه لا يملك أدنى فكرة  
عمن يكون والده الحقيقي، وهو يعامله كابن له، وربما سأخبر باتريك في  
الوقت المناسب بالحقيقة، ولكن ليس قبل أن يبلغ تولي العمر الذي يؤهله  
لفهم الأمر.

لسخرية القدر قابلتُ باتريك عن طريق كاز، واكتملت الحلقة عندما  
عزفت كريس ماردوخ كاز إلى أندرو، وبعد أن عثرت على هاتف أندرو  
السري، واكتشفت خيانتة مع تلك المرأة التي قلبت حياته، شعرت بيأس

شديد، وحاولت أن أبحث في ماضيها عن أي حدث فظيع قد يشكّل نقطة ضعف أستطيع استخدامها لأضعف فرصتها بسرقة زوجي، فكان لدي توق مازوشي شديد إلى أن أعرف هويتها، كما أردتُ أن أكتشف كل التفاصيل المتعلقة بحياتها من مقاس حذاءها إلى مطعمها المفضل، فكان الأمر أشبه بإزالة خثرة عن جرح مؤلم. وعلى الرغم من أنني أتألم، لم أستطع الكف عن ملاحظتها، لذا تبعتها إلى وايتفيش، وبعد ذلك استغللت منصبي في الديلي بوست لأتقرب من باتريك، ولكن علاقتنا تحوّلت مؤخراً إلى علاقة أشد قوة وحميمة أكثر مما مضى.

في اليوم الذي وجدتُ نفسي أقف خارج منزله، وتلوّح لي والدته عبر النافذة، عرفت أنني توغّلت في تلك العلاقة إلى درجة كبيرة، فسألني باتريك أن أعيد النظر في قرار انفصالي عنه، ولكنني رفضت ذلك، ما ألحق به ضرراً كبيراً. وعلى مدار السنوات كنا نلتقي صدفة، فكان يعاملني بودّ ولطف طوال الوقت، ولكنه لم يحاول أن يدفع الأمر إلى أعماق من ذلك أبداً، ولم يعطِ أي إشارة إلى أنه يشعر مثلي بأن الأمر لم ينتهِ بيننا. كان ثابتاً على حاله طيلة فترة عملي في يونيفست ووايتفيش، ولكن عندما قلتُ له الأسبوع المنصرم بأنني سأترك العمل، بدت عليه معالم الندم، وقال: "كنت أحبّ رؤيتك في الأرجاء، وسأفتقدك كثيراً".

عليّ أن أبقى على اتصال به، أفكر في هذا الآن، وأنا أقبّل وجنة تولي، ثم عدت إلى الشرفة، حيث كانت بيلا تجلس على كرسيّ حديدي لا يبدو وثيراً، وقد ركّزت انتباهها على هاتفها، وعندما أقرّر أن أفصح عن حقيقة تولي إذا قرّرت القيام بذلك، فمن الأسهل أن أكون أنا وباتريك صديقين. نظرت إليّ بيلا نظرة خاطفة، وأنا أخرج إلى الشرفة، وسألّتي: "هل يمكن أن تأتي تايلر إلى الحفل يوم السبت؟".

سألّتها متفاجئة: "ألن يكون ذلك مملاً بالنسبة إليها؟".

رذت متوسلة: "أرجوك، يا أمي".

قلتُ لها: "إن كانت ترغب في الحضور حقاً، فأنا متأكدة من أن غري لن تمانع"، ثم لمعت في رأسي فكرة، فتابعت كلامي قائلة: "لم لا تدعينها غداً عوضاً عن السبت، بيلا؟ فسيجلب الخال لوك وزوجته مين أولادهما في الصباح، وسيتفوقون علينا عدداً".

قالت لي: "أليس عشاء غري العائلي مساء الغد؟ لقد ظننت أنه يفترض أن يكون عشاء عائلياً".

قلتُ لها: "أنا واثقة من أنه يمكن أن نضيف فرداً إضافياً".

هزّت برأسها، ولكن ليس بالحماسة التي توقعتها، فمن الواضح أنها كانت تفكر في أمر آخر، ثم وضعت هاتفها على المنضدة الجانبية، وبدأت تشني يديها داخل كُمّي كنزتها الطويلة السوداء الحاضرة دائماً بالطريقة المعتادة، فلاحظتُ في الحال أن هاتفها ليس في يدها، وذلك يعني بأنها تستعدّ لتخبرني بأمر ما، قالت لي: "أمي"، ثم صمتت للحظات، وعضت على شفيتها، وبعد ذلك خرجت الكلمات من فمها بسرعة: "ما رأيك في الإجهاض، يا أمي".

تراجعتُ إلى الوراء، من بين جميع الأسئلة التي كنت أتوقعها، لم أتوقع هذا السؤال أبداً. شعرت وكأنني أنهار، وحاولت بكامل قواي ألا أظهر صدمتي الكبرى من سؤالها، يا إلهي! لا يمكن أن تكون ابنتي التي تبلغ من العمر ستة عشر عاماً حاملاً، قلتُ لها: "لم تسألين هذا السؤال؟"، وقد تمكّنت من الحفاظ على نبرة صوتي خافتة.

تمتت، وهي تتجنب أن تنظر إلى عيني: "إنه مجرد نقاش دار في المدرسة، ويتحمم علينا أن نذكر آثاره الإيجابية والسلبية، ما رأيك فيه؟ هل تعتبره جريمة تُرتكب بحق مخلوق بريء؟".

تهزّبت من الإجابة، واكتفيت بالقول لها: "الأمر معقد"، لقد اجتاز

عقلي مسافة ميل في الدقيقة من كثرة التفكير. كيف يمكن أن أربط هذا السؤال بما أخبرتني به بشأن تايلر؟ هل تحب بيلا الفتيان أيضاً؟ هل هذا السبب الذي جعل علاقتها بتايلر معقدة؟ قلتُ لها بحزم: "تعلمين أن في إمكانك أن تخبريني بأي شيء، يا بيلا، وأنا سأكون إلى جانبك مهما كان السبب...".

قاطعتني قائلة: "لست حاملاً، يا أمي!".

كنت سألحظ بالتأكيد عوارض حمل ابنتي؟ ولكنني كنت مهووسة بالانتقام من كاز وقد سيطرت عليّ كراهيتها، ما جعلها تطغى على كل المشاعر الأخرى، يا إلهي! لقد مرضت بيلا كثيراً مؤخراً، وتلك الدوائر الداكنة قد أحاطت بعينيها، وقد خسرت الوزن، كما حصل لي تماماً عندما كنت حاملاً بها، ولكنني لا أصدق أنها لم تخبرني بحملها، أعلم أن لدينا مشاكلنا، ولكنني أعلم أيضاً بأنها لن تخفي ذلك عني بالتأكيد. قلتُ لها: "حسناً".

شبكت بيلا أصابعها في حضنها، وبدت متوترة، فمن الواضح أنها تريد مني أكثر من ذلك.

سألته بلطف: "هل لهذا السبب اقترضت المال؟".

ردت قائلة: "هل تعتقدين أن الإجهاض سيئ؟".

قلتُ بحذر شديد: "لا أعتقد أن مسألة الإجهاض يمكن تناولها باستخفاف، إذا كان هذا ما ترمين إليه، ولكن أعتقد أنه في ظل ظروف معينة يمكن أن يكون قراراً يصب في مصلحة الأم وجنينها".

سقطت دمعة على يدها، فشعرت بقبضة يد تعصر قلبي! إنها لا تزال طفلة صغيرة. جلستُ إلى جانبها وقلتُ: "عزيزتي بيلا، أخبريني بما يشغل بالك، فلن أحكم عليك، أريد أن أساعدك فقط، فأنا والدتك، وأحبك بغض النظر عن أي عمل قمت به".



قالت ببؤس شديد: "نقول تايلر إن اللواتي يجهضن سيكون مصيرهن الجحيم، فأفراد عائلتها من الطائفة الكاثوليكية، وهم حازمون جداً...".  
صرختُ بعنف: "لن يكون مصير أحد الجحيم، فالكاثوليك يمكن أن يكونوا حازمين، يا بيلا، ولكنهم يؤمنون بالمغفرة أيضاً، ولا أصدّق أن تايلر قد تخبرك بهذا الكلام الهراء، وبالتأكيد لن تذهبي إلى الجحيم".  
رفعت رأسها، والدموع تترقرق في عينيها، وقالت: "لستُ أنا، يا أمي، إنها تايلر التي كانت حاملاً، لا أنا".

كرهت نفسي لأنني شعرت براحة أنانية للحظة، مع أنني تألمت لحال صديقتها بالطبع، ولكن همي الأول كان ابنتي: "بيلا، أنا آسفة جداً، يا لها من مسكينة!".

قالت لي: "لن تخبري أحداً، هل تعديني بذلك؟".  
تردّدت قليلاً قبل أن أقول لها: "بالطبع لا، هل أفهم أنها لم تخبر والديها؟".

قالت: "أخبرتكَ، بإنهم حازمون جداً، ولن يسامحوها أبداً".  
قلتُ لها: "عزيزتي، إنه سرٌّ كبيرٌ ولا يمكن كتمانها، وسوف تفاجئك قدرة الأم على المسامحة".

قالت: "لا، لا يمكنك التفوه بأي كلمة".  
تنهّدت بعمق، وقلت لها: "لا مشكلة، فلن أخون ثقتك"، مع أنه لا ألم أكبر من ألم الإجهاض الذي يمكن أن تتعرض له فتاة مراهقة من دون أن تقف والدتها إلى جانبها، ثم أردفت قائلة: "ماذا عن والد الطفل؟ ما موقفه مما يحصل؟".

ردت قائلة: "لا أعرف من والد الطفل، فكلّ ما قالته إنه رجلٌ متزوج، وأعتقد أنه أحد أصدقاء والدها، وهو سبب آخر لعدم قدرتها على إخبار والديها".

أتمنى ألا تظهر الصدمة على ملامح وجهي، فتايلر تبلغ سبعة عشر عاماً، وهي على علاقة برجل متزوج يبلغ ضعف عمرها، وعملية الإجهاض السرية أقسى من أن تتحمّلها فتاة لا تزال طالبة في المدرسة، فلا يهمّ كم تبدو تايلر ناضجة، إلا إنها من الناحيتين الأخلاقية والقانونية لا تزال طفلة، فأى نوع من الرجال يجعل مراهقة ضعيفة حاملاً؟ بيلا على حق، لا عجب أن الفتاة لا ترغب في أن تخبر والديها، ولكن لو كانت ابنتي التي تواجه هذا الموقف، لكنت سأرغب في قتل ذلك الرجل.

اليوم السابق للحفل



## الفصل 40

### مين

أشعر وكأنني أهتمّ بالقطط، فما أكاد أنتهي من تنظيف أحدهم وترتيب ملابسه، حتى يلطّخ الآخر ثيابه الجديدة بمعجون الأسنان، أو يشقّ بنطاله من خلال الدوران والركض في أسفل الردهة.

قلتُ وأنا ألهث، بينما كنت أطوق ابنتنا الأصغر في زاوية غرفة الفندق، لأنظف يديه الملطختين بملمع الأحذية: "لوك، هل يمكنك مراقبة آرثشي بينما أكتشف ما يفعله التّوأم".

"آرثشي، أريدك أن تجلس على هذا الكرسي وألا تتحرك حتى أصل إليك".

سمعت نحيباً مفاجئاً ينبعث من الحمام: "أمي، لقد سقطت اللفافة".

"سيدني! لا تحاول إخراجها!".

"أمي! الأوساخ تغطي يدي!".

رفع لوك يده مثل شرطي المرور، وهو يقول: "سأتولّى الأمر، مين".  
صرخ آرثشي وهو يركض في الممر بعد أن رأى أخاه: "سيدني تغطيه الأوساخ، إنه مقزز".

فتحتُ حقيبة الطوارئ التي جلبتها معي، بعد أن علّمتني خمس عشرة سنة من تأدية دور الأمومة لأربع فتيان مشاغبين أن أحضر ملابس إضافية، والعديد من المناديل الرطبة، فوجدتُ كنزة سيدني، وأعطيتها للوك الذي تمكّن من أن يغيّر ملابس ابنتنا في الحمام، إنه لكرم شديد من سيليا أن تدعونا لقضاء

العطلة بعيداً عن المدينة في فندق خمس نجوم، ولكنني سأكون في حالة يرثى لها خلال الأربعاء والعشرين ساعة القادمة، وأنا أحاول أن أضمن أن القطع الأثرية التي لا تقدّر بثمن لن تستخدم للتدريب على إصابة الهدف، وألا يقع أحد أطفالني عن الجرف في البحر، فكان الأمر سيبدو أكثر راحة على مختلف الأصعدة، لو أنها قرّرت أن يقتصر الحفل على البالغين.

في النهاية تمكّنا من تجهيز الفتيان الأربعة، إلا أنني لم أكن واثقة من أن كنزة دوم ستكون مناسبة للأمسية، ولكن بالمقارنة مع الكنزة الملوثة التي كان يرتديها، فهي تعتبر إنجازاً عظيماً، وفي النهاية ارتديت فستاناً بحرياً من الكتان الداكن، وذهبتُ إلى الحمام لأصّفّ شعري الذي تجعد بسبب الرطوبة، ثم ظهر لوك في مدخل الردهة وسألني: "هل ترغبين في احتساء شرابٍ قبل مغادرة الغرفة؟".

قلتُ له مستغربة: "ومن سيراقب الأطفال؟".

قال: "لقد أعطيتُ عشر جنيهات لكلٍ من دوم وجاك لمراقبة الطفلين الآخرين لمدة خمس دقائق، وسأغضّ النظر عن احتساء كأس جعة في وقتٍ لاحق".

قلت: "في هذه الحالة، أعطني كأساً مضاعفة".

ناولني لوك كأساً كبيرة كان يحملها خلف ظهره، تحتوي على الجن والتونيك وقال لي: "عرفتُ أنك ستطلبين ذلك".

ربطتُ شعري المنسدل بواسطة عقدة، ووضعتُ لمسات تبرجي الأخيرة على وجهي، وانضمتُ إلى لوك في الشرفة، فكانت النسومات أكثر انتعاشاً مما توقّعت، وشعرتُ بالامتنان لزوجي لوك عندما طوّقني بذراعه، ونحن نحدّق إلى الأفق البعيد مثل كيت وليو على متن سفينة التايتانك، ونتأمل الأمواج البيضاء تتكسر بفعل تلك الصخور التي يحجبها الظلام، ونشعر بالأسى على تلك الأرواح التائهة التي ابتلعها التيارات المائية الغادرة، وعندما نظرت إلى

حافة شاهقة شعرت بدوار غريب.

سألني لوك وهو يقبل عنقي برقة: "هل أنت متحمسة لهذه العطلة؟".  
تنهدتُ بعمق، وقلت: "متحمسة لأرى نفسي سالمة في مرآة السيارة في طريق العودة إلى المنزل".

ضغط لوك على كتفي ليشعرني بالطمأنينة، فأرحتُ مؤخرة رأسي على صدره، وأنا آمل أن أتخلص من توتري والأفكار المتشائمة.

غادرت لو منزل أندرو، وتخلت عن العمل في الشركة التي تعمل فيها زوجته، فكان كلا الأمرين صائبين، ولكنه لن يكون كذلك إن عرفت أنها لا تزال تقابله على انفراد، لكي لا تتكرر تلك القبلة الكارثية. ولكن آخر ما قد يريدانه هو أن يقيما علاقة على هذه الجزيرة التي يجتمع فيها جميع أفراد العائلة، وكنت أتمنى لو أن سيليا لم تقحمنا في هذه الورطة. وفقاً للوك، فقد اتصلت لو بوالدتها البارحة، وأخبرتها بأنها لا تمانع مجيء أندرو وتلك المرأة، فلا أريد أن أنسب أي دافع شرير إلى تغيير رأيها المفاجئ، ولكن كيف لا أفعل ذلك؟ فقد اتهمت تلك المرأة بتسميم قطها الأسبوع الماضي، والآن ترغب في حضورها حفل أمها؟

تمتم لوك قائلاً: "كفي عن القلق، أستطيع أن أقرأ أفكارك، وكأنك كتاب مفتوح".

قلت متشائمة: "لا أستطيع التحكم في نفسي، أشعر أن شيئاً سيئاً يوشك أن يحدث".

قال لوك: "توقفي عن القلق، جيسي روز، وسيكون كل شيء على أفضل ما يرام".

كنتُ على وشك مجادلته، عندما رأيت أندرو وزوجته قادمين في اتجاه الفندق الرئيسي من منزل الشاطئ الذي يقع في المنحدر، وبعد لحظات اندفع تولي وكيت نحوهما، وهما يتسابقان على العشب الندي، وكل منهما يلوح

قال لوك وهو متفاجئ باقتراب أخته من الشرفة لتلقي التحية عليه: "تبدو لو رائعة، هل غيّرت تسريحة شعرها؟".

قلت وأنا أنظر إليها: "حجزتُ لها موعداً مع ستيفن يوم الأربعاء"، إنه محق، فقد قص مصفّف الشعر ستة إنشات من شعرها على الأقل، وتبدو هذه التسريحة رائعة وتلائمها كثيراً، وهي ترتدي الفستان الأحمر المذهل الذي دفعته إلى شرائه، وأشعر الآن بالندم الشديد لأنني شجعتها على ذلك، إذ يمكنني من هنا رؤية رد فعل أندرو عندما يراها، وملامح زوجته المستاءة وغير الراضية، ولست مضطرة إلى دراسة علم النفس لأتوقع وقوع مشكلة كبيرة. قال لوك: "هيا بنا، من الأفضل أن ننزل قبل أن يستعيد الأطفال نشاطهم المفرط مرة أخرى، كم يبدو رائعاً الشعور بالراحة والسكينة بعيداً عن ضجيج الأطفال بفضل عشرين جنيهاً فقط!".

حين تجمّعنا في الردهة، أحدثنا جلبة كبيرة قبل أن نتوجّه إلى بالم كورت، حيث كان الجميع في انتظارنا، وبينما كنت منشغلة للحظات وجيزة في أخذ هاتفي دوم وجاك من يديهما قبل أن توبّخهما جدتهما، لم ألحظ جلوس بيلا وصديقتها بالقرب من البيانو، وهما غارقتان في محادثة جادة بصوت خافت. بعد أن استمعت إلى حديثهما، بدا كل شيء فظيماً ومروعاً.



## الفصل 41

### كاز

قال أندي وهو يعبث بكمي قميصه: "هل يمكنك إعطائي الزرين؟".  
أعطيته إياهما، وقلتُ له: "هل سيحضر أفراد العائلة كلهم؟".  
قال وهو ينظر إلى المرأة ليسوي ربطة عنقه: "بالطبع، هل سيشكل ذلك مشكلة بالنسبة إليك؟".  
أجبتُه قائلة: "لا، لا مشكلة لدي".

تركته ينهي تجهيز نفسه، وخرجت إلى الشرفة أهدق إلى الأفق البعيد، لقد كان البحر خالياً تماماً من البشر، وقد امتد أمامي برماله الناعمة وأمواجه الهادئة، وقد داعب النسيم العليل شعري برقة ونعومة. غسلت حركة المد والجزر صخور الشاطئ، وبعث الهدوء التام الراحة في نفسي لفترة وجيزة، وأنا أصغي إلى صوت الأمواج المتلاطمة. أقام أفراد عائلة روبرتس في الفندق الرئيسي، ولكن سبباً خصصت لنا بيت الشاطئ المنفصل عنه لسبب ما، ولكنه يبدو أفضل مكان للإقامة فيه في كل نيستليد الواقعة داخل جزيرة براغ. وبطريقة مذهلة، تطلّ الفيلا على البحر من جميع الجهات، وتتمتع بخصوصية مطلقة، وما كنت لأختار موقعاً يناسبني أفضل من هذا المكان الساحر، وتبدو كلمات ريدلي سكوت الواردة في عمله الشهير الكائن الفضائي لا أحد يستطيع سماعك على الشاطئ عندما تصرخ تلائم تماماً هذا المكان. أخيراً ظهر أندرو أمام باب الشرفة بمظهره الأنيق والجذاب، وهو يرتدي بذلته السوداء. إلا أن الوحش الحقيقي لا يكون قدراً وغريب الأطوار بشعره

المصفف، وعينه الناعستين اللتين تتربّصان بك في الشوارع الداخلية المظلمة، إنه من صنف الرجال الجذابين الذين يعيشون بيننا، وهم وسيمون وساحرون إلى درجة كبيرة، كما أنهم آخر من يمكنك أن تتوقع سلوكهم الوحشي. سألني قائلاً: "هل أنت مستعدة؟".

ابتسمت له، ثم قلتُ: "أنتطلع إلى ذلك بفارغ الصبر".

هذا كل ما استطعتُ قوله حتى أخفي الخوف الذي اعتراني حين أمسك بذراعي العاري، وقد أشعرتني لمساته بالاشمئزاز والإعياء، ولكنني رحّت أواصي نفسي قائلة: "إنها بضع ساعاتٍ فقط، وسيتهي الأمر بعد ذلك".

كان غريباً بالنسبة إليّ اتخاذ قرار بهذه الأهمية، لا أتذكر حتى إنني اتخذته، ولم أجر أي نقاش داخلي من أجله، وقد يكون الدافع إبعاد أي وازع أخلاقي عن هذه العملية، التي تبدو مثل حادث شاحنة تندفع في اتجاه طفلك، فتهدّب لاعتراض طريقها من دون تفكير، أو كما لو أن أحداً رماك بقارورة، فأملت رأسك سريعاً من دون تفكير، فتسقط كل خيارتك أمام خيار واحد حتمي، وتنشط غريزة البقاء لديك سواء أرغبت في ذلك أم لم ترغب. قالت أُمي: "امنعي بنفسك"، وكلما أوشكت أن أتخذ هذا القرار، ترتفع في داخلي أصدااء أصوات تذكّرني بأنني والدة كيت وزوجة أندي، ولكن الصوت الآخر، صوت الحقيقة المظلمة، الصوت الأكثر صدقاً، يستشعر حتمية الأمر: "نعم بالتأكيد"، هذه نهاية قصتي، بل لظالما كانت هذه النهاية، فلم أمنع والذي من ارتكاب جريمته، ولكن في إمكاني أن أمنع أندي من الاستمرار بإلحاق الأذى بيلاً.

مشينا صعوداً نحو الفندق، فشعرت بأنني خفيفة الوزن ومنفصلة عن الواقع، كما لو أن روحي قد فارقت جسدي، فوقفتُ أشاهد نفسي عن بُعد: ها هي كاز ترتدي ثوبها الرمادي الحريري الطويل، وتشبكُ ذراعها بذراع زوجها الوسيم الذي يرتدي بذلته السوداء، ويضع زرّي كميّه الذهبيين، وها قد اندفع

نحوهما طفلهما الصغير والمذهل، وهو يركض على العشب الندي ويصيح وأخوه نصف الشقيق إلى جانبه، وكلاهما يحملان طاحونة هواء بلاستيكية صغيرة مستمتعين باللعب بها، ثم تنحني كاز نحو لعبة ابنها، بينما يمسك زوجها كل طفل منهما بأحد ذراعيه، ويقوم بالدوران بهما قبل وضعهما على الأرض، فيضحكون معاً، ثم يتعثرون بالحصى، إنها حقاً العائلة الأكثر عصرية ومثالية.

إلا أنه يتحتم عليّ أن أوضح أن تولي ليس أبا ابني غير الشقيق، ولا أمتلك أدنى فكرة عن هوية والده الحقيقي، ولكنه بالتأكيد ليس أندي. لكزني كيت بطاحونته البلاستيكية مبتسماً: "أمي! انظري إلى ما أعطتني إياه، غري!".

"كم هي جميلة، يا عزيزي! هل كنت تمرح برفقة تولي؟". قال ابني: "لقد سمح لي بأن ألعب بطائرة صغيرة تعمل بجهاز تحكم لاسلكي، ويمكن أن أجعلها تحلق بواسطة يدي فقط! وقال إنه في إمكانني أن ألعب بجروه الآلي لاحقاً، هل يمكن أن احصل على جرو آلي، يا أمي؟". قلت من دون أن أوكد له: "سنرى ذلك لاحقاً".

سألني تولي: "هل يمكن أن يمكث كيت في غرفتي الليلة؟". ابتسمت للفتى الصغير، وأنا ألفت بإصبعي خصلة مجعدة من خصلات شعره الكثيف، يا له من شعر مذهل! أتساءل إن كان قد ورثه من والده: "نعم يمكن أن يرث ذلك بالتأكيد".

وقفت لويز عند مدخل بالم كورت، وقد رسمت على وجهها ابتسامة ساحرة تخلو من الهموم، وهي تنظر إلى أندي. لا بد أن الاهتمام بمظهرها قد استغرق وقتاً طويلاً من أجل أن تبدو جميلة وجذابة خلال هذه العطلة؛ فقد قصت شعرها قصة جديدة، ومن خلال حلاقة عكسية بالشفرة، أصبح أكثر كثافة، وجعلها تبدو أصغر سنّاً، وأنا واثقة من أن مين روبرتس وراء تغيير

قصة شعرها، واختيار فستانها القرمزي الرائع، فلم تعدد لويز على ارتداء مثل هذه الألوان، ولطالما تدرّجت ثيابها ضمن ألوان باهتة ومملة، وهي الألوان التي تدعوها سيليا بالرمادي الداكن والعظمي والبيج الفاتح، أو مثلما يدعوه باقي العالم بالبيج، ألقىت نظرة جانبية على أندي، فرأيت عينيه تخرجان من محجريهما.

عندما خَرَجَتْ إلى الشرفة، اتجه أندي نحوها ليلقي عليها التحية، ويقبل وجنتيها، ولكن لسببٍ ما غير مفهوم، تظاهرت بعدم رؤيته، وابتعدت عنه للتهرب منه.

اتسعت عيناى من الدهشة، وأنا أتساءل، ماذا تعرف هذه المرأة التي كانت متزوجة من زوجي لأكثر من عشر سنوات؟ هل اكتشفت ما فعله بابنتها؟ سأعتبر أن ذلك مستحيل، إذ لا يوجد امرأة ستسمح بأن يحدث ذلك لابنتها المراهقة، ولكن للأسف، أدرك بفضل تجربتي المرّة أن ذلك قد يكون ممكناً. سألتني لويز بينما كنا نراقب الفتيتين وهما يركضان على العشب: "كيف وجدت الإقامة في منزل الشاطئ؟".

أجبتها قائلة: "إنه جناح رائع".

قالت: "أعرف أن الوصول منه إلى الفندق يستغرق وقتاً، ولكنه يستحقّ العناء، ألا تعتقدن ذلك؟".

لن أعترف بذلك للويز، ولكنني في الحقيقة، لا أعتقد أنني مكثت في مكانٍ أجمل منه، وطبقاً للكُتَيْب الموجود في جناحنا، فقد كتبت أغاثة كريستي اثنتين من رواياتها في فندق جزيرة براغ، وقد علّقت سيليا على كلامي بسخرية، عندما اتصلت بها من أجل تأكيد حضورنا: "إنها تُلفظ جزيرة بير، عزيزتي"، وعندما تحوّلت الروايتان إلى فيلمين، فقد صُوّرا في هذا الموقع، وأتذكّر عندما قطع هيركول بولروت الشاطئ على متن جرار البحر، فاحتفظت برومنسية الصورة، ولكنني لم أحلم بقدومي إلى هذا المكان إطلاقاً، كما أنني

أنسى في بعض الأحيان الأشواط التي قطعتها في السنوات العشر الأخيرة. سأل أندي وهو يفرقع أصابعه ليستدعي النادل إلى الشرفة: "أين بيلا؟"، إنني أستاذ بشدة عندما يتصرف بهذه الطريقة بشكل اعتيادي، ولكن الليلة بالكاد ستحتسب، أردف قائلاً: "هل ستنضم إلينا عندما نتناول طعام العشاء؟". قالت لويز: "لقد ذهبت إلى الخليج لتستقبل صديقتها التي تستقل جرار البحر".

قال أندي بانفعال: "ظننت أنه يوم مخصص للعائلة فقط؟". استهجنّت لويز كلامه قائلة: "احتاجت بيلا إلى بعض الدعم المعنوي، فكيت وتولي يتسليان معاً، وهي ستشعر بالملل إذا بقيت وحدها، وقد وافقت أُمِّي أن تدعو صديقتها".

زَمَّ شفّتيه، وقال: "أيّ صديقة دعته للحضور؟". شتّت النادل انتباه لويز منتظراً أن يسجّل طلباتنا، وقالت بسلطة امرأة أرسقراطية: "سنحصل على المشروبات في الداخل، فوالدتي يزعجها الجلوس في الخارج في الصيف".

تبعناها إلى الفندق، فشهقتُ شهقة خفيفة ما إن دخلنا القاعة متأثرة بالجمال الرائع الذي يميّز السقف الزجاجي المرتفع فوق رؤوسنا، والذي يعود إلى الأرت ديكو. ضحكت لويز، وكأنّ الفضل في هذا الجمال الخلاب يعود إليها كلياً: "أليس المكان مذهلاً؟".

ارتفعت أصوات الضحك والأحاديث القادمة من قاعة الاستقبال، وبعد لحظات وصل برين وسيليا روبرتس إلى بالم كورت، وقد تلتهما تايلر وبيلا، فشعرت بتصلّب أندي من خلفي، فلطالما أشعرتُهُ سيليا بالتوتر المثير للريبة، وأظنّ أنه يقلق من أن ترى فيه فتى الطبقة الوسطى الكادحة تحت ذينك الزرين الذهبيين، والحذاء الأنيق.

قالت سيليا وهي تقبل وجنة أندي، بينما تجاهلت وجودي كلياً: "عزيزي

أندرو، ما أروع رؤيتك! تبدو رائعاً بهذه السُمرّة الجذابة، إن مين ولوك يُحضران الأطفال لتناول العشاء من الطابق العلوي، وسيأتون في الحال"، ثم خاطبت النادل من دون أن تتكبدّ عناء أن تنتظر أحداً ليردّ عليها: "أعتقد أنكم تريدون شامبانيا، رجاء زجاجة من الكروغ، ونحتاج إلى ست كؤوس من فضلك".

كست نفسها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها بألوان الذهب، ولقت وشاحاً حريرياً ناعماً حول رقبتها تدلّى إلى أسفل ظهرها.

بدا مظهرها ملائماً لسنها الذي قارب السبعين، وقد برزت عضلات ذراعيها بسبب قضائها ساعات طويلة، وهي منهمة في أعمال البستنة، كما بدت مثل تمثال الأوسكار، وهي تتحدّث عن الدفء والمحبة والحنان وهي تواصل الترحيب بالضيوف.

صحّحت لويز القول: "بل سبع كؤوس، ألا تبدو كاز رائعة بهذا الفستان؟ هل هو من تصميم أرمانى؟".

اجتاحني نظرات سيليا المهينة من رأسي إلى أخمص قدمي: "أنت ذكية، إن متجر البضائع المستعملة يواكب آخر صيحات الموضة في وقتنا الحالي". ابتسمت لها لأن الأمر لا يهمني، وسيليا لا تهمني أيضاً، وأنا أطفو عالياً فوقهم جميعاً، وفي إمكان آل روبرتس بشيفراتهم السرية وابتساماتهم المبطّنة ووقوعتهم التي ترتقي فوق سبل البشر بشكلٍ مبالغ فيه، ولا يمكن وصفه أن يظنوا ما يشاؤون، وأن يقولوا ما يحلو لهم، ولكن ستتهي قريباً فترة تسلطهم وسيطرتهم خلال بضع ساعات لا أكثر.

استهجن أندرو وجود تايلر، فأخذني جانباً بطريقة فظة ليسألني قائلاً: "ما الذي تفعله هذه الفتاة هنا؟ اعتقدتُ أنه يومٌ مخصص للعائلة فقط".

قلت وأنا أحرّر نفسي من قبضته: "قالت لويز سيكون الحفل مملاً بالنسبة إليها في ظل غياب أي فرد في سنّها".

أوحت نظراته برغبته في أن يقول كلاماً أكثر عمقاً، ولكن وصول لوك

ومين وكتيبة أولادهما برفقتهما، حالت دون توغلي أكثر في المحادثة. ثم ما لبث أن أحضر النادل الشامبانيا، فأنهيت شرابي دفعةً واحدة، ولم ينتبني الشك في ما أوشك على فعله، ولكنه سيتطلب شجاعة كبيرة بالتأكيد، لأن الفجوة بين الرغبة الجامحة والدموية في التحرك والامتناع عن تنفيذ تلك العملية كبيرة جداً، ولا أريد أن تخذلني شجاعتي الآن.

أكدت لويز ضرورة ألا أختلط مع الأولاد هذه المرة، الأمر الذي لم يتح لي إلا أن أخوض في أحاديث متحفظة مع الأشخاص البالغين بدلاً من أن أستمر بمصارعة أفكار المضطربة، ربما يعود الأمر بالنفع علي، إذ كلما خفت تفكيري في الحفل كان الأمر أفضل.

لم أكن وحدي أشعر بالتوتر، فأندي بدا بدوره متقلب المزاج، وهو يرمي لويز بنظرات خفية عندما يظن أنني منشغلة عنهما، وبالكاد تناولت بيلا وتايلر طعامهما، فكانتا تتهامسان، وهما تحركان طعامهما في طبقيهما، فلم أستغرب تقوقع بيلا وصديقتها، وقد لاحظت لويز وهي ترمقهما بنظرات قلقة تظهر بوضوح أنها لا تفصح بما تعلم به، كيف يمكن أن تقف مكتوفة اليدين؟ إنها والدة بيلا، ويتوجب عليها حماية ابنتها، وإذا كانت تعلم بما فعله أندي، ولم تحرك ساكناً، فيجب أن تحرق بنار جهنم برفقة أندي أيضاً.

لم يبدُ أن للعشاء نهاية، ولكن عندما انتهى فعلاً تنفست الصعداء وشعرت براحة شديدة. صعد الأطفال الستة إلى الطابق العلوي، ولكن ما فاجأني حقاً، كان بقاء تايلر وبيلا برفقتنا لاحتساء القهوة، فانسحبنا إلى حانة بالم كورت، وجلسنا على مقاعد ذات إطلالة بحرية خلابة، فكانت السماء مرصعة بالنجوم، والقمر يتدلى مثاقلاً منها، وقد ترك النادل أكواب القهوة على منضدة جانبية بناءً على طلب سيليا، وقد ساعدت الفتاتان بتوزيعها على الحاضرين.

سألت سيليا وهي تمسك بإحكام بيد برين: "هل يمكننا أن نحضر زجاجة

كراغ أخرى؟ أدرك أن لا أحد يمزج القهوة بالشامبانيا، ولكننا نحتفل باليوبيل الذهبي".

قال برين بود ورقة: "لمَ لا؟".

سألت بيلا والدتها: "هل يمكنني تذوق القليل؟".

نهضت لويز من مكانها، وصاحت وكأنها على بعد أميال منها، وقالت: "نعم، إن كنت ترغبين في ذلك".

لا أعلم إن قلت ذلك تحت تأثير احتساء النبيذ في أثناء تناول العشاء، أو بسبب انهماكي الشديد في التفكير في ما عليّ أن أفعله، ولا أدري الدافع إلى خروج الكلمات من فمي قبل أن أستطيع كبحها، فقلت لبيلا بلا تفكير: "لا يمكنك احتساء الكحول وأنتِ حامل".

أردت أن أسترّد تلك الكلمات، وأدفعها في داخلي من جديد، ولكن ما قيل قد قيل، وقد جحظت أعين الجميع إلى بيلا بدهشة وذهول، فحتى سيليا قد عجزت عن الكلام.

أجهشت بيلا بالبكاء، وقالت: "لا، أنا لست حاملاً"، وأعدت تكرار هذه الجملة أكثر من مرة، بينما كان الصمت يعم المكان.

قالت لويز بغضب: "إنها ليست حاملاً بالطبع، أنا أعتذر منك، يا بيلا"، وأضافت قائلة: "حاولت أن أبقى متفهمة حقاً، ولكن هذه كانت القشة التي أفاضت الكأس، ولا أستطيع البقاء في المكان نفسه برفقة هذه المرأة بعد الآن، إنها مضطربة وفاقدة لصوابها، ولا أرغب في أن أخرب سهرتك، أمي، ولكنني أرغب في تنشق بعض الهواء المنعش، سأراكِ غداً".

حدّقت بيلا إليّ، وقد بدا وجهها ممتقع اللون، وكانت ترتجف بسبب الغدر الذي لحق بها، فظننتُ للحظة أنها تريد قول شيء، ولكنها سرعان ما أخذت بيد تايلر، وغادرتا من دون التفوّه بأي كلمة. شعرتُ بالقلق عندما تبعهما الجميع، ولكن كلّ ما أردته هو مساعدة بيلا، إلا أنني على يقين من



أنها لن تسامحني أبداً.

لكن طلب السماح من بيلا ليس مهماً، فما يهم الآن هو إنقاذها من يدي والدها المتوحش.

خرجت من الصالة، واتجهتُ نحو مائدة العشاء التي لا تزال الفوضى تعمّها، حيث تتناثر الأطباق والأقداح المتسخة، ولم يزني أحد، وأنا أخفي السكين الذي كانت لوز تستخدمه، وقد تركت عليه بصماتها، خلسة في حقيبتني.

**لويز بيج**  
**الجزء الأول من المقابلة المسجلة**

بتاريخ: 2020 / 7 / 25

المدة: 51 دقيقة

الموقع: مركز شرطة كينجزبريدج

أجرى المقابلة: عناصر شرطة من مركز ديفون وكورنوال  
(تابع)

- الشرطي : "حسناً، أكانت تلك المرة الأخيرة التي ترين فيها طليقك على قيد الحياة بالأمس على الشاطئ؟".
- لويز بيج : "أجل".
- الشرطي : "متى كان ذلك؟".
- لويز بيج : "لا أعلم بالتحديد، ولكن قد يكون قرابة الحادية عشرة مساءً".
- الشرطي : "هل رأيته أثناء تناول الفطور صباحاً؟".
- لويز بيج : "لا، لم أره إلا عند ذهابي إلى بيت الشاطئ و... ووجدته... (بدأت تجهش بالبكاء)".
- الشرطي : "تعازي الحارة لك، سيدة بيج، هل أحضر لك شراباً ساخناً؟ هل تشعرين بالألم؟".
- الشرطي : "لقد عاين الطبيب ذراعها للتو، سيدي، وقال إن السيدة بيج في

حالة جيدة، ويمكنها إجراء المقابلة".

لويز بييج : "لو سمحتما، هل يمكننا القيام بذلك في وقت آخر، فأحتاج إلى أن أكون إلى جانب ولدي، لمواساتهما بعد أن فقدتا للتو والدهما (تواصل النحيب)".

الشرطي : "أعتذر منك بشدة، سيدة بييج، سنقوم بذلك بأسرع وقت ممكن، ولكننا بحاجة إلى التحدث إليك الآن، بينما لا تزال ذاكرتك خصبة".

لويز بييج : "لن أستطيع نسيان ما رأيته أبداً".

الشرطي : "آسف جداً، ولكن للتوضيح فقط، ألم يأت السيد بييج إلى الفندق إطلاقاً؟".

## مكتبة

t.me/soramnqraa

لويز بييج : "لم أر أياً منهما طوال فترة الصباح".

الشرطي : "أتقصدين أندرو وكارولين بييج؟".

لويز بييج : "أجل".

الشرطي : "هل تفاجأت لتخلفهما عن تناول الفطور؟".

لويز بييج : "ليس بعد الذي حدث البارحة، فغالباً ما يخرج أندرو لممارسة

رياضة الركض في الصباح، وأعتقد أن كاز كانت تتجنب رؤية

الجميع، لأننا كنا غاضبين جميعاً مما قالته".

الشرطي : "أتقصدين ما قالته حول ابنتك؟".

لويز بييج : "نعم".

الشرطي : "هل كان السيد بييج مستاءً من زوجته؟".

لويز بييج : "لا أعرف".

الشرطي : "ألم تناقشا الأمر خلال حديثكما الوجيه؟".

لويز بييج : "لا".

الشرطي : "حسناً، ما الذي تحدثتما بشأنه؟".

لويز بيج : "لا شيء حقاً، (صمتت لحظة، ثم تابعت كلامها) لقد خططنا لحفل والدي في اليوم التالي، وقد طلبت منه أمي أن يلقي بضع كلمات في الحفل، وقد أراد الحصول على بعض القصص الطريفة ليضيفها إلى كلمته".

الشرطي : "هل طلبت والدتك من طليقتك أن يلقي كلمة في الحفل، عوضاً عن أخيك؟ ألا يبدو الأمر غريباً؟".

لويز بيج : "في الواقع لا، فلوك خجول للغاية، بينما أندرو معتاد على الحديث أمام العموم، وهو كان قريباً من والدتي، يا إلهي (تنهمر الدموع من عينيها مجدداً) أعذرنني، إنني بخير".

الشرطي : "هل ذهبت برفقة السيد بيغ إلى الشاطئ الليلة الماضية؟".

لويز بيج : "لا، فقد خرجتُ من الفندق وحدي لأصفي ذهني، وانضم أندرو إليّ بعد عشر دقائق أو ربما بعد خمس دقائق".

الشرطي : "هل بقيتما معاً بعد عودتكما إلى الفندق؟".

لويز بيج : "لا، فقد عدتُ قبله، لأنني أردتُ أن أطمئن إلى تولي في سريرته، وفي أي حال كنتُ في الفندق الرئيسي، بينما كان أندرو في منزل الشاطئ، ما يعني أننا كنا في اتجاهين متباينين".

الشرطي : "هل شاهدتِ شخصاً آخر، وأنت في طريقك إلى الفندق؟".

لويز بيج : "لا، فقد كان الجميع قد خلدوا للنوم".

الشرطي : "هل كانت من ضمنهم السيدة بيج؟".

لويز بيج : "لا أعرف، فلم أرها في ذلك الوقت".

الشرطي : "لماذا توجهت إلى منزل الشاطئ هذا الصباح؟".

لويز بيج : (تجاهلت سؤاله).

الشرطي "سيدة بيج؟".

لويز بيج : "أردت التحدث إلى أندرو".

- الشرطي : "بمَ أردت محادثته؟".
- لويز بيج : "بشأنِ ابنتنا، ظننتُ أنِ كاز كانت على الشاطئ، لذا كان الوقت مناسباً للتحدث إليه".
- الشرطي : "ما الذي جعلك تظنين أنها على الشاطئ؟".
- لويز بيج : "لقد رأيتها، أو ظننتُ أنني رأيتها، فهي ترتدي لباساً بحرياً أحمر فاقع اللون، وتستطيع تمييزها من خلاله دائماً".
- الشرطي : "أتعترفين بأنك أردتِ الانفراد بطلاقك؟".
- لويز بيج : "الأمر ليس سراً أنني أنا وكاز لسنا على وفاق، لقد كانت الأشياء... (توقفت عن الكلام لبرهة) اعتقدتُ أن الأمور ستكون أفضل من دون وجودها، فذهبتُ إلى منزل الشاطئ... (تبكي بحرقة) أنا آسفة، فلا أستطيع أن أتابع الكلام".
- الشرطي : "لا مشكلة، أعلم أن الأمر مزعج، سيدة بيج، ولكنني أريدك أن تخبريني بما حصل بعد ذلك تماماً".
- لويز بيج : (تجهش بالبكاء).
- الشرطي : "هل تريدين بعض المناديل الورقية؟".
- لويز بيج : "نعم، من فضلك، آسفة، ولكن صورته وهو ممدد على الأرض، لا تبارح ذهني".
- الشرطي : "هل قرعت الباب عندما وصلت إلى منزل الشاطئ؟".
- لويز بيج : "لا، كنت على وشك فعل ذلك عند سماعي الصراخ من الداخل، فعرفتُ أن كاز كانت برفقته، لذا وقفت في مكاني".
- الشرطي : "هل سمعت صوت المشاجرة مرتفعاً؟ هل يمكنك أن تحددي هوية تلك الأصوات؟".
- لويز بيج : "أندرو وكاز".
- الشرطي : "هل أنت متأكدة من كلامك؟ هل كان السيد بيج على قيد الحياة

عندما وصلت إلى منزل الشاطيء؟".

لويز بييج : "أجل".

الشرطي : "هل تمكنت من فهم ما يقولانه؟".

لويز بييج : "لا، أقصد كانا غاضبين، وقد استطعت أن أسمع القليل من

الحديث مثل كيف أمكنك ذلك، وكلام من هذا القبيل".

الشرطي : "هل لديك أية فكرة عما قصده؟".

لويز بييج : "لا".

الشرطي : "ما الذي فعلته؟".

لويز بييج : "لم أرد أن أتدخل في الأمر، لذا شرعت في العودة إلى الفندق،

وكنت في منتصف طريق العودة عندما سمعت صراخاً حاداً".

الشرطي : "هل كان صراخ رجل أو امرأة؟".

لويز بييج : "بدا لي صراخ امرأة، ولكن من المحتمل أن يكون صوت أندرو،

لا أعرف، فلم يسبق لي أن سمعت رجلاً يصرخ بهذه الطريقة،

كانت صرخته مدوية، في البداية تجمّدت في مكاني، وبعد ذلك

سمعتُ صرخةً أخرى، فهرعتُ إلى هناك، ودخلت المنزل على

الفور".

الشرطي : "هل كان الباب مفتوحاً؟".

لويز بييج : "نعم كان كذلك، وقد دخلتُ بسرعة ووجدتُ.... وجدتُ...

(تجهش بالبكاء)".

الشرطي : "يمكنك أن تستريحي قليلاً، سيدة بييج".

لويز بييج : "أسفة جداً، لقد كان أندرو ممدداً على الأرض، وكانت كاز

تمسك بسكين، وهي منحنية فوقه نوعاً ما، وكانت الدماء تنتشر

في كل مكان، وبعد ذلك اندفعت نحوي".

الشرطي : "هل هاجمتك؟".

لويز بيج : "حاولت الوصول إلى أندرو للتأكد من أنه لا يزال على قيد الحياة، فانزلقت... ووقعت على الأرض، وتلطّخت بالدماء، ومن المؤكد أن ذراعي قد تأذت، ثم بدأت أصرخ، وأنا أحاول أن أنزع السكين من يد كاز، وقد حدث كل ذلك بسرعة كبيرة".

الشرطي : "هل رأيتِ السيدة بيغ تطعن زوجها؟".

لويز بيج : "كان ممدداً على الأرض عندما دخلت، لو كنت... (بدا صوتها خافتاً وغير مسموع) ربما لاستطعت... (تجهش في البكاء)".

الشرطي : "هل كان هناك شخص آخر في الغرفة؟".

لويز بيج : "لا".

الشرطي "ألم تري أي شخص يدخل أو يغادر منزل الشاطيء؟".

لويز بيج : "لا، لقد قتلته! أسألها عن ذلك".

الشرطي : "في الواقع، أخبرتنا كاز بالقصة نفسها، ولكن مع اختلاف في تفصيل جوهري، فهي تقول إنك أنت من قتلته".

## الفصل 42

### لويز

أعدت قهوته على طريقتها من دون أن تسأله كيف يفضلها، وصنعتها ببساطة كما يحبها أندرو تماماً بإضافة جريئة للمبيض وملعقتي سكر، إنها إحدى طرق التحضير التي لا يمكنك أن تعرفها، ما لم يسبق لك أن قمت بتحضيرها مرات عديدة، كما أنها من الطرق التي لا يمكنك أن تعدّها بهذه الدقة إلا إذا كنت تعرف الشخص حق المعرفة.

بينما كنت أراقبها، وهي تقدم له كوب القهوة، عرفتُ في تلك اللحظة تحديداً، ومن دون أدنى شك، أن بيلا كانت تقول الحقيقة حين أخبرني بأن تايلر واقعة في مصيبة، وأنها ليست المعنية، وأن من غرر بها كان رجلاً متزوجاً في عمر والدها، وقد جعل هذه الفتاة المراهقة التي لا تزال تتراد المدرسة، ولم يتجاوز عمرها سبعة عشر عاماً حاملاً، وذاك الوحش كان أندرو.

هذا ما قصده عندما جاء إلى منزلي، وهو يقول إنه تصرّف بحماقة، فتايلر من أقام العلاقة معها، وهي الصديقة المفضلة لابنته المراهقة.

أنا ممتنة لزلة لسان كاز التي كسرت الجليد، وأظهرت الحقيقة الصادمة، وقد غادرت الفندق في الحال، وصعدتُ إلى قمة الجرف من دون التفكير في وجهتي، وأنا ممتنة لضوء القمر الذي أنار دربي، وجعلني أجد طريقي بين تلك الصخور نزولاً نحو البحيرة، وقد قادني إلى هذا المكان إرشاد فطري نوعاً ما. في البدء انتابني شعور مثير بالتححرر من القيود التي كانت تكبلني بعد التخلي عن الهموم التي كانت تثقل كاهلي، فور سماع أصوات أمواج البحر



التي تتكسّر على الشاطئ في الظلام الدامس، وتنشق رائحة الملح المنتشرة في الهواء، وأنا أقف على الشاطئ الفارغ، منغمسةً في الأصوات التي تنبعث من حولي، راكبة موجة غضبي المشتعل في داخلي.

إنني أعرف الآن الحقيقة، ولستُ قادرة على التعبير عن مدى حماقتي وجهلي في السابق، مع أن كل شيء كان واضحاً، فنظرات أندرو التي تشع بالذنب، وهو يرمق تايلر طوال الأمسية، أما ملامح وجه تايلر الشاحب، فقد أظهرت أن قلبها ملتانع من الحب كلما نظرت إليه.

لكن من الواضح أن بيلا لم تدرك ما كان يحدث بينهما، وأنا أتمنى أن تبقى جاهلة تلك الحقيقة، وإلا سيتحطم قلبها من تلك الخيانة المزدوجة. لطالما انجذب أندرو إلى النساء الناضجات لا إلى الفتيات المراهقات، فهو لا يستطيع أن يقاوم امرأة جميلة، ولكن تايلر لا تزال مراهقة، فهي أصغر منه بثلاثين سنة. ومع أنني أعلم أنه مغرور، لكن هذا السلوك يعتبر انحذاراً حاداً في المستوى الأخلاقي، ولو كانت علاقتهما شرعية بالنسبة إليه، إلا أن تصرفه يُعتبر غير مقبول أخلاقياً ومعنوياً.

لم أسمع حركة أندرو عندما اقترب مني، ووقف خلفي، وحين قفز في اتجاهي، استدرتُ فوجدته على بعد خطوات مني، تبادلنا النظرات بصمتٍ لمدة طويلة، ومن خلال تعابير وجهي، لا بد أنه عرف أنني اكتشفت حقيقته المقززة، فحين تعيش مدة عقد ونصف مع شخص ما تصبح قادراً على قراءة تعابير وجهه.

لقد لمحت الخوف والذنب والقلق من العواقب مرتسمة على ملامح وجهه، ولكنني لاحظتُ فجأة أنني لم أره متفاجئاً من هفوة كاز ولا مصدوماً بما قالته، فلا بد أنه سبق له أن علم بحمل تايلر. ابن الوضيعة، إنه يعرف، وبدلاً من أن يتحلّى ببعض المسؤولية ويساعدها في تجاوز محتتها، فيدفع على الأقل تكاليف عملية إجهاض تلك الفتاة المسكينة، فقد تركها تتدبر أمورها

وحدها، فلم يهتمه سوى أن تظلّ الحقيقة طيّ الكتمان، ولا أظنّ أنني كرهتُ شخصاً أكثر من كرهني له الآن.

قلتُ بصراحة ومن دون رحمة: "ابتعد عني، أيها الوحش".

قال لي: "لو، دعيني أشرح...".

قلتُ له: "ليس هناك ما يمكن أن تشرحه، ولا يمكنك قول ما يغفر لك". لا أصدق نفسي، لقد كنت أجده وسيماً، إلا إنه فارغ وخالٍ من الجوهر والقيمة، وهي الصفات نفسها التي يمكن أن تجعله مقدماً تلفازياً لامعاً، وتخفي حقيقته المروعة.

تضرّع أندي إليّ، وقال: "كنتُ أحقق، أعلمُ ذلك، ولكنك لا تعرفين يا لو، لم تكوني موجودة، لم يكن أمراً مخططاً له، ولو كنت أستطيع إصلاح ما حصل، أقسمُ إنني كنتُ سأفعل، كان ذلك أكبر خطأ ارتكبته في حياتي". أدركُ من خلال تعابير وجهي الجامدة أنّ مقدمته الروائية لم تنجح، فغيّر فجأة مسار حديثه، وقد امتلأت نبرة صوته بالانتهام: "اسمعي، إننا جميعنا نرتكب الأخطاء، فقد جعلتني أظنّ أنني والد تولي عندما..."، قاطعته غاضبة، وقلتُ له: "تبلغ تايلر سبعة عشر عاماً فقط، فهي لا تزال طفلة!".

قال بسخرية وسخط: "إنها تعرف تماماً ما كانت تفعله، كما أنها لم تكن تجربتها الأولى، صدّقيني".

استشطت غضباً وصفعته بقوة، وقد أمكنني رؤية أثر الصفعة على وجته حتى في الظلام الدامس، ثم صحتُ فيه قائلة: "إياك أن تتجرأ، أنت المسؤول عن كل ذلك، إنها في عمر ابنتك، وهذه ليست علاقة طبيعية، بل إنها جريمة لا تُعترف، كيف ستشعر إن أقام أحد أصدقائك علاقة مع بيلا؟".

نظرَ إليّ باستهجان، وقال: "لا تكوني وضيعة".

قلتُ له: "هل يمكنك أن تسمع نفسك؟ كيف أمكنك، أندرو؟ إنها لا تزال تلميذة في المدرسة، كيف أمكنك أن تلحق بها هذا الضرر الفادح، ومع

ذلك تعتبر أن لا مشكلة في الأمر؟".

أظهر استياءه وضيقة وهو يتمتم: "اسمعي، حدث الأمر بضع مرات فقط، فكانت دائماً تتسكع في الجوار وهي ترمقني بنظراتها المغرية، وطلبت مني أن أعرفها بالمكان، كما أظهرت رغبتها بوضوح تام، أي إنها كانت تسعى إلى ذلك"، ثم فرك خده الذي صفعته عليه، وأردف قائلاً: "تباً لك، كان في إمكانك كسر أنفي، لويز، لا أستطيع الذهاب إلى العمل يوم الاثنين ووجهي متورم على هذه الحال".

لو كان على قمة الجرف، أقسم إنني كنت سأدفعه بكل قوة، همستُ له: "لقد جعلتها حاملاً، وبعد ذلك تركتها تواجه المشكلة بمفردها، ودفعت بيلا تكاليف عملية الإجهاض. هل تعرف أن ابنتك ذات الستة عشر عاماً تكفلت بقتل شقيقتها أو شقيقتها؟! هل تدرك ماذا سيحلّ بها إذا علمت بذلك يوماً ما؟".

تجهّم وجه أندرو، وقال: "لن تعرف إلا إذا أخبرتها بالحقيقة، لقد حُلّت المشكلة الآن، أليس كذلك؟ وستخطئ الفتاة محتتها، فقد أخبرتها بأن العلاقة التي بيننا قد انتهت، ولا أعرف لماذا أتت إلى الجزيرة في هذا الوقت بالذات، ولأكون صريحاً، يُفضّل ألا تخطط لإخبار كاز"، ثم أضاف قائلاً بخبث: "الآن وقد تخلصت من جنينها، ستكون كلمتها مقابل كلمتي".

شعرت بأني عاجزة عن النطق بأي كلمة، فهو لا يشعر بالندم أو الخجل، ولم أعتقد أنني سأشعر يوماً بالشفقة على كاز، ولكنني أفعل الآن، خاصة وأنها متزوجة من هذا المتوحش والمتبلد المشاعر.

أعدتُ القول بصرامة: "تايلر مجرد طفلة، ولا يمكنك أن تعتمد على ألا تخبر أحداً للأبد، حتى أنا لا أعتقد أن عليّ بكتمان حقيقة ما فعلته".

قال أندرو من دون تردد: "انظري لو، أتفهّم الأمر، ولا داعي لأن تشعرني بالغيرة، إنها بصراحة لم تعن لي شيئاً، كانت مجرد لحظة انغماس

في الملدات"، ثم خطأ خطوة في اتجاهي، وهو يستجمع كل عناصر سحره وجاذبيته من خلال نظراته، وتابع قائلاً: "أنت المرأة الوحيدة التي اهتممتُ بها...".

شعرتُ بالإعياء، وقاطعت كلامه قائلة: "توقّف، فقط توقف، لا أرغب في سماع المزيد، ابقَ بعيداً عن تايلر، وإلا ستواجه مشكلة كبيرة". تركته على الشاطئ، والشعور بالاشمئزاز الشديد يغمرنني إلى درجة أنني أستطيع تذوق مرارته اللاذعة في سقف حلقي. إنني أشعر بالبغض والكره تجاهه، وبحاجة للعودة إلى المنزل لإزالة آثار قذارته بعد اختلاطي به. عاشرت هذا الرجل منذ بضعة أيام فقط، وتقبّلته كما فعلت لسنوات طويلة، ما يجعلني جزءاً من قصته القذرة.

لقد اصطدمت قدمي بصخرة، فانزلقتُ، ولويتُ مرفقي، وأنا أقع، ومرت لحظة قبل أن أستعيد توازني، وما إن وقفت على قدمي حتى شاهدتُ أمي، وهي تقف مسترة بين الظلال في أعلى الجرف. سألتها بصوت مرتفع: "أمي، لقد أرعبتني، ما الذي تفعلينه في هذا الوقت المتأخّر؟".

ردّت أمي ووشاحها الذهبي يرفرف خلفها مع النسيم: "كنت قلقة بشأنك، فقد اختفيت فجأة، وقالت مين إنك ذهبت إلى الشاطئ، لذا أتيت لأطمئن إن كان كل شيء على ما يرام. إن الطريق وعرة، وتزداد وعورة في الليل". لم أستطع قراءة تعابير وجهها، ولكن استوقفتني شرارات غامضة لمعت في عينيها، كما أن المياه تنقل الأصوات إلى مسافة بعيدة، ما الذي قد تكون سمعته؟

سألتها بحذر: "منذ متى وأنت واقفة هنا؟".

ردّت قائلة: "منذ وقت ليس بقليل".

## كارولين بيچ الجزء 1 من المقابلة المسجلة

تاريخ: 2020 / 7 / 25

المدة: 48 دقيقة

الموقع: مركز شرطة كينغز بريدج

أجرى المقابلة: أعضاء شرطة من ديفون وكورنوال  
(تابع)

- الشرطي : "هل أنت متأكدة من قدرتك على المتابعة، سيدة بيچ؟".
- كارولين بيچ: "إنني بخير".
- الشرطي : "هل تشعرين بأي ألم؟".
- كارولين بيچ: "قلتُ لك إنني بخير، هل يمكننا أن نتابع الآن؟".
- الشرطي : "لقد ذكرت أنك ذهبت إلى الشاطئ للسباحة، هل يمكن أن يؤكد أحد ذلك؟".
- كارولين بيچ: "لا أعرف، كان الوقت مبكراً، ولم أكلم أحداً، لكن ربما شاهدني أحد رواد الفندق".
- الشرطي : "متى غادرتِ منزل الشاطئ؟".
- كارولين بيچ: "لم أنظر إلى الساعة".
- الشرطي : "يمكنك أن تحددى الوقت بشكلٍ تقريبي، سيدة بيچ".

كارولين بييج: "لا أعلم، ربما قرابة الساعة الثامنة، وقد كان أندي نائماً حين غادرت".

الشرطي: "كم مضى من الوقت وأنت تسبحين؟".

كارولين بييج: "سبحت عشرين دقيقة تقريباً، ولكنني بقيت عند البحيرة لفترة قصيرة من الوقت، (صمتت لحظة ثم تابعت كلامها) لقد وقع بيني وبين أندي شجاراً الليلة الماضية، بسبب ما قلته في أثناء تناول العشاء، وقد بدا الأمر سخيفاً...".

الشرطي: "أتقصدين عندما ذكرت أن ابنة زوجك بيلا يمكن أن تكون حاملاً؟".

كارولين بييج: "أجل".

الشرطي: "لماذا اعتقدت ذلك، سيدة بييج؟".

كارولين بييج: "كان سوء تفاهم فحسب".

الشرطي: "أهذا ما تشاجرتما بشأنه؟".

كارولين بييج: "إلى حدّ ما".

الشرطي: "هل حدث ذلك في الفندق، أم في جناحكما؟".

كارولين بييج: "في جناحنا، ولكن ذلك كان بعد عودة أندرو من الشاطئ".

الشرطي: "لماذا ذهب إلى الشاطئ؟".

كارولين بييج: "ذهب خلف لويز، فقد كانت غاضبة مما قلته، فاندفعت خارج

الفندق، وتبعها ليهدئ من روعها، ولكن عند عودتي إلى منزل

الشاطئ سمعتهما يصرخان".

الشرطي: "أكانا يتجادلان، وهما يصرخان؟".

كارولين بييج: "هذا ما بدا عليه الأمر".

الشرطي: "هل تعرفين ما كانا يتجادلان بشأنه؟".

كارولين بيج: "لا، كانا على بعد مسافة بعيدة، فلم أستطع سماع أي كلمة".

الشرطي: "حسناً، أعدتِ إلى منزل الشاطيء بمفردك؟".

كارولين بيج: "نعم، فقد بقي كيت مع ابن لويز في الفندق الرئيسي، ثم خلدتُ إلى النوم، ولكنني كنتُ قد استيقظت عندما عاد أندي".

الشرطي: "متى عاد؟".

كارولين بيج: "عاد بعد مرور نصف ساعة تقريباً، عند منتصف الليل".

الشرطي: "قلتِ إن شجاراً وقع بينكما، أيمكن أن معرفة سبب ذلك الشجار؟".

كارولين بيج: "نعم، يمكن نوعاً ما".

الشرطي: "حول ماذا تشاجرتما؟".

كارولين بيج: (تجاهلت سؤاله).

الشرطي: "تكلمي إلى جهاز التسجيل، سيدة بيج".

كارولين بيج: "أعتذر، لقد أخبرته بأن عليه أن يبقى حذراً من لويز، فهي مهووسة بأندي، ولم تتقبل انفصالها عنه، ولا أتوقع أن تصدقني، فلم يصدقني أحد، لكن لديها سجلاً في الشرطة، ويمكنك التأكد من كلامي".

الشرطي: "هل سبق للسيدة لويز بيج أن هدّدت زوجك على حدّ علمك؟".

كارولين بيج: "لا، إنها أذكى من ذلك، ولكن...".

الشرطي: "علينا بأن نلتزم بالوقائع، سيدة بيج".

كارولين بيج: "في النهاية قال أندي إنه سينام على الأريكة، وكان هذا آخر حديث جرى بيننا".

الشرطي : "أعلم أن الأمر يزعجك، ولكن هل يمكنك إخباري بما حدث عند عودتك من السباحة إلى منزل الشاطيء؟".

كارولين بيج: "في طريق عودتي سمعت صراخاً، فوقفت للحظة، وحاولت أن أعرف مصدره، وبعد ذلك أدركت أنه كان صادراً من منزل الشاطيء".

الشرطي : "هل أنت متأكدة؟".

كارولين بيج: "لم يكن هنالك أي احتمالٍ آخر، فقد رأيت أن المنزل منعزل، لذا شرعت في الركض، ثم سمعتُ صراخاً مروعاً للغاية، حينها علمتُ بأن شيئاً سيئاً قد حدث، وعندما وصلتُ إلى هناك، رأيت الباب مفتوحاً على مصراعيه. كانت لويز واقفة هناك، وأندي ممدد على الأرض، والدماء في كل مكان".

الشرطي : "هل كان زوجك على قيد الحياة عندما وصلت؟".

كارولين بيج: "لا أعرف، فقد حاولتُ أن أصل إليه، ولكنها تجاوزتني، والسكين في يدها".

الشرطي : "أكانت السيدة بيج تحمل سكيناً؟".

كارولين بيج: "أجل، وقد حاولتُ أن أنتزعه من يدها، ولكننا تعثرنا، ووقعنا على الأرض المضرجة بالدماء، وقد أذيت ذراعي، وصرخنا كلتانا بينما كانت كل واحدة منا تحاول انتزاع السكين من يد الأخرى، وبعد ذلك اندفع أحدهم إلى الغرفة، وأعتقد أنه كان أحد الحراس، فابتعدت عني فور دخوله".

الشرطة : "هل رأيت أحداً آخر؟ أي أحد يدخل أو يغادر منزل الشاطيء؟".

كارولين بيج: "لا".

الشرطي : "آنسة بيج، هل أنت مدركة أن السيدة لويز بيج تتهمك بقتل



زوجك؟ فقد قالت إنها سمعت صراخاً، ثم وجدتكِ في المنزل أمام جثة زوجك، وفي حوزتك السكين".

كارولين بيج: "نعم، من المؤكد أن تقول ذلك، ما الذي يمنعها؟ لكن لماذا أقدم على مثل هذا الفعل؟".

الشرطي: "لا تفهمي قولي بشكل خاطئ، ولكنك تبدين هادئة للغاية، سيدة بيج".

كارولين بيج: "لأنني كنت أعرف أن شيئاً كهذا سوف يحدث في النهاية، صمتت للحظة) لطالما قالت لويز إنها لن تدع أحداً يحصل على أندي سواها، وأعتقد أنها عنت ذلك، أليس كذلك؟".



# يوم الحفل



## الفصل 43

### كاز

وقفت إلى جانب الأريكة، فرأيت أندي غارقاً في النوم. غالباً ما يبدو الأشخاص الغارقون في النوم ضعفاء وأبرياء، ولكن ما رأيته كان الكذب والخداع، لقد خانني أكثر من مرة، وبطرق مختلفة، كما كنت دائماً خياره الثاني بعد لوبيز، إنني زوجته الثانية، ولكن ذلك لا علاقة له بما أفعله الآن، فقد تصالحتُ مع مرتبتي هذه في حياة أندي منذ أن تزوّجت منه، إلا أن الأمر يتعلّق بالعدالة التي كان يتحمّم عليّ تطبيقها منذ سنوات عديدة، في زمان ومكانٍ مختلفين وعلى رجلٍ آخر.

لم تكن أُمي قوية بما يكفي لتقوم بما يتحمّم عليها فعله، ولكنني مختلفة عنها تماماً، لقد كان عليّ أن أنفّذ مهمتي الليلة الماضية، ولكن حماقتي وسذاجتي أخفقتا في تنفيذ ما خططتُ له، ولا تزال غريزة حماية النفس تدعني إلى قتله، ولكنني سأسجن إذا اضطررتُ إلى ذلك. بالطبع إنه ليس خيارى الأول، فسأكون مشتبهاً به مهما فعلت، لأن الزوجة هي المشتبه به الأول، ولكن أندرو لديه زوجتان، وكلّ ما عليّ فعله أن أخلق شكاً منطقياً، فقد كانت غايتي أن أتحرّك في وقت محدد في المساء كي لا يعلم أحد موقع الآخر، ولكنني انطلقت لأنفّذ المهمة بفعل الفضيحة التي لم تحصل، لذا كسب أندي اثني عشر ساعة لا يستحقّها لينعم بالحياة.

لم يكلمني بعد عودته الليلة الماضية، وازدراؤه سيكون محرّجاً أكثر من المشاجرة معه، لذا سأخبر الشرطة بأننا تشاجرنا، وسيبدو الأمر أكثر منطقية.

سيكون من السهل قتله الآن، فقد كان بمفرده، ولدي حجة غياب مقنعة، لذا سأحرص على القول إنني ذهبتُ إلى الشاطئ، ووضعتُ قماشاً قرمزي اللون فوق لباسي البحري الأحمر، واتجهتُ إلى الفندق، ففي العادة لا أتعمد المرور أمام لاعبي كرة المضرب الذين يقومون بالإحماء استعداداً لمباراتهم في وقت لاحق من اليوم، ولكنني ذهبتُ إليهما هذا الصباح، وأثنت على الطقس الرائع، ثم تمنيتُ لهما التوفيق، وبعد ذلك ابتسمتُ لنادلين يشعران بالملل، ويقومان بترتيب المقاعد على الشرفة، فشعرتُ بأعينهما، وهي تلاحقني وأنا أنزل إلى البحيرة. كان الشاطئ مكتظاً بشكلٍ مفاجئٍ هذا الصباح، وكان هناك عدد من السباحين في البحر، فخلعتُ ملابسِي وغصتُ في البحيرة، فسبحتُ تحت سطح الماء حتى شعرتُ بالضيق في رئتي، فقد كانت المياه باردة مع أننا في شهر تموز، وقد تدفقَ الأدرينالين عبر جسدي، ولكنني لن أعود ضحية بعد الآن، وأخيراً استعدتُ زمام أمور حياتي، ويا له من شعورٍ رائع!

عندما أخرجتُ رأسي من المياه، رأيتُ امرأة في عمري تقريباً تنزل عبر السلالم الخشبية مرتدية لباساً أحمر يشبه ما ارتديه، إنها ضربة حظ غير متوقعة، فهي شقراء وترتدي ثوباً أحمر يشبه كثيراً ثوب شقراء أخرى، وهي إشارة أخرى تثبت أن الله يدعمني، انتظرتها حتى بدأت تسبح، ثم وصلت إلى الجسر العائم في البحيرة، وجلست تحت أشعة الشمس، فربطت شعري في أعلى رأسي، واعتمرتُ قبعة صيفية، وارتديت فستاناً قطنياً كان في حقيبة الشاطئ، مما يزيد من لفت الأنظار إلى لون القماش الأحمر، حيث كان هذا كل ما أحتاج إليه.

عندما كنتُ أصعد السلالم عائدة إلى المنزل الشاطئي، لمحنتُ سيليا روبرتس وهي تمشي بسرعة مبتعدة عن الفندق، وقد ارتدت الجينز وكنزة يمكن أن يجعلها تبدو أصغر من عمرها، ولكنها لم تبدُ كذلك، والوشاح

الذهبي لا تزال تلفه حول عنقها منذ الليلة الماضية، انحنيتُ لأتواري عن الأنظار حتى صعدتُ تلك السلالم، واختفت في الجانب الآخر من الشرفة من دون أن تراني.

للحظة عابرة فكّرتُ في أن أذهب إليها لأخبرها بما فعله أندي بيلا، فقد أنبأتني غريزتي أنها الشخص الوحيد الذي يدرك ما يجب فعله الآن، وأنها ستكون قاسية بما يكفي لفعل ذلك، إنها معجبة بأندي وتحبه، ولكن الأولوية للحب الذي تكّنه لأولادها وأحفادها، وقد لا تتوقع كم يمكن أن يصقلك فقدان ولدك.

أبعدتُ الفكرة عن ذهني، لأنها قد لا تصدّقني، وأنا لا أريد أن أخاطر بجعلها تدرك ما يجري من حولها، انتظرت لأتأكد من أنها لن تعود، ونزلت بسرعة إلى منزل الشاطيء، فكان لا يزال أندي يشخر على الأريكة، غارقاً في النوم ثملاً بعد احتساء نصف قارورة الكحول الليلة الماضية. ذهبتُ إلى الحمام، وارتديتُ القماش الأحمر مجدداً الذي حرصتُ بشدة أن أظهر به، وتنفّست بعمق، وسحبتُ سكين لويز من حقيبتي، لقد حان الوقت لإنهاء حياته.

الأمر الآن في تناول يدي، وأنا أشعر بصفاء وهدوء غريبين، لقد اتخذتُ القرار، وحكمتُ عليه بالفعل، ولم يبقَ سوى التنفيذ الآن.

إن حجة غيابي ليست مُحكمة، وتوقيت ذهابي وعودتي من البحيرة ليس دقيقاً، ولكنني آمل في أن تلوّث بصمات أصابع لويز مسرح الجريمة، فلا أريد أن ألصق التهمة بها، ولكنها متورطة في هذا الأمر معي، سواء أعلمت بذلك أم لم تعلم، فأنا أحمي ابنتها، وكلتانا لديها الدافع والفرصة المناسبة أيضاً، وإذا لم يكتشفوا الفاعل، فسيطلقون سراحنا كلتينا، وكل ما أحتاج إليه هو خلق شكوك منطقية.

عدتُ إلى زوجي النائم، ونظرتُ إلى رقبته، فتخيلت السكين وهو يمزق

جلده الطري، وشلال من الدماء قرمزية اللون تتدفق من شرايينه، وتتلاشى معها تدريجياً حياته وأكاذيبه. لن يكون من الصعب أن أجد الوريد الوداجي، فأنا لست طيبة، ولكنني تعلمتُ كيف أقيس النبض في أثناء تلقّي دروس الإسعاف الأولي التي أخذتها في وايتفيس منذ سنة أو اثنتين، وعلى هذا النحو سأقوم بشقّ المكان ذاته.

أمسكتُ بالسكين بإحكام، واقتربتُ منه بحيث استطعت أن أشمّ رائحة الكحول التي تفوح من فمه. الآن هو الوقت المثالي، فهو يستحق هذا المصير، لم أتردد حيال ما فعلته بالقط الذي كان يستحقّ أن يحيا أكثر بكثير من أندي، سأذبحه الآن.

لقد ارتجفت يدي، وزفرتُ بقوة، لا أستطيع أن أفعلها، بئساً، لا أستطيع فعل ذلك!

استحوذ الغضب عليّ، وأسقطتُ السكين على المنضدة الجانبية، فأصدرت صوت قعقعة، وركضت مذعورة إلى الشرفة، واحتقرت ذاتي بسبب ضعفي. لقد خذلتُ بيلا، فلستُ أفضل من أمي، أشعر بضيق شديد في صدري، وكأنّ ثعابين غازية تدور حولي، وتمنعني من التنفس، يجب أن أمسك بالسياج كي أكبح رغبتني في القفز من فوقه، أكره أندي بكل جوارحي، ولكن حتى خلال هذه اللحظات يبدو الحب أقوى.

لا أعرف كم بقيتُ واقفةً هناك، أدقيقة أم عشرين دقيقة؟ أعادني صوت إغلاق الباب إلى الواقع، وكأنّ الريح أغلقتّه، وبعد ذلك سمعتُ أنيناً مروعاً وصوتاً خشناً وكأنّ صاحبه يُحتضر.

التفتُ إلى الوراء، فرأيتُ أندي يقف وسط الغرفة، وقد أولاني ظهره، كنتُ أشاهده وقد بدأ بالتأرجح إلى الوراء وإلى الأمام، ممسكاً برقبته مثل الضحية في فيلم بي سلاشر، وشلال من الدم يتدفق من بين أصابعه، وقد رأيت السكين التي رميتها منذ وقتٍ طويل، يبرز من حلقة.



بعد ذلك رأيت بيلا.

أدارت رأسها نحوي مثل دمية متحركة، وأنا أقف متجمدة في مكاني على الشرفة، حدّقت إليّ بينما كان أندي ينهار على ركبتيه على الأرض، وهو يقرقر ويختنق بدمه.

فتحتُ فمي مذعورة، ثم اندفعتُ إلى جانب أندي، وقد بدأ النور ينطفئ في عينيه، وقلتُ: "يا إلهي، بيلا، ما الذي حدث؟".

اكتفت بالنظر إليّ مذهولة من هول الصدمة، ثم بدأت تصرخ صرخة مدوية بعثت القشعريرة في كامل جسدي، بدت وكأنها تشتعل من الداخل إلى الخارج.

تحركتُ بأسرع ما يمكن، وأمسكتُ بذراعيها، ودفعتها إلى خارج الباب الأمامي بعيداً عن أبيها الذي يُحتضر على الأرض، وقد غرق في الدماء. لم تقصد بيلا فعل ذلك، لا بد أنها انفجرت غضباً في نهاية الأمر، والسكين كان ملقى هناك تماماً في المكان الذي تركته فيه. لقد فعلت ما لم أستطع فعله، ولكن ما كنتُ أريدها أن تفعل ذلك، كما أرفض أن يدمر هذا الوحش حياة أي إنسان بريء.

قلتُ بقسوة وأنا أدفعها نحو الباب: "اذهبي"، كانت الدماء تلتخ سروالها القصير، وقميصها البحري، كما تركت يداي الغارقتان بالدماء لطخات على يديها العاريتين، فقلت لها: "اذهبي إلى الشاطئ، واسبحي في مياه البحر، يتحتم عليك غسل.... يجب أن تزيل بقع الدماء عنك".

نظرت إليّ وعيناها تلمعان، ولا أعرف إن فهمت ما قلته لها. ضغطتُ على يدها، وقلت لها: "لم تكوني هنا أبداً يا بيلا، سأتولّى الأمر، لقد كان حادثاً، ولم يكن خطأك. اسبحي في مياه البحر، وعودي إلى الفندق بعد ذلك، هل تفهميني؟ أنت لم تكوني هنا على الإطلاق".

أخيراً أخذت تركض على الرمال، فأغلقتُ الباب، وهرعتُ إلى غرفة

الجلوس، فراودني شعور بالإعياء حين اقتربتُ من جثة أندي، ولكنه ليس وقت المشاعر والأحاسيس، إنه ليس الرجل الذي أحببته، ولا والد ابني، بل إنه مشكلة علينا بحلها، فأخرجتُ السكين من عنقه، ومسحتُ مقبضها بقماش قميصي، لأحرص على إزالة بصمات بيلا.

صدمتُ وأنا أراجع إلى الخلف ما بين لוחي الكتفين صدمة قوية، فلم أعد قادرة على التنفس، فتقدمتُ إلى الامام في اتجاه جثة أندي، ورفعتُ يدي بشكلٍ غريزي فوق رأسي، لأحمي نفسي، فلمحتُ وجه لويز وقد بدت ملامح الغضب جلية عليها، ولكنني لا أملك الفرصة لأشرح لها ما الذي حدث. رمتني بالمصباح مرة أخرى، وصرختُ بألم شديد عندما اصطدم المصباح بذراعي، وفجأة بدأت أتفادى سلسلة من الضربات العنيفة، وكنا نتصارع من أجل الحياة، لقد تغلّبت علي، إذ استخدمت عامل المفاجأة، وأظن أنها ستقتلني.

رفعت المصباح لتضربني به مرة أخرى، ولكنني تراجعته، ما جعلها تنزلق، وتسبح في دماء أندي، كما سقط المصباح من يدها وهي تنزلق، فسقطت بقوة على ظهرها.

حاولتُ أن أبتعد عنها قبل أن تستجمع قواها مرة أخرى، فانتشر الألم الحاد في كتفي، بينما كنت أحاول أن أنهض وأستند إلى الحائط، وأنا ألهث، وذراعي ممدد بجانب بلا حركة، والسكين بيننا على الأرض. زحفت لألثقتها، ولكن لويز وصلت إليه في الوقت نفسه، وأسقطته من يدي، فأصبح بعيداً عن متناولنا، ويسبح في بركة دماء أندي.

بدأتُ أتفَس بصعوبة، والألم الشديد يمزق روحي، أعتقد أنها تسيّبت في كسر بعض أضلعي أيضاً، ثم سمعتُ صوت صراخٍ من الخارج، وخطوات أقدامٍ قادمة من بعيد، كما انبعثت صرخات بيلا التي كانت تخثر الدم من شدتها، إذ إن المياه تنقل الأصوات إلى مسافة بعيدة.

سمعت لويـز الأصوات أيضاً، فوقفـت باستقامة، وأزاحت شعرها عن عينيها بمعصمها تاركة لطخات الدماء على وجهها، فكنا غارقتين في دماء أندي، وقد ألقيتُ نظرة في اتجاه الشاطئ أملاً في أن تكون بيلا قد وصلت إلى الفندق من دون أن يراها أحد، وأنها لا تزال تحافظ على هدوئها. كاد أن يغمي عليّ من ألم كتفي، ولكنني أجبرتُ نفسي على التركيز، فليس هنالك إلا طريقة وحيدة لننقذ بيلا الآن، ولتحقيقها يتحتم أن تثق إحدانا بالأخرى: "إذا لم يتمكّنوا من معرفة من منا فعلت ذلك، فسيتعيّن عليهم إطلاق سراحنا كليتنا". قلتُ بسرعة: "لويـز، لا نملك الكثير من الوقت".

مكتبة  
t.me/soramnqraa



بعد خمسة أشهر



## الفصل 44

### لوزير

قرأتُ رسالة البريد الإلكتروني مرتين، وبعد ذلك أغلقت حاسوبي المحمول، ودخلت إلى المطبخ، لقد كان ذلك ما توقّعتة تماماً، ولكن لا يزال من الصعب معرفة أن الأمر يتحقّق.

سكبت كأس نبيذ، بينما كنت أحدّق عبر نافذة المطبخ إلى الشارع المزدهم في الأسفل، وقد غضت الأرصفة التي تغمرها مياه الأمطار بالمتسوقين، وهي اللحظات الأخيرة لهم قبل حلول العيد، وأستطيع أن أسمع أنشودة الميلاد المجيد قادمة من أحد المتاجر القريبة. لقد غيرت عودتي إلى لندن مركز الحياة والحيوية حياتي بالكامل، فأشعر بأنني لم أبتعد عنها مطلقاً.

لم أتقبل أن أبقى في سوسكس بعد مقتل أندرو منذ خمسة أشهر، فمنزلنا يضحّ بالكثير من الذكريات التي عشناها طوال حياتنا معاً، إنها ذكريات مرة عشناها بعد تدهور علاقتنا، بخلاف ذلك احتجّت إلى دخل أكبر من عملي الحر أو التعليم الذي أقوم به بعد توقّف دعمه المادي، وقد أمكنني الانتقال إلى لندن من تولّي عمل تحريري بدوام كامل في صحيفة الديلي سكيّتش، ولكنني لم أبع المنزل أو على الأقل ليس حالياً، لذا وضعته برسم الإيجار، الأمر الذي جعل مدخولي أكبر مما كنتُ أحلم به، ثم استأجرتُ شقة صغيرة مكونة من غرفتي نوم في نهاية شارع بريمرز هيل، فلم ترغب بيلا في ترك صديقاتها ومدرستها، خصوصاً أنه لم يبقَ على التحاقها بالجامعة سوى أسبوع. لذا قرّرت أن تعيش في منزل والديّ خلال هذا الأسبوع، وأن تأتي لزيارتي

في عطل نهاية الأسبوع، وفي معظم الأحيان لا أراها أنا وتولي، فهي مشغلة في الاستمتاع بمزايا المدينة التي يمكن أن تقدّمها إلى مراهقة في سنّها، إنها تستحقّ ذلك، بعد كلّ ما خاضته من مصاعب.

فجأة، وضعتُ كأس النيذ جانباً وعدتُ إلى حاسوبي، لأتفقّد الرسالة الإلكترونية مجدداً: "تحقيقات الشرطة 47130060126، نأسف لإبلاغك..."، بدأت الكلمات بالتلاشي أمام عيني: "المحامي المراجع في دائرة الادعاء الملكية... صدر القرار بعدم إحالة القضية إلى المحكمة، فكلّمك مقابل كلمتها... ولا توجد أدلة تدعم موقف أي واحدة منكما، كما لا طرف ثالث في المنازعة يدعم سرد أي من الطرفين للأحداث... وستبقى القضية مفتوحة...".

أفلتت كاز من العقاب، وقد حرّرت نفسها من جريمة قتل.

عرفتُ أن كاز كانت تكذب كما أعرف الآن، فابنتي لم تقتل والدها، حتى في أقصى مراحل جنونها، الأمر ليس متعلقاً بمدى تصديق قدرتها على فعل ذلك أم لا، أعلم أكثر من الجميع كم أن الخط الذي يفصل بين الحالة الطبيعية والجنون رقيقاً.

يمكننا جميعاً أن نندفع إلى القيام بما كنا نظنّ أنه يخالف طبيعتنا، ولكنني أعلم أيضاً أن بيلا لن تكذب عليّ بشأن أي موضوع طوال خمس أشهر، وإلا كنتُ سأعرف ذلك.

إلا أنها كذبت عليّ بشأن المكان الذي كانت فيه في ذلك الصباح المروع، ما جعلني أفكّر بقلق في أنها لم تكن تسبح في البحيرة كما ادعت، وإلا لكنت رأيتها تغادر منزل الشاطئ قبل لحظات من وصولي إليه.

أصيبت بيلا بصدمة، وهذا كل ما في الأمر، ومن المحتمل أنها طردت المشاهد المرعبة من ذهنها، ولا جدوى من ذكر الأمر لأي شخص، في النهاية كاز هي المذنب الوحيدة.

ترفض بيلا أن تتكلّم مع أي شخص عما حدث في تلك الليلة، وبناءً على



نصيحة المستشار الذي يساعدها في اجتياز هذه المحنة الوحشية، لم أصر عليها مطلقاً، فلا أعلم ما الذي رأته في منزل الشاطيء، ولكنها رأني بالتأكيد، ملطخة بدماء أبيها، ولا بد أن اصطحابي إلى داخل سيارة الشرطة وأخذي بعيداً أروعها، ولكنها تتعافى. إن معالجها النفسي ماهر ولطيف جداً، وتكاد أن تعود بيلاً إلى سابق عهدها. كنتُ على وشك أن آخذ جرعة من النييد، ولكن بعد كل هذه الأشهر، لا تزال رائحة الدماء المعدنية عالقةً في أنفي، وما زلتُ أستطيع أن أرى تلك النظرات المرعبة في عيني كاز عندما لفقت تلك القصة لتنفذ نفسها، فهي تتهم أندرو بشرُّ مطلق، وقالت في تلك اللحظات الوجيزة التي تسبق اقتحام الحراس إلينا: "ليس هناك إلا طريقة واحدة لتبرئة بيلا، وعلينا أن نتهم بعضنا، ولن يتمكنوا من معرفة من قام بذلك، ولكنهم سيقون منشغلين في المحاولة، ولن يهتموا بامر بيلا إطلاقاً".

في الشارع أدناه، لمعت أضواء احتفالات الميلاد في الظلام، فلمحت شاباً يرتدي زي سانتا ويدخل إلى زقاق خلف متجر متعدد الأقسام، وينزع لحيته البيضاء الطويلة، ويدخلها في جيبه ليتمكن من إشعال سيجارة، ثم ابتعدتُ عن النافذة، وأنا أفكر في أن لا أحد يبدو على حقيقته.

راودني الشك الذي ألفتة بينما كنتُ أسكب كأساً أخرى من النييد، كنتُ أتمنى لو لم أوافق على أن يقضي الولدان عطلة نهاية الأسبوع في منزل والدي، ولا أعرف لما قد تخبرني كاز بتلك الكذبة المروعة بشأن بيلا، باستثناء أن الكذب مجرد أمر طبيعي ثانوي بالنسبة إليها، فإنها لم تعد تعلم كيف تقول الحقيقة، لم لم تُلق اللوم على دخيل ما، ولكن لماذا اختارت بيلا؟

وضعتُ كأسِي الفارغة في مغسلة المطبخ، وبدأتُ أمسح سطوح أثاث المطبخ، والتي كانت نظيفة بالفعل. من يعرف ما الدافع إلى كذب كاز، أفكر في مرارة، لعلها تكون متوهمة للغاية إلى درجة أنها تعتقد أن ما قالته صحيحاً، ولكنها قتلت أندي، وأنا متأكدة من أنها قتلته مثلما سممت قطي، لقد أمسكتُ

بها متلبسة، ودمه يغطي يديها، لا بد أنها القاتلة، لا شك في ذلك، وبفضلي نجت من العقاب، كنتُ أنا من لوّث مسرح الجريمة، كما كانت بصمات أصابعي وحمضي النووي في كلّ مكان، كيف يمكن لأي لجنة محلفين أن تقرّر من منا وجه الطعنة القاتلة؟ لولا تاريخنا المير، لكانت الشرطة ظنّت أننا خططنا للأمر معاً، وللحظة عابرة أتساءل فيما كنتُ سأفعل لو اتهمت الشرطة بيلا، بالتأكيد ستدفعني غريزتي الأولى إلى أن أحمي ابنتي، ولكن هل سيكون التستر عليها أفضل ما أفعله على المدى الطويل؟ كنتُ لأحطم بوصلتها الأخلاقية مدى الحياة، فأفعالنا قد تكون عواقبها وخيمة وإن كانت عرضية، حتى وإن كنتُ أصدّق كاز، لا أعتقد أنني كنتُ سأجاريها في قصتها، وأن نلقي باللوم على بعضنا لكي ننقذ بيلا، بالحكم على مجريات الأحداث التي كنّا سنقوم بها، فمن المرجح أن تنجح حيلتنا، ولكن من السهل أن تبقى مستقيماً أخلاقياً من الناحية النظرية، ولا أحد يعرف حقاً كيف كان ليتصرّف إلا عند خضوعه لاختبار الأمر الواقع.

لا تمتلك والدتي أي شك في الأمر حيث قالت بسرعة عندما كشفتُ لها ما قالته كاز لي: "بالطبع ستخفين الأمر من أجلها، فأنت أمها، والأم ستضحّي من أجل حماية ابنتها، ولا علاقة للأخلاق في هذا الأمر".

كانت أمي كالصخرة، وقد حزنت على فراق أندرو وحدها، أعرف ذلك، ولكن قلقها الوحيد كان بشأن بيلا وتولي، ويعود الفضل الكبير لها في أن الولدين ييليان حسناً، وهما في حال أفضل مما كنت أتوقّع بكثير، إلا أنني لم أتمكن من المضي قدماً، فأحتقر أندرو لما فعله بتايلر، ولكنني لن أقتله أبداً أو أحرم ولدي من والدهما، لا أحد يستحق الموت بالطريقة التي قتل بها، وجعلته يغرق في دمائه.

إذا تمكنت الشرطة من إثبات أن كاز هي القاتلة، ربما كنتُ سأعلم من دون أي شك، أن بيلا لم تكن متورطة في الأمر.

استقمتُ ورميتُ إسفنجة المطبخ في حوض المغسلة بإحباط، ففي كل مرة أدع نفسي أغرق في حفرة الأرنب المجنونة هذه، أعطي كاز ما تريده، بعد أن أخبرتني بتلك القصة السخيفة لتعبث برأسي، وقد سمحتُ لها بذلك. أشكر الرب أنني لن أرى تلك المرأة مجدداً، لقد انتقلت رفقة كيت إلى نيويورك في الوقت الذي أعادت الشرطة جواز سفرها إليها، وقد أخبرني باتريك بأنها تعمل في وكالة إعلانات متطورة للغاية، ولا شك في أنها ستظل بعيداً عنا، وكلما ابتعدت أكثر كان هذا أفضل.

التقطتُ ألعاب تولي من أرضية غرفة الجلوس وأعدتها إلى غرفته. إن شعوري بالخوف والقلق يتبدد كلما فكرت في باتريك هذه الأيام، فقد أصبح هو وتولي صديقين حميمين في الأشهر الثلاثة الماضية، منذ أن عاودت وباتريك المواعدة، وإذا حسب عيد ميلاد تولي وموعد علاقتنا فستكشف له الحقيقة، إلا أنه لم يعلق على المسألة، ولكن الأشياء تمضي بشكل رائع بيننا، وأعتقد أنني سأخبره بالحقيقة قريباً، فتولي يحتاج إلى أب، كما يحتاج باتريك إلى ابن، حتى وإن لم يدرك ذلك الآن.

حتى بيلا تتعامل مع باتريك بشكل جيد، بينما كنتُ أعتقد أنها ستكون عدائية لمجرد أنني أواعد رجلاً مرة أخرى، وخصوصاً بعد فترة قصيرة من مقتل والدها، ولكنها فاجأتني بتشجيعها لي، وقالت عندما طرحْتُ الموضوع عليها: "لقد مضت أربع سنوات منذ أن انفصلتما يا أمي، وقد حان الوقت لتحبي شخصاً آخر".

حاولت أن أضع حذاء تولي الرياضي بعناية في أسفل خزانته، وعندما حاولت إغلاقها، علق الباب واصطدم بشيء قاسٍ، فانحنيتُ للأسفل، وصارعتُ خيط قماش من حقيبة قماشية أسفل الحذاء، قد افترضتها بيلا من والدتي عندما أتت لزيارتنا في العطلة الماضية، لا عجب أنها مليئة بالملابس المتسخة، وعليّ أن أحرص على أن تعيدها إلى أمي الأسبوع المقبل.

فتحتُ خزانة الغسيل في الردهة، وأفرغتُ محتويات الحقيبة على الأرض. سقط سروال جينز متسخ والكنزة التي أضععتها منذ أسبوعين، وقد أرهقتنا في محاولة العثور عليها، وبعض الكنزات المتسخة والجوارب الغريبة، ولا وجود لقطعة واحدة سوداء اللون، حمداً لله، أخيراً مضت تلك المرحلة؛ لقد مضت مع انفصالها عن تايلر، وأعتقد أنها قابلت شخصاً جديداً، رغم أنها لم تقل شيئاً إلا أنها تتلقى الكثير من الرسائل النصية، في الواقع قد تعرّفت إلى فتاة تدعى أليس، وهي تبدو الآن أقل حدة بكثير مما كانت عليه مع تايلر، وأقل خطراً، أتمنى أن تكون جاهزة لتعرفنا إليها قريباً. مكتبة . سر من قرأ رميتُ كلّ الثياب في آلة الغسيل، وهزرتُ الحقيبة لأتأكد من إخراج كل الملابس منها، فسقط على الأرض سروال قطني قصير رائحته كريهة، وكأنه وضع في الحقيبة وهو لا يزال رطباً، ثم تفقدتُ جيب السروال، بعد أن استنشقتُ رائحة المياه المالحة، ورميته في الآلة، لا بد أنه بقي في الحقيبة منذ الصيف الماضي، لأنه لم يذهب أحد منا إلى الشاطئ بعد مقتل أندرو، إنه كابوس سيترَبص بنا حتى نتخطى هذه المرحلة، ولكن ليس الآن.

التقطت أنفاسي، وأنا أطوي الحقيبة الفارغة، فرأيتُ فجأة قماشاً ذهبياً يتدلّى من سحاب الحقيبة.

لا بد أنه نُسي في أسفل حقيبة أمي مع السروال القصير. مررتُ قماشه الرقيق عبر أصابعي، إنه وشاح والدتي، والذي كانت تضعه في ذلك الصباح الدموي في الفندق، أتذكرُ عندما كانت بيلا تسخر منها: "هل ستضعين هذا الوشاح طوال العطلة يا غري؟"، عندها ردّت عليها أمي ضاحكةً: "لن تحصلي إلا على ذكرى زواج ذهبية واحدة في حياتك، وعليك بعيشها بالكامل".

لقد كان الوشاح ملطّخاً ببقع دم باهتة، ولكن لا يمكن ألا أُميزها، إنها لطخة من دماء وريد أندرو.

## الفصل 45

### سيليا

أعتقد أننا نتفق جميعاً على أن أندرو يبيع يستحق الموت، فما من امرأة دخلت حياته إلا وكان لديها دافع قوي لارتكاب هذه الجريمة المروعة بحقه، ومن بينهن لويز، وكارولين، وبيلا، وتايلر، وحتى مين. يمكن أن تكون أي واحدة منهن القاتلة، كما يمكن أن تصبح الفتيات المراهقات عاطفيات للغاية، وكذلك شغوفات بجاذبيته، وقد يمتلكن إعصاراً من المشاعر والهرمونات التي لا يدركن كيفية التعامل معها. ولويز خير من يعرف ذلك، فقد قامت بارتكاب أعمال تافهة عندما أقامت علاقة مع روجر لويسون في سن التاسعة عشرة، وقد طعنت نفسها بالسكين في منزله تلك الليلة، ولكن كان يمكن أن تتعرض زوجته أو روجر نفسه لذلك.

يمكنها أن تقنع نفسها بأنها لن تقدم على قتل والد ولديها بدماء باردة أبداً، ولكنني رأيت تلك النظرات في عينيها عندما كانت عائدة من الشاطئ في الليلة التي سبقت مقتله، فهي يمكنها خداع نفسها، ولكنها لا تستطيع خداعي، فأنا أمها، وقد ذهبت إلى منزل الشاطئ لسبب محدد، ولكن لحسن الحظ أنني وصلت قبل وصولها.

لم أقتل أندرو من أجل معاقبته، على الرغم من أنه استحق ذلك، فقد قتلته لكي أنقذ ابنتي وأحفادي من أنفسهم، وأي أم كانت ستقوم بما قمتُ به لو كانت مكاني، فقد عشْتُ حياتي بسعادة، ولكنها تدمرت فور موت نيكي، وأنا أحصي الأيام حتى ينتهي أجلي.

إن خسارة ولد يصقل روح الإنسان بشكلٍ لا تتوقعه، فيتلاشى الشخص الذي كنت عليه، وتجبر على أن تعيش في عالمٍ يخيم عليه ظلٌ كبير، وتعجز عن تخيل عمق الألم الذي ستشعر به إلا عندما تخوض تجربة الألم بنفسك، إنه كلّ ما يخشاه الوالدان أن يتسلط عليهما كابوس موت أحد أبنائهم المرعب، ولكن الخوف من فقدان ولد ليس مجرد خوف عادي، فقصتي الآن مع الخوف طويلة، وكل شيء قد يبدو مختلفاً من منظوري الشخصي، حتى إن له رائحة ونكهة مختلفة، ولا يوجد ما يمكنه أن يرتبط بهذا الشعور، وهذا أمرٌ مفيد، صدّقتي، إنه ليس شعوراً قد ترغب في تجربته، فأنت لن تريد أن تعيش في هذا العالم أبداً إن جرّبتَه، إنني أبدو حالياً مثل السجين في قفص، لا يمكن زيارتي فيه.

عرفت هذا الشعور الذي يتابني عندما دفنتُ ولدي، كما عرفته وأنا أختار ما سأرتديه في جنازته، وعندما أُجبر على تنشق الهواء لإدخاله إلى رثتي لأتفّس فقط، وأبقى على قيد الحياة من دون أي حافز، كما أعرف شعور أن أضع كلّ أعراض ولدي في صندوق، وأن أجلب الأزهار إلى قبره، ولا أستطيع أن أنسى رائحة التراب المحفور حديثاً، والذي دُفن ولدي تحته، أعرف شعور أن يشفق عليّ العالم بأسره، وأن يكون كل الناس شاكرين وممتنين لأنهم ليسوا في مكاني. يتركك الحزن الشديد فارغاً ومحطماً، ولكن عندما تُعيد تشكيل كل تلك القطع المتناثرة ويصبح شكلها مشوهاً ولا يشبه ما كنت عليه، تجدُ نفسك أقوى وأشدّ صلابة، تجد نفسك قادراً على أن تفعل أي شيء لتحمي من تحبه، أرفض أن أخسر لويّز أو بيلا، وقد يحزنهما موت أندرو، ولكنهما ستتخطيان ذلك، فالإنسان مصمم على احتواء ألم فقدان من يحبه والشفاء منه، باستثناء خسارة الولد، فلننا مصممين على أن نصمد أمامها.

في ذلك اليوم عندما وصلت إلى منزل الشاطيء، كان أندرو غارقاً في النوم، فوجدت السكين على المنضدة بجانبه، فلم أحتج إلى أن أستخدم

السكين الذي جلبته معي، كما لم يكن موته فورياً، فقد ترنح على قدميه بطريقة ما عندما غادرت، ولكنني أعتقد أنه استحقّ الشعور ببعض الألم لحظة تخبطه قبل أن توافيه المنية، ولكنني لم ألحظ وجود كاز في الشرفة إلا بعد حين، فكنتُ أظنّ أنها على الشاطئ، ولكنها لم ترني أنزلت على الطريق المؤدي إلى الفندق، ولا بد أنني لم ألتق ببيلا، لأنها جاءت من الاتجاه المقابل بعد ثوانٍ قليلة، وأنا أشعر بالأسف لوضعها في هذا الموقف، فقد كان صعباً عليها أن تدخل المنزل، وترى والدها يحتضر، ولكنني أعرف ما كان سيحدث لو كانت بيلا من عثرت على السكين أولاً.

لا أعرف إذا رأيتني أغادر منزل الشاطئ، فلم تذكر الأمر بتاتاً، ولكنها لم تقل لأحد أنها كانت هناك في ذلك اليوم، ولا أعرف إن كانت تتهمني أو تتهم كاز أو والدتها، ولكنها إن كانت تتهم أي واحدة منا فلن تنسب بأي كلمة. في النهاية، لا بد من القول، إن نساء عائلة روبرتس ماهرات في كتم الأسرار.

مكتبة

[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)

إنه حفل عائلي، دعت إليه سيليا طليق ابنتها أندرو وزوجته، اعتراضات كثيرة راقت الدعوى، ولكن أندرو حضر، وعُثر عليه مضرجاً بدمائه وإلى جانبه زوجته وطيقتة.

هل إحداهما هي القاتلة؟

منذ أربع سنوات انفصل أندرو عن لويز، وترافق ذلك مع حملها، وارتبط بكارولين التي كانت بدورها حامل. لم ترد الطليقة التخلي عن طليقتها بسهولة ورؤيته يؤسس عائلة بعيداً عنها، وبالمقابل ترى الزوجة أن روابط خفية تربط زوجها بأسرة طليقتة، وهذا ما أقلقها.

سعت المرأتان لتدمير بعضهما، فتقبت كل منهما في ماضي الأخرى الذي يزخر بالكثير، فطفولة إحداهما مؤلمة، ومراهقة الأخرى متهورة. والسؤال الذي يطرح نفسه هل لماضي المرأتين علاقة بمقتل الرجل؟ أم أن يداً خفية استغلت الموقف لتلصق بإحداهما الجريمة؟

## تيس ستيمسون



تيس ستيمسون مؤلفة لثمانين روايات وكتابين، تكتب بانتظام في الديلي ميل بالإضافة إلى العديد من المجلات النسائية. ولدت وترعرعت في ساسكس، وتخرجت من أكسفورد قبل أن تقضي عدة سنوات منتجة إخبارية لصالح أي تي أن، تعيش تيس في فيرمونت مع زوجها الأمريكي وأولادها.

telegram @soramnqraa



جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت  
في مكتبة نيل وفرات كوم  
www.nwf.com



الدار العربية للعلوم ناشرون  
Arab Scientific Publishers, Inc.  
www.asp.com.lb - www.asppbooks.com

